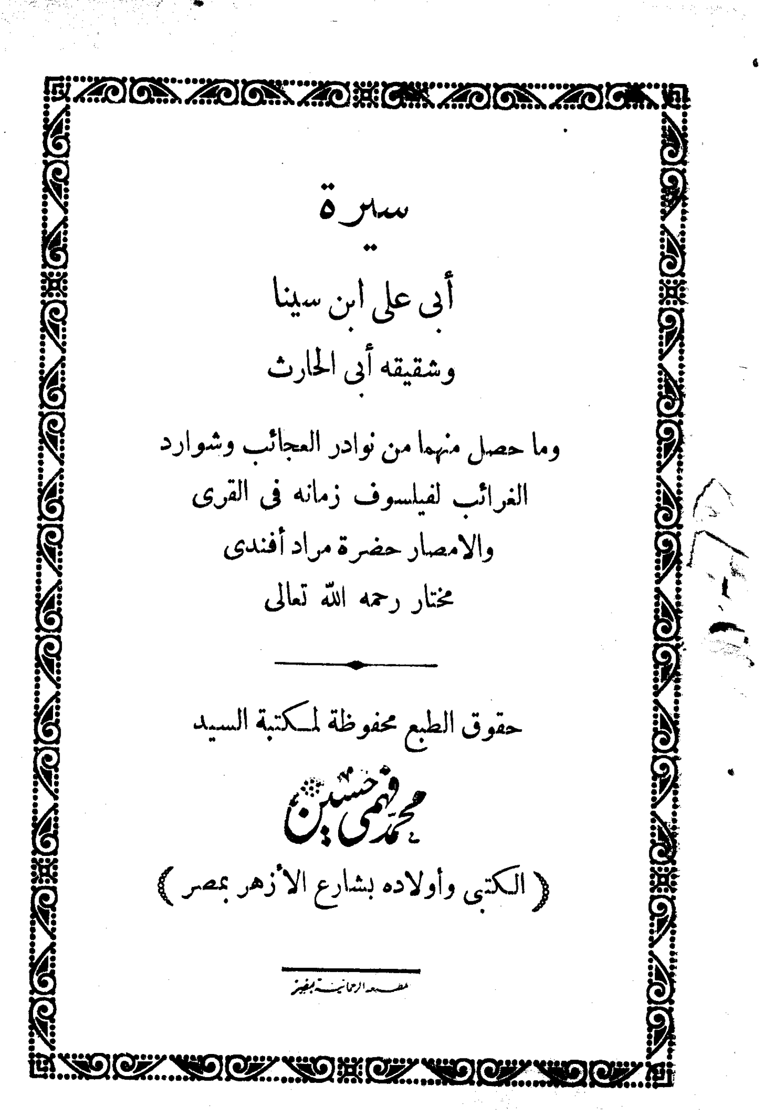


# سيرة

# أبي علي ابن سينا

## وشقيقه أبي الحارث

وما حصل منهما من نوادر العجائب وشوارد
الغرائب لفيلسوف زمانه في القرى
والامصار حضرة مراد أفندي
مختار رحمه الله تعالى


حقوق الطبع محفوظة لمكتبة السيد

محمد فهمي حسين

( الكتبي وأولاده بشارع الأزهر بمصر )

مطبعة الرحمانية بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله لمن خص من أراد من عباده بالمعجزات وأظهر على يد أوليائه خوارق العادات والصلاة والسلام على من خصه بالآيات الباهرات . وعلى آله واصحابه الطاهرين المطهرين السادات . وأشهد أن لااله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله شهادة تنجي قائلها من الهلكات. وتبلغ المخلص الى أعلى الغرفات (وبعد) فيقول عبد ربه الغفار الفقير مراد مختار انى قد اطلعت فى بعض الكتب التركية على قصة أبى على بن سينا وشقيقه أبى الحارث وقد كثرت فى نقل عبارات قصته الأقوال ولم أجد أصح وأوضح من هذا الكتاب فعن لى أن أترجمه ليكون للوحيد سميرا بل وللعين نوراً قريراً وقد تتبعت أقوال مترجمه الأول. وعن قفو آثاره لم أتحول (فيحكى) والله أعلم بغيبه وأحكم أن أباعلى بن سينا وشقيقه أعنى أخاه أباالحارث كانا من أهل قرية من قرى بخارى تسمى سجعاً وكانا من ذوى الحسن والجمال وذوى الترهف وحسن الأحوال. وذلك فى سنة ثلاث وسبعون وثلثمائة هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية ، قال وكانت وفاة أبى على بن سينا مظهر بدائع العجائب وفرائد الغرائب سنة أربعمائة واربع وخمسين هجرية وقد عمر احدى وثمانين سنة ودفن بسمرقند وسنذكر ذلك إن شاء الله تعالى وكيفية وفاته وأنه قد ألف

مجلدات لاحاجة الى تسميتها في هذه القصة ومن جملتها القانون المشهور بابن سينا
* ولنعدل الى ماقصدناه من قصته العجيبة (فيحكى) والله أعلم أن فيثاغاروث الحكيم
الشهير كان من متقدمى زمانه عند نبى الله داود على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم
السلام وقد الف كتبا جمة وبالجملة كتابا فى التوحيد بلسان قومه فسماه داود عليه
السلام توحيد فيثاغورث وكان معظما تعظيما خارجا عن دائرة المقدرة والوصف
(قال الروى) وعند انتقال داود عليه السلام الى دار البقاء وتنبأ ولده سليمان عليه
وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام لم يرتض فيثاغورث أن يندرج تحت أمر
المخلوقين مقهورا راعيه ومحكوما بل أنه أبرز فعل قوته وأظهر مبدعات أمره التى أكنها
فيه رب العزة جل وعلا من العلوم فعند ذلك أظهر لسليمان عليه السلام فى الارض
وفى جو السماء عساكر جمة ولم يجب دعوة سليمان عليه السلام اذ دعاه من أول وهلة
بل انه بارزه بعساكر الانس والجن والطير فارسل سليمان عليه السلام اليه مبارزا من
عتاة الجن فناظره فيثاغورث بآخر من جانبه ولم يزل الحرب والجدال بين المتمارکين
ولم يفرق أحد بينهما ولم يعلم أيهما صاحب ذا من ذاك وكلما برز من عسكر نبى الله
سليمان عليه السلام مبارز برز مثله من عسكر الحكيم فيثاغورث التى أظهرها ببديع
علومه وغرائب حكمته ولم تزل رحا الحرب دائرة فيما بين العسكرين ولم يفشل أحد
الجهتين حتى فيما بعد الجهد تحير حكماء سليمان عليه السلام لما أنهم لم يفرقوا بين
صاحبهم وصاحب الاخر . وحينما انسدل ستر الظلام رجع كل من المبارزين الى
عسكره (بأساده) فلما حكم الليل على جنوده وسدل على العباد بنوده أقبل
فيثاغورث بأنواع الزينة والتحف الى نبى الله سليمان عليه السلام وألقى اليه السلام
واستعذر اليه قائلا له انى لست مبارزك عصيانا بل القصد التقرب باظهار هاتيك
العجائب اذ قيل خالف تعرف ولم تكن مبارزتى اياك مخالفة لامر النبوة فعند ذلك قربه
نبى الله سليمان اليه وجعله ذا مكانة عظيمة ومجله ثم انه كتبه من جملة وزرائه بل ومن
أعاظمهم لما انه شاهد منه أنواع الحكمة وقوة تمكنه منها وأكرمه ونعمه وبالغ فى
غاية اكرامه فافنى بقية عمره فى خدمة نبى الله سليمان عليه السلام ولم ينتشر علم
الكيمياء والاخفاء والسيمياء الا منه فهو مصدرها بعد من تقدم أى قبله ( قال

لراوى ) ولما أن مرض فيثاغورث الحكيم وأحس بالموت جمع منقوش الواح علومه
ووضعها داخل مغارة ببلاد الغرب وطلسمها بفراسة حكمته ووكل بها من يظهرها
ويفتحها من العام للعام مرة من ذوى القوة من طوائف الجن وذلك لينتفع بها الخلق
وقد كانت تفتح تلك المغارة الى مدة قريبة من تاريخ كتابة هذا النقل وعلى ما قيل
أنها كانت حين تفتح تمكث ثلاث ساعات مفتوحه وقد حان آخر وقت سجن مفصوبى
الجن المتوكلين بها على ما قيل فتوكل بها قطب تلك الديار وشدد على خدام وقته من
طوائف الجن فلم تفتح الآن مخافة بنى الزمان وفسادهم وقد كان الداخل بها ما عقله
بعقله بقى معه وما كتبه انمحى اذا خرج منها وقيل ان من أراد اخراج علم مكتوب من
داخلها يهلكه موكلوا المغارة وذلك لئلا تقع تلك الاوراق بيد من هو ليس لها بأهل
واذا الرصد عدم اخراج شيء مكتوب من داخلها وذلك احتياطا على ما أودعه فيها
الحكيم من بدائع الاسرار وكانت تلك العلوم منقوشة بقلم غريب ولم يسهل تعليمه الا
لارباب الاسرار ومن هم أهل لذلك (قال الراوى) وكان ابو على ابن سينا فى مدة نشأته
تحصل على ذكارة لم تسعها العقول وكان جميلا مجملا بالمعارف حتى أنه كان تزين به
المحافل وكان يحق به أن يسمى افلاطون زمانه فى حالة صباه يا ساده (ومما يروى عنه
ان أهل مكتبه الذين كانو مصبويين فى قالب الحسن أو كالاهلة فى جنوب المجن
أو كورد الجنان على جنة نهر الجنان للوارد الظمآن فى يوم العطش الصيخود الذى
لو شاب شجرة لتركها كالجلمود، وكان هؤلاء الانجاب يتحادثون بجودة ذهن ابن سينا
وفراسته ومعرفته وكياسته وكانوا يتباحثون معه وبالجملة فانهم وضعوا له ورقة ذات
يوم تحت فرشه الذى يجلس عليه بالمكتب فلما ان جلس به أى بفرشه أمعن النظر مرة
الى السقف وأخرى الى الارض واستغرق فى بحر التفكر واستلفت فكرته فى تلك
الحالة فسئل فى ذلك المعنى فاجاب ان سقف المكتب يرى لى انه هبط بمقدار رقة ورقة
أو علت الارض بمقدار ذلك القدر واشتغال بالى انما هو لاستحالة هبوط السقف ذلك
القدر اذ لو كان ذلك لخلا المكان بنا فلم يزل بهذه الفراسة والكياسة مشتغلا بطلب
العلوم الى ان بلغ من العمر اثنتى عشرة سنه فحصل اذ ذاك أجل العلوم وكان يدرس
فى فنون شتى (يا ساده) ومما يروى عنه أنه كان يفيد ويستفيد كل يوم فى الصبح ثم يشتغل

بعد بالملاعبة مع الصبيان فتجارأ عليه أحد تلامذته وسأله كيف يتعاطى الملاعبة مع
الصبيان مع كسب كمالاته للعلوم والفنون فأجابه إن للسن أحكاما وعالم الصباوة هو
عين اللعب ولا بد من أخذه حدة وقد حصل على تلك الحالة علوما شتى مما لا يحصلها
شائبو زمانه فكانت ملاعبته لمجرد الاجتهاد وصار أفلاطون زمانه ولم يكن ببخارى
وجوارها من يبارزه للمباحثة فتفكر يوما في أن يسوح الأرض مشارقا ومغاربا
ليكمل معارفه ومرتباته ويجلب مكاسبا ويحصل مآربا وكان أخوه أبو الحارث أقل
درجة منه في الذكاوة فأخذه معه وتزيا بزى الدراويش وصارا يتطايران في قفص عالم
الكون من حديقة إلى أخرى ويقتطفان من أحاسن أثمارها ولم يزالا على هذه الحالة
في كروفر وزيارة وتجارة من مقام نبي إلى مرقد ولي يطوفان بسط البسيطة ويرفعان
شرائع الأعلام حتى وصلا إلى مدينة من أقصى بلاد المغرب وقد نويا الاقامة بها يومين
لأخذ تدارك الراحة فبينماهم في أثناء ذلك وقد مرا بأسواق تلك المدينة يتفرجان في
أزقتها ويمعنان التفحص في شوارعها إذ سمعا مناديا ينادي أن اجتمعوا أيها المسلمون
واعلموا أن المغارة ستفتح بكرة فلا يقل أحدكم اني لم اسمع ولا يلتمس الأعذار فكونوا
على بصيرة هذا وقد طاف ذلك المنادي بجميع أطراف تلك المدينة ونادى بذلك
النداء في سائر شوارعها وأزقتها وهو ينادي على تلك الحالة (قال الناقل) فلما سمع
ابن سينا ذلك المنادي وهو يطوف كما ذكرنا بشوارع المدينة تعجب غاية العجب
إذ هو لم يعلم بحقيقة الأمر ولم يعلم موجبات أهل تلك البلدة واشعارهم بذلك
النداء وما القصد فسأل عند ذلك من أحد أعيان البلدة عن سبب اشاعة ذلك النداء
والاعلان به على رؤوس الاشهاد وما القصد لهم عن ذلك فأخبروه حينئذ عن قصة
فيثاغورث الحكيم على ما بيناه كما تقدم فأخبر هو أخاه أبا الحارث بذلك وقال اعلم يا أخي
أننا لا ندخل في هذا العام لأن مسافة الفتح لا تفي بشيء وإنما نحن نتهيأ لنتدارك العام القابل
ونتزود لعام ونبقى العام كله بها لنفوذ بجميع الكتب التي داخلها دفعة واحدة
(ياسادة) ثم إنهم اشتغلوا بتدارك المهمات اللازمة لهما وبقيا بتلك المدينة متريضين
حتى انهما صارا يكتفيان في اليوم الواحد بعشرة دراهم من الزيت ويشربان في الشهر
كله مرة واحدة وعرفوا ما يكفي اليوم والليلة من وقد الزيت وادخراه عندهما كل

على انفراده ومن جملة صناعاتهما أنهما اتخذا أكباد الغزلان وجففاها وسحقاها وسقياها دهن اللوز ورباها تربية مشهورة بالكتب وجففاها بالشمس وأعاد العمل حتى اذا ما استكملت أسقياها من دهن اللوز قانونها المعروف عند أرباب الفن ثم حبباها بنادق وكانت الواحدة اذا تنولت كفت المتعاطى مؤنة الاكل شهرا كاملا وكذا الشرب بدون تألم حتى اذا ما استكمل العام عدته نادى المنادى كعامه الماضى فعند ذلك أخبر أبو علي بن سينا أخاه أبا الحارث وأخذا لوازمها ودخلاها أى المغارة التى تقدم ذكرها وانزويا بزاوية منها فلما انقضت مدة فتحها واشتغل كل من الناس بنفسه وهم كل أحد الى الخروج وغلق حينئذ الباب فعند ذلك قدحا زنادها وأوقدا السراج وتفرجا على المغارة جميعها ولم يبق بها موضع الا رأياه فوجد بتلك المغارة مصاطب وشاذروانات وخلاوى وقصور عاليات وكتب خابات مكلفات فعند ما أتموا التفرج على دائرة المغارة ورأيا ما أودع فيها من بديع صناعات الفيلسوف العارف وشاهدوا بها مالا يحيط به ادراك فهم الواصف فحينئذ توضأ وتهيأ واحتاطا بالدائرة وسحرا خدام المكان الموكلين فى ذلك الزمن ثم أنهما وضع الكتب وسط الدائره وقد اشتغل بالمطالعه وكتبا أهم المسائل وكان كتابتهما لتلك العلوم بماء البصل وذلك كان أعظم تفكرهما أنهما اذا خرجا عند انتهاء العام حين فتح المغارة ان لا يطمع أحد فيما هو بأيديهما فاذا بخرت تلك الاوراق المكتوبة بماء البصل بأى دخان ظهرت الكتابة التى كتبت بها وكان عندهما ما يدلهما على أوقات الليل والنهار للصلاة وكانا ينامان بالدور ولم يكونا ينامان الاثنان معا ولم يقل أحدهما ما كتبه للآخر وكانا يحترزان من تضييع الوقت وقد حصلا بها من أهم فنون العلوم وبدائع غرائب أجل السر المكتوم فى سنتهما مالا تسعه دواوين العقول ويزيد عن علم المنقول والمعقول (قال الراوى) ثم أنهما فهما تمام السنة بواسطة الآلات التى كانت عندهما وقد أعداها لمعرفة الساعات فعند ذلك انتظرا فتح الباب فاذا فتح فزعا بالخروج عند هجوم من اراد الدخول واشتغال كل من الداخلين باهتمام المطالعة فلما ان كان اذ ذاك وقد فتح باب المغارة عند استكمال ساعات أيامه وتمام اوقات عامه وهما بالخروج كما هجس لهما ذلك الخاطر وأسرع كل منهما بالخروج مبادرا

فرآهما الخلق على حين غفلة عند هجومهم بالدخول وقد نظر وهما فى حالة مفزعة
ففزعت اذ ذاك الناس من أن شعورهما وأظافرهما طالت وتغيرا من نومهما داخل المغارة
وصارا كغولين يفزع منهما كل من رآهما متوهما لما اكتسباه من هيئة التوحش
اذ قد اختلطت شعورهما ولحاهما مع تحول بدنهما (قال الراوى) وقد صادف وقت
ذلك الزمن أنه ظهر ببلاد المغرب ساحران من مفاسد أفعالهما اعجز العالم من الشر
وضجت الخلائق منهما مستجيرين من مفاسد أفعالهما وعجزوا عن دفع مضرتهما
فلما أن نظر الخلق الى أبى على بن سينا وشقيقه أبى الحارث بتلك الهيئة الموحشة ظنوا
أنهما هما الساحران اللذان قد أعجزاهم فصاح بعضهم على بعض قائلين ان
اضبطوا عليهما ودونكم لا يفلتان منكما فهما هذان الساحران اللذان قد أعجزانا
وضيقا الارض علينا بما رحبت ثم انهم هجموا عليهما هجمة رجل واحد ولم يمهلوا عليهما
الا ان قبضوهما أسرع من وقوع الايهام بهما وقد أداروهما اشنع كتاف
واحضروهما الى سلطان بلاد المغرب بالعنيف والغلبه وشديد الشنعة والقهر فلم يفرق
اذ ذاك السلطان بين الحق والباطل لما أنه لم يكن نقادا بصيرا اذ الوجوه النيرة بنور
العبادة ليست كالظلمة بنار الكفر وقد حكم عليهما وقت ذلك بظلام جهله بدون الوقوف
على جلية حقيقة الحال ظنا بهما أنهما هما الساحران وقد أمر فى الوقت بقتلهما
بعد أن تهدد عليهما بأشنع التهدد وأوجعهما بغليظ الكلام ثم انه أمر باستحضار
الجلادين يعنى سيافى دولته الذين هم قليلوا الرحمة المسلوبو الشفقة والرأفة هذا وقد
استلت عليهما صوارم الغضب من كل جانب وبان إذا من الخلق لهما كل مضاد
ومصاحب فوقت ذاك قد احتارا حيرة لم تسبق لغيرهما لما هجم عليهما من الجور
وعدم الانصاف وزور البهتان ووثب لديهما الشجعان وقومت فيهما أسنة النظر
وبالغ فى أذاهم كل كذاب أشر، فهنالك دعا كل منهما ويقال انى مغلوب فانتصر وقد
نظرا لبعضهما وتغامزا هذا وقد أحدقت بهما السيوف وهما يترامزان لبعضهما بارتماق
النظر وكان نظر ابى الحارث الى اخيه وأخيه اليه كمحادثة المتحابين اذ الهوى يتكلم
فيما بين النظرين ويقضى الوطر كالمترجم للاثنين مثل قول القائل حيث قال
وأجاد في ذلك المعنى هذا المقال

حواجبنا تقضى الحوائج بيننا ونحن سكوت والهوى يتكلم

(يا ساده) وكانت الاشارة من أبى على بن سينا لاخيه أبى الحارث أن التعب والسهر لتحصيل ما استفدناه بمشقة الضنك هذا وقت عمله. ثم انه هم وانتفض من بين أيدى الظالمين المحدقين به ووثب كوثبة الاسد الهجوم وهو يتلوا بعض أسماء من أسماء الله تعالى ذات الخواص فى الاختفاء وترامى بنفسه فى حوض كان بقرب الملك وقد اختفى وقت ذاك عن أعينهم قال فعند ذلك اشتغل الناس بالبحث عليه فى الحوض ولم تزل دائرة الغفلة محيطة بهم ولم يكن بهم رشيد فى أمرهم فبوقتها تلا أبو الحارث قسما مما استفاده من غوامض أسرار العلوم ففك رباط يديه وطار نحو سقف دار الملك وتعلق به فصار بيده حبلا وارتفع به فعند ذلك علا الصريخ ونما الضجيج ونودوا أن دونكم أيها الشجعان ومن هم من ذوى القوة والتمكين لئن تفلت منكم انكم اذا لمن الخاسرين هاهو اضبطوه ولا تقتلوه وهم فى حركة وحيرة ولم يجدوا عنه صبرا ولم يفدهم ذلك شيئا سوى تقلدهم بسيوف البغى والظلم واعتقالهم برماح الجهل لا العلم وقد اختفيا عنهم وانقطع خبرهما من بين يدى الملك وقومه فتحققوا وقت ذاك أنهما الساحران بلا شك ولا ريب ، وأعلن بذلك الاعلان كل بعيد وقريب وانتشر جراد عسكر الملك بحثا عليهما فى كل فج وسريب ولم يجنوا من ثمار الظلم الا كل قبيح مريب فهموا على البحث عليهما * ولنعد الى ما حكاه ارباب التواريخ السادة الكرام المسامرون لمحافل الملوك من كل همام (قال الراوى) لهذا الكلام بعد الصلاه وأتم السلام على نبينا محمد البدر التمام (حكى) أن أبا على بن سينا ظهر بقوة علم السيمياء بمصر وأما أخوه أبو الحارث فانه اشتهر بحلاوة علم السيمياء ببغداد ولنبدأ أولا بحديث أبى الحارث حين انفلت من أيدى ظالمى بلاد الغرب فرمته يد القدرة والارادة ببلدة بغداد فصار أبو الحارث وقت ذاك يتفرج بأذقتها ويمعن النظر فى شوارعها مريد الراحة نزهة لما كابده من مشقة اقامته بالمغارة لما أنه كان متأنسا بالظلمة دون النور عاما كاملا ولو كان عندهما السراج لكن لا يفى ضوء الكون نور الدائرة فبعد استئناسه وتفرجه طويلا رأى أنه لابد له من تسبب فى أمر معاشه اذ البطالة حظها فى اسمها فلبث فكره غير بعيد وأتى له بأعجوبة الافكار ورأى أن يصنع حماما بقوة علم السيمياء فاحضر وقت ذاك عيدانا

طوالاطول القامة ولفهم بأقمشة وتلا عليها عزيمة وكانت عيدانها اربعين عودا فصارت في الحال أربعين شخصا في صفة واحدة بدون تفاوت فيما بينهم في الهيئة والوصف ووقفوا بحضوره مكتفين الايدي مطرقين فأمرهم في وقتها أبو الحارث أن يبنوا له حماما على أربعين عقدا في ظرف سبعة أيام وتحت كل عقد قرنة أي حوض صغير الماء وعلى كل قرنة دلاك كالبدر التمام سلاب للعقول وجماله اذا رآه ذولب لايستطيع دونه الوصول وان الاربعين أيضا يكونون في بقية الخدمة كمناولة المناشف والفوط التي هي مختلفة بأنواع الطيب مغسولة بماء الورد والصابون الخلوقي الممسك الملوكي الذي يتأرج الريح من طيبه وهؤلاء في غاية من الحسن والجمال وهؤلاء الغلمان فائقون في القد والاعتدل كأنما أهداب أعينهم استعارت المها أفياءها وتباهت بها على الظباء كما قال الشاعر

ان العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به وهن أضعف خلق الله انسانا

وهم في اداء الخدمة أسرع من الطلب فمن ثم نادت قلوب ذوي الالباب اين الهرب أين الهرب فاذا اشتد الزحام وكثر الطلب لم يدعو حاجة الاقضوها أسرع من البرق بدون كلام (قال الراوي) والحاصل أن هذا الحمام صار أعجوبة في بغداد وكثر فيه القيل والقال وفاق على سائر الحمامات التي بها ومال كل من سمع به أن يراه من صميم قلبه اشتياقا لما يسمعه من وصفه فصاروا يدخلونه فوجا فوجا وصار يتفرج عليه الغني والفقير والصغير والكبير من أنثى وذكر اذ أنه خارج عن طاقة البشر ومن دخله صار متحيرا باعثا وصار ينتشر خبره من كبار لكبار الى ان اتصل خبره بالملك وكان وقتئذ ببغداد وكان اسمه تبعا وكان من أرباب العقول الثابتة والنظر والرأي الثاقب وهو من خلفاء بني العباس، فلما ان أبلغه خبر ذلك الحمام وسمع بذلك الوصف حضر اليه ليتفرج عليه ورأى حين دخله بعين بصيرته أن هذه الحركة ليس في طاقة البشر اذ كان ما كان في مدة قليلة من أثر الظاهر عيانا . فسأل أحد خدام الحمام وتحادث معه فلم يجبه أحد منهم فتعجب . وعلم أن في ذلك حكمة واسره في نفسه ولم يبده لغيره حتى حضر دار سلطنته وعزم أبا الحارث الى ضيافة استعدها له ولما قدم أبو الحارث اليه بالغ في اكرامه وسأله عن سبب الحمام وكيف يمكن ابرازه من العدم الى الوجود في مدة

سبعة أيام فاجابه أبو الحارث ياسلطان العصر انى مالك لاربعين مثل هذا الغلام وكان صحبته أحد الاربعين المتقدم ذكرهم أيها الملك وكل واحد منهم يكتسب فى اليوم الواحد سبعة أحمال من النقود وهم أيضا الذين بنوا هذا الحمام فى سبعة أيام فسأله عند ذلك الملك ياعليما بما استأثرت من الفنون، ومجددا لما ذهب عن ايهام الظنون، هل الاربعون اخوة حتى أنهم يشابهوا بعضا وهل كلهم خرس فاجابه انهم نشؤا بالجبال لايعرفون لغة وهم اخوة وكان قد أحضر العيدان من الجبال فاصاب محل الجواب كلامه وكلهم اخوة اذ يشابه بعضهم بعضا وقد كانت العيدان من شجرة واحدة فرأى الملك بقريحة فكره ان هذا الكلام مضمر ليس على ظاهره فقال له أيها الحكيم الخبير العليم أوقفنا على سر هذا الامر الذى قد حير البابنا وفرق عقولنا وشتت جامعة أفكارنا فاجابه أبو الحارث أيضا ان كل أحد منهم له أربعون صنعة وهذا الذى رأيتموه هو من ضمنها والباقى تسع وثلاثون صنعة لم تبرز فسأله الملك وأى الفنون تكون هذه الصناعات فارنا حتى نراها فاجابه أبو الحارث انه لايصح فى مثل هذا الديوان على رؤوس الاشهاد وتفضلوا بنا لنختلى وكل ماطلبتموه من فن أريكموه وكان وقوف الملك على حقيقة كنه تلك الامور أشهى من الظمآن للماء الزلال كما أجاد القائل فى ذلك المعنى حيث قال

لو قيل لى وهجير الحر متقد  والنار فى القلب والاحشاء تضطرم
أهم تريد وتهوى أن تشاهدهم  أم شربة من زلال الماء قلت هم

هذا اذ كان الجمال بدون تغن فكيف اذا اجتمعت التغنى والجمال كما فى مثل هؤلاء الغلمان على حسب توهمه أنهم من الانس قبل الوقوف على حقيقة الامر انهم يعلموا السيمياء (بلساده) والحاصل ان فكرته ضاعت وقام به هاجس الوقوف على هاتيك الحقيقة والاطلاع على تلك المكنونات والدقائق وقد نهض قائما واختلى مع هذا الحكيم الذكى الفهيم وأبعد خدامه جميعا وبقى مع الاثنين الغلام الصانع الذى أتى مع أبى الحارث فعند ذلك قال الملك لابى الحارث أيها الحكيم أمنن على بحل عقدة هذه المشاكل فاجابه أبو الحارث أيها الملك اعلم ان غلمانى هؤلاء أرباب معارف وقوة وخفة حتى انهم يسيرون فى الارض وفى جو السماء أسرع من الماء والريح وهم

أولو شدة وبأس ولم يكن اسرع منهم فى قضاءأى حاجةاردتهافى مشارق الارض ومغاربها فايما مصلحةلك كانت فامرنى أن أقضيهالك والتزمانت السكوت فعند ذلك تعجب الملك من تفوهه بهذا المقال وزادتوهمه من هذه المعانى والأحوال ولم يزالا كذلك حتى تناصف الليل وهما فيما بينهما من المحادثة والمؤانسة والمودة الكثيرة (قال الراوى) وكان هذا الملك ذا بصيرة فى القلب وعرف أن هذا الرجل لايخلو من معارف كثيرة وحكم وعبر فعند ذلك سأل من ابى الحارث أن يريه احدى بواقى صنائع هذا الغلام فقال له أبو الحارث أجل هذه ايها الملك اذا كان لك بالمشرق والمغرب أى مادة فلترسله اليها فقال الملك أيها الحكيم ومن هو بغوامض اسرار فنون العلوم عليم دعنا من المشرق والمغرب وانما الملك سبا بنت يكل الواصفون عن وصفها ويعجز الراسمون عن رسمها وقد عشقتها أنا بمجرد السمع وخطبتها من ابيها فلم يجبنى لذلك فجردت عليه سيل عسكرى العرم فلم اقتدر عليه وعجزت عنه فاذا أمكن أن تحضرها فيها قال فلما وجده ابو الحارث فى تلك الحالة من وله العشق رق لحاله ونهض قائما وتوجه نحو الغلام وصار كأنه يسارره والحال أنه يعزم عليه بعزيمة من محتويات فنونه المتحصلة له فلما تم كلامه أطرق الغلام رأسه وخرج ورجع أبو الحارث الى مكانه فلم يستقر به الجلوس بمكانه إلا وقد رجع الغلام ودخل ومعه البنت وهى خلفه فتوجهت الى زاوية من زوايا البيت وقعدت متحيرة فى أمرها (يا ساده) فعند ذلك قال الملك أيها الحكيم ماهذه الحركة الخيالية المثال فقال له الحكيم أعنى أبا الحارث ان لهذا الغلام ثمانية وثلاثين صنعة خلاف هذه فعند ذلك تحير الملك والتبست فكرته فى هذا الخيال إذ هو لم يدرك برهان صحة الحال ثم ان الملك امعن النظر الى البنت فوجدها فوق ما يصف الواصفون اذ لو شاهدها انسان لم يستقر به مكان وتضيق عن وصفها صفحات وأوراق الثقلين ولم يتمالك عاشقها نفسه ولو أطال اليها النظر لانقطع نفسه ولم يخطر حسنها على قلب بشر إن هو الا سحر يؤثر فهى كما قلت من ضمن قصيدة

لها محاسن لو حورية نظرت　　الى شمائلها لم تدر معقولا

وقد كان الملك عشق ولم يرو لما أن أطال النظر اليها طار قلبه وذهل منه لبه وكان كما قيل فى ذلك المعنى

قالوا أحب حبيبا ما تأمله ... فكيف حل به للسقم تأثير
فقلت قد يعمل المعنى بقوته ... فى ظاهر اللفظ رفعا وهو مستور

( قال الراوى ) وان الملك لما شاهد ذلك سلب قراره واشتد زفيره واشتعلت ناره فترجى الملك الحكيم أبا الحارث أن يبدى له كيفية حضورها أى بنت الملك سبا وكيف كان ذلك أى كونها احضرت فى أدنى برهة وقد حار لبه واشتد به كربه فى حل مشكل ما رآه فقال له الحكيم أسأل البنت تنبؤك عن حالها فسألها فى شأن حضورها وكيف كان ذلك فأجابت درة الأوان ونادرة العصر والزمان بألفاظ أرق من هبوب الصبا أنتم من وأما أنا فبنت ملك سبا وماهذا المجلس والاختلاء فأنبئونى عن احوالكم السعيدة وأنا أيضا أخبركم بأحوالى ولم تبد امرها من أول وهلة لأنها امعنت النظر فى المحل وخلو المجلس وتفرست فى امر الملك فتيقنت بأنه السلطان وكانت فتانة الورى وعبرة لمن يرى فعرفها الملك بنفسه وحدثها أبو الحارث بأمره وعرفها بنفسه فوقع الدور عليها فنطقت بألفاظ تحاكى بلابل الرياض وأعربت عما أغربت من منثور در لفظها الفياض فهب عليهم نفحات رضابها العسال فكان أعذب لديهم من نسمات الشمال اذ اشتد اشتياقهم لورود عذب الماء الزلال وقالت ابنة الملك سبا وكنت منفردة عن أهل دارى جميعا جالسة بمجلس قد خصه لى والدى ووالدتى اذ دخل على هذا الغلام واحضر لى نعلى وأشار لى فصرت متحيرة فى أمرى من أمر هذا الغلام وجراءته وتهجمه على مثل خلوتى فبينما أنا فى تلك الفكرة متحيرة اذا اعترانى حال فى باطنى ولم أطق التصبر ولم يستقر قرارى وصرت أوارى واقتفيت أثره كأنما تعلق بى كلاليب واسحب فلم أرى نفسى الاهنا ولكم الامر فاحسنوا الى فى عصمتى (قال الراوى) فلما تمت ابنة ملك سبا ذلك المقال وافصحت عن كشف غيب هذا الحال طمنوها بنفسها وان لاتهتم باشغال تفكر البال واعلمها الملك بالقصة هذا وقد كبر أبو الحارث فى عين الملك قدرا ومال اليه بكليته واستحسن ما صنعه وعلم أن هذا من أثر السحر والسيمياء وقد أمر بتخلية مكان من مجالسه الخاصة وأن يزين بأبدع التحف والذخائر وان تحضر به آلات الملاهى والطرب وقد خصه لها أى لابنة ملك سبا فزينته اذ هى دخلته وكملته وكانت بين الجوارى كالدرة بين الغربان اذا احدقوا بها من كل مكان هذا وقد سهر

الملك بقية ليلته مع أبى الحارث حتى بدت غرة الصباح وأذن مؤذن الفجر وديكه صاح وقد رآه الملك صدرا رحبا وصار الملك فى درجة فرح ما لو قسم على أهل الارض لوسعهم هذا ولما ان كان عند الصباح وقد اجتمع اهل الديوان ونصبت المحافل وعلموا ارباب دوله الملك بالقصة تعجبوا غاية العجب فأمر فى وقتها الملك بأن تحرر الكتب الى ملك سبا فصدروها بالاشتياق والمحبة ثم بالترجى والتعظيم عرفه عن المقصد وأرسل اليه التحف المتنوعة صحبة رسول من طرفه فصار يقطع الفيافى والقفار ليلا ونهارا وغدوة وابتكارا وهو فى هذه الحالة * ولنعدل نحن الى قصة ملك سبا (قال الراوى) وان ملك سبا لما أصابه ما قد أصابه من هم ابنته وكيف فقدت من بين يديه وجواريه مع تحصن خلوتها وتمنع حجرتها فصار فى أشد الحيرة لما أن الاقفال مغلقة كما كانت لم تتغير معالمها فاندهش ملك سبا من هذا الامر وضاق منه رحيب الصدر وأخذ فى اهتمام التفكر مدة ثم انه لم يلبث دون أن أحضر علماء عصره وحكماء مصره وأعلمهم بمادة هذه القضية تفصيلا وأطلعهم على مشكل الواقعة حرفيا تكميلا فحينئذ منهم من قال انها مادة جن ومنهم من قال انها مادة سحر ثم ان منهم من صار ينظر فى الاسطولات ومنهم من يقرأ فى كتاب فبحثوا بقوة العلم على الكيفية وتجسسوا خلال الديار ومراكز الأرض من طول وعرض وطاروا باستدلالات علومهم الى نحو الاوج والحضيض وعرفوا الكيفية جميعا فاخبروا الملك بأن احد الحكماء الماهرين قد استجلبها بقوة علم السيمياء الى جهة بغداد وسكتوا بعداذ ذلك عن المقال حين اطلعوا الملك على هذا السؤال فانغص الملك وقت ذاك من سماع ذلك الخبر امر باحضار الجيوش وتوجهوا الى ملك بغداد وأن يخلصوا منه ابنته بأى كيفية تكون ويحربوا ملك ملك بغداد قال فلما صدر امر الملك بذلك المقال والح على مقدمى جيوشه بذلك السؤال لم يرتض بذلك وزراؤه وقالوا له أيها الملك ان سلطان بغداد ملك عظيم لا سيما وهو خليفة البلاد الاسلامية وقد كان طلب منك هذه البنت مرارا فلم ترض أنت بذلك فاحترق كبده بنار المحبة والعشق وحضر الينا بعسكر عظيم فلم يقدر على مقاومتنا وها هو الآن نال معشوقته بعد مدة طويلة وهو متحصن برداء النصير الى ان نال ما رام من المنال وقد صار مالكا

الفيلسوف حكيم أصفى المشرب فهذا من المستحيل فلو كان جنى سليمان لا يمكنهم تخليص البنت من يده فعليك بالصبر فلما سمع الملك مقال وزرائه أنشد لسان حاله يقول هذا البيت متسليا به

سأصبر حتى يعلم الناس انني صبرت على شيء أمر من الصبر

(قال الراوى) ثم ان وزراءه قالوا الله اعلم أيها الملك ان ملك بغداد رجل عاقل ذو معارف ومقتدر ذو بان ولطائف سلطان صاحب شهامة وهيبة ووقار لا يرتضى لنفسه العار ويحتمل أنه أمان يردها أو يخطبها منك فاذا همته العالية الى هذا الامر فلا تراجعه بل أجبه الى ذلك فتكون اذا عند ذلك الوقت قد صاهرت من لو مال على جبل لهدمه ولا تنظر أيها الملك لعدم مقاومته ايانا حالة هجومه علينا بعسكره فانه قد دهته مصيبة العشق وأذهلت عقله وقد كان لحق عسكره تعب الطريق ونصبه فلو تمهل حتى يطمئن عسكره لاذهبوا معالم الارض من تحت أرجلنا فضلا عن تملك بلادنا ومع هذا لم نقدر عليه وهو فى حالة مغلوبة فى بلادنا وداخل مملكتنا وفرت عسكره من بين أيدينا ونحن محدقون به وقد فرنا جيا من بيننا كما يفر البازى من بين صفوف الكراكى مع صغر بدنه ولم يتجاسر أحدنا عليه والحاصل ليس لها نهاية (قال الراوى) فلما ان سمع ملك سبا مقال وزرائه استحسن مقالتهم وقد غاصت فكرته فى بحر التحير وأطرق مليا ونظر فى مرآة تخيلاته فلم يجد لغير الصلح موضعا كيف كان ذلك لعجزه هذا وقد مرت عليه أيام مع مقاساة الهموم وتجرعه كاساتها وتصبره على مرارة فراق من ابنته فبينما هو على تلك الحالة رافعا أعلام عقبانه مشرعا أجنحة غربانه سابحا فى ذلك البحر الزاخر آخذا فى اهتمام التفاكر اذ لاحت له أعلام البشائر المرسلة اليه من ملك بغداد على بعد فظن أن المقبل عليه قافلة تجار فامر باستكشاف أمرها فاذا هو رسول خليفة بغداد اليه فبشر بذلك فانسر وفرح فرحا جلا صدا قلبه وأمر باستقباله ودقت طبول البشائر بقلوب الخلائق ثم ان الملك عين محلا لنزول رسول ملك بغداد وزينوه بأنواع الزينة وتلقاه بصدر رحب وقد أمسى بمن معه فى عز وإكرام فلما لاح باكر الصباح ونادى مؤذنه ياحى على الفلاح وذكرت اقامة سيد الملاح صفوة الملك الفتاح جمع ملك سبا أرباب دولته وقرب اليه خواصه وأعرض عليهم الرسول

فتلقوه بأنواع البشاشة فقام حينئذ رسول ملك بغداد ونهض قائما ووقف بحضور الملك أى ملك سبا وادى اليه لوازم أنواع التشريفات وابرز اليه كتاب سيده وسلمه الى حضرته فشخصت عنده اعين الناظرين وانقطع الحس لديه واعرض عليه التحف المرسولة اليه ووقف متادبا بين يديه فامره بالجلوس وامر الملك بعد بفض ختم الكتاب واعطاه الى الوزراء فقرىء اعلانا وفهم مضمونه وكان قد صدر بحمد الله تعالى واثنى ببث الاشواق ووافر المحبات ثم انه ذكر ماوقع وجرى بينهما من المشاجرات والمعركة المشخصة ابصار الملائكة لعظيم واقعتها بسبب ابنته وذكر له انه امتلك حكيما فيلسوفا قادرا على مادون افعال القدرة وانه بنى ببغداد فى مدة سبعة ايام حماما على اربعين قبة ووصفه له على ماقدر وصفه وأنه مالك لاربعين مملوكا بيد كل منهم اربعون صنعة لاتشابه الواحدة الاخرى وادنى مافى هذه الصنائع ان احدهم جلب ابنتك من مدينة سبا الى بغداد فى طرفة عين وان هذا الحكيم افلاطون زمانه وارسطاطاليس أوانه وانه يقتدر على اختطاف قوة لقمان من فمه دون ايلام وأنه هو الآن وزيرى ودرج له بعض نكاته الغريبة ودعاه الى بغداد ليتشرف برؤيته ويتمتع بنظر ابنته وينظر عجائب مصنوعات ذلك الحمام البالغ الى الجو ارتفاعه وماذا يصير اذا حضر ورأى مالايرى غيره وان الدنيا دار زوال وقد وقعت الفرصة فى زماننا بما لم يره الاقدمون الا أفرادهم وربما لم يره المتأخرون كما قال الشاعر

عجائبنا تبـدو الى من يؤمها ... بناظره أى الجـهات تأرجا

فيبـدوا له مـالم يجده وانه ... يسر بهـا إذ أنـه يتفرجا

فاذا تشرفنا برؤيتكم وامضينا برهة من عمرنا بمشاهدتكم مع الاطلاع على تلك العجائب فاذاً نستكمل السرور ونبلغ الى غاية القصد وغاية أملنا التقرب اليكم واداء بعض خدمتكم واختتم كلامه بذلك (قال الراوى) فلما قرأوا ذلك المرسوم واعلان ذلك المكتوم واستمع له ذو الالباب ومن هم سادوا بمعالم الفهوم أعنى وزراء ملك سبا فاستصوب عقلاء دولته توجهه الى جهة بغداد وقد مالوا جميعا الى مشاهدة ذلك الحمام لما وصف به من بدائع العجائب وما سطر فى نعته من فريد الغرائب هذا وملك سبا قد استرضى بمصالحته مع ملك بغداد فعند ذلك ابتدر أولا بما يلزم من تجهيز الرسول

وأرسله سريعا وبعدها صار وايتذاكرون في امور سفرهم الى مدينة بغداد وقد استحضر ملك سبا جما غفيرا من العساكر بقدر ما يحتاج الى سفره ومقابلة صهره مما ينوف عن خمسة آلاف نفر غير اتباعهم ومعه من انواع التحف ما يكل الوصف عنه وقد سمت بغداد في ساعة مباركة وقد كان ملك بغداد منتظر ورود رسوله الى ملك سبا وما يقبل اليه فبينما هو كذلك واذا به قد أذاعه الزمان اليه وقد حضر لديه وحكى له القصة كما هي واقعة وان الملك بنفسه يريد القدوم الى بغداد ففي الحين أرسل ملك بغداد الى الطرق أناسا كثيرين ينتظرون أخبار ورود ملك سبا فبعد مضي برهة من الزمن أخبر ملك بغداد بورود ملك سبا ففرح بذلك فرحا شديدا وصار يتحادث مع أبي الحارث في كيفية استقباله فرأيا أن يبتدىء الملك بنظر ابنته ثم تعرض عليه أرباب الدواوين والدولة فوجا فوجا طائفة بعد أخرى مزينين بأفخر الملابس متوشحين بنقاب الآداب والتعظيم وقد تأبى الدنيا بحذافيرها الى من لا يرتضيها وترفض الراغب اليها (قال الراوى) والحاصل أن ملك سبا حين وروده بادر الى نظر ابنته فصارا تارة يتباكيان من شدة الفرح وتارة يتضاحكان كما قال القائل

هجم السرور على حتى انه　　من فرط ماقد سرني ابكاني

وقد شكرت ابنته له ملك بغداد شكرا فوق الطاقة وكان كذلك كيف لا وقد امتلكت صميم فؤاده وصارت تحت قيد أسرها وهدم حبها أركانه المشيدة فهذه الحالة تقتضي اكرامها فوق الاكرام ثم استقبلت ملك سبا العساكر أيضا فوجا فوجا فوقع ذلك يديه موقعا ورأى مالا يدخل تحت حصر عقله قال وكان محل ابنة ملك سبا خارجا عن المدينة فساروا جميعا حتى دخلوا بغداد هذا وقد نظر ملك سبا وأمعن النظر الى أبي الحارث فوجده اذا بأس شديد وفهم جديد ورأى فيلسوفا يكل الواصف لديه حسنا ومعنى ذا تؤدة في تكلمه حكيما في المعاني هذا ولم يكن ملك سبا أيضا قبل ذلك واقفا على حقيقة ملك بغداد وقوة شوكته وبأسه فعلم حين ذلك ان كلام وزرائه وأهل دولته له حينما كانوا بمدينة سبا لما ارادان يجرد على ملك بغداد في محله وأنه أهوى منه ولولا قوته لم يفلت من بين أيديهم فوجد ذلك حقا ورآه عين اليقين فأصفى له قلبه وقد استوثق بحال صحبته فدخلوا بغداد وقد برز الناس صغيرا وكبيرا ذكرا وأنثى يتفرجون

على زينة الموكب الذى لم ير له مثل فلما إن وصلوا دار المملكة وقد استقر وابمكان الراحة أنزلوا حضرة ملك سبا فى أشرف أماكن بغداد وأعلاها محلا وأجروا له رسوم التعزيز والاكرام هذا وقد اعتزل أبو الحارث عنهم ثم بعد استراحة ملك سبا رجع اليهم أبو الحارث وقد هيأ للملك سبا ضيافة ضاقت عنها صفحات الارض وخرج وصفها عن دائرة العقل ومكث ملك سبا على هذه الحالة معززا مكرما أربعين يوما وكانت هذه الضيافه بدار أبى الحارث للملك وعسكره ثم بعدها توجهوا الى دار السلطنة العظمى فقبض كل من الملكين يد صاحبه ودخلوها وهما يتحادثان فى أمر محامد الله تعالى وأنواع شكره فلما أن دخلوا مكان الجلوس أمر ملك بغداد ملك سبا أن يجلس على تخت الملك فامتنع وهناه به فلم يرض الجلوس الا معه وجلسا معا على سرير المملكة قال فأحضرت أنواع الاطعمة الفاخرة وبعدها رغب ملك سبا فى أن يتفرج على الحمام الذى بناه أبو الحارث بقوة علم السيمياء فأجاب أبو الحارث الى ذلك وترجى الملكين فى أن تكون ضيافة الحمام عليه فشكراه لذلك وقد استصوبا رأيه فأطرق اذن رأسه وخرج واشتغل في تدارك اللوازم فأراهما بقعة شبيهة بالجنان مزينة بأنواع الزهور من السنبل والقرنفل وأنواع الرياحين وقد اعتنق بعض الاشجار بعضا وهى مزينة بالزهور ومال السرو الى العرعر كأنهما يتحدثان على ضمائر أسرار الكون وغردت الاطيار بها من هزار وقمرى ودقت الدفوف وعلت أصوات النايات من كل جانب وكذا آلات الاوتار تخار لب ذوى الالباب عند ذلك وطار وغنت بلابل الايك من حسان الوجوه وسمع الناس من الالحان مالم يسمعه أحد قبل ذلك فظنوا أنهم فى الجنة أو أن ذلك من أضغاث الاحلام ونسى كل قرين قرينه وتاه عنه ولم يعلم أين هو وذهلت العقول وكان ترابها العنبر أو المسك الاذفر وقد هيأ أبو الحارث أيضا مجلسا للشراب وأحضر به من أنواع المشروبات ماتكاد بها العظام الرميمة تبعث وكانت المشروبات غير مسكرة بل منعشة للبدن وزين أيضا الحمام بزينة أكثر من هذه فأدخلهم الحمام فرأوا ارتفاع العقود وهى كأمثال قوس قزح أو طاقاته كأمثال الافلاك والاروقة كأنها من بناء شداد بن عاد ومساطب بغدادية (قال الراوى) والحاصل انهم تجردوا جميعا عن الملبوس ودخلوا الحمام فنظر ملك سبا الى الحمام فوجده معقودا على أربعين ايونا وبكل ايوان

قرنةوعلى كل قرنة صبي من أجمل الناس كأن صدره المرمر وسرته فسقية وساقاه
مبرومان كأعمدة البلور وأكتاف كسحيق السكر وأرداف ككثيب الرمل وجبين
كأنه الهلال ووجهه كالبدر وكأن قسي حواجبه قومت ثباها لتصيد الناظر اليها
وأهداب استعارت معانيها ألمها وسوالف كأنها بيض الهند وورد خديه يمنع الوارد
الوعود متأزرا بفوطة مذهبة الاطراف من الحرير الملون المرسوم فيه أنواع الرقوش
والنقوش وأرض الحمام من أنواع الحجارة المثمنة فسألهم الملك أعنى المماليك هل أنتم
مماليك أبى الحارث مشتراة ماله أم خدمه فلم يجبه أحد منهم فألح عليهم فلم يفيدوه
شيئا فعلم حين ذلك أن هذا من جملة أشغال الحكيم الفيلسوف أعنى أبو الحارث فاغتسل
وتفرج على أكناف الحمام بأجمعها وتعجب غاية العجب وخرج بعد أن أثنى على أبى
الحارث وعلم أن لله سبحانه وتعالى منن لا تحصى (يا ساده) ثم بعد اغتسالهم وانتهاء
الفرجة على ذلك الحمام وماشاهدوا من غرائب صنعه بأكمل اتمام دعاهم أبو الحارث
الى الحديقة التى مر ذكرها هم وأتباعهم فكانوا نحو العشرين ألف نفر فعزمهم فيها
ثلاثة أيام وأنعم عليهم انعامات خارجة عن درجة التعبير وفى ثانى يوم من أيام العزومة
نهض أبو الحارث قائما على قدميه وترجى وزراء وحكماء ملك سبا فى أن يكونوا واسطة
بينه وبين ملكهم على أن يترجوه فى تزويج ابنته المكرمة المحترمة المصونة المكنونة
ذات العصمة والبهاء الى حضرة وسعادة صاحب الدولة الفخيمة والنعم الوافرة العظيمة
سلطان زمانه وفريد عصره وأوانه حضرة ملك بغداد على السنة المطهرة المحمدية
فأجاب ملك سبا الى ذلك حين عرضت عليه تلك المادة واسترضى فى الحال فحضر من
يعقد النكاح واستشهدا الطرفين وعقد النكاح فتجددت الوليمة السلطانية ثانيا
وبقيت أربعين ليلة كأعياد العادة ودخل الملك على زوجته أى ملك بغداد على ابنة ملك
سبا ثم بعد ذلك أى بعد انتهاء مادة الزواج تصافيا الملكان مع بعضهما برهة زمن وقام
ملك بغداد فأرسل ملك سبا الى مملكته بأنواع التعظيم والتكريم مع بذل التحف
والذخائر له وبقى كل مشغول بما يلزمه وأبو الحارث أقام وزير مدبر لمملكة بغداد
وهذا آخر ما انتهى الينا من حديث قصة أبى الحارث (قال الراوى) ياسادة يا كرام
صلوا على نبينا خير الانام ومن هو أجل من اصطفاه الملك العلام وحيثما اجل أن

القصد فى هذا الكتاب قصة أبى على ابن سينا وماتقدم فهو على سبيل المقدمة فهاك
نظم سلوكها يامن تعاطى باليسير أدرك محلا للسمر

ها قد أذاع زماننا ما لم يكن قبل اشتهر
من قصة ابن سينا من أحيا لما كان اندثر
بالسيمياء سادت معا لمه وزال به الكدر
أين الفلاسف منه اذا قطف المعانى وابتكر
هاك اجتنى متفطنا ما ينتثر من ذى الدرر
وأنظم لآليك التى تجنى بها أحلى الثمر
ياراقد قم واستمع نظم اللآلىء فى السير
فأذا وعيت لما أقول من الدرر كن مدخر
وأملأ مسامع سيد عند التأرق فى السهر
وصلاة ربى دائما فى كل آن تستمر
تتلى على الهادى الذى من أجله شق القمر

(قال الراوى) أن أباعلى بن سينا عليه الرحمة وتدوك بالرضوان لما أن تخلص ونجا من أيدى ظالمى بلاد المغرب الذين قضوا عليه وعلى أخيه أبى الحارث فبعد تخلصه كما وقع سابقا فيما تقدم من الكلام أى حين وثب وارتمى فى الحوض كما شرحنا طلع الى مصر من النيل والتزم زاوية الراحه أياما عديدة واستنشق طيب الهوى اذا كان هذا ألذ ماهوى ثم أنهضته يد الاقدار وساقته الى التفرج بأزقة مصر ليوسع ضيق صدره فوصل الى مكان ذى أربع مفارق فوقف متفرجا على ممر الطريق وقد أمعن نظره واذا بصبى يخطف بجماله الالباب ويستعير هاروت من سحر عينيه ابتكار المعانى ويستسقى الغمام من ندى خديه ماء الحياة وكأن الجمال قال له كن فكان وقد شخصت له أبصار المحدقين وكأن لسان حال كل من المبصرين يقول

يامن يرى سحر القلوب تجارة ها قلبى المضنى اليك يميل
فاذا قتلت فخذ بقلبى انه اذ كنت فيه انه لقليل

(ياساده) وكان ذلك الصبى يبيع نوعا من الحلاوة ويرد اليه الناس من كل فج عميق

ولم يجد فرصة فى جمع الدراهم وهى ترمى اليه كنثر الزهور على العروس المزفوف وهو تارة يزن وأخرى يناول ومن كثرة حركاته تكلل خده عرقا وقد أحمر وجهه فهو كالورد الجورى وكان الناس يتفاخرون فى حلاوة جماله لا فى حلاوة صناعته فاطال هذا الحكيم اليه النظر وكان نقادا لم يأت الزمان بمثله ولم يسمح الدهر بنادر شكله كما قال الشاعر

ياذا الذى لم تكد عيني لتنظره … من نور طلعته والقلب مأسور

أمنن بأطلاق أسرى انى دنف … فان عتقت فانت اليوم مأجور

(ياسادة) وكان هذا الصبى رث الملابس لما أن صناعته تقضى ذلك لان أكثر أنواع الحلويات لايكون الا بمخالطة بعض الادهان فوقعت محبة الحلوانى بقلب ابن سينا موقعا وصيد بشبكة جماله وأقعدته يد القدرة عن المرور ولولا أن تدارك نفسه بحزم الامور ونوى أن يعلم ذلك الصبى أنواع الحلويات ليخلصه من محنة الاحتياج وماذلك الا لتمكينه من محبته كما قال شعرا

من الحلاوة تبتغى لك مغنما … وبك الحلاوة معدنا موصوفا

هاك التى ملكت يداى وجدبها … يحيى فؤادى وابتغى معروفا

ثم انه نحا نحو الصبى ووقف أمامه وكان يمعن النظر فى حركات هذا الجميل وشمائله التى تكاد أن تماثل الحور العين وكأنه أحد غلمان الجنة فلت من رضوانها فوقع فى محنة التأذيب ليعتبر بمطالعة آيات حسنه كل لبيب وصار يتصل نظره به ويبتهج بطلعة نور وجهه ولم يكد أن يفارقه أبدا فهو كاسد صاده غزال نفور كما قال الشاعر رحمه الله تعالى

ومن عجب ان الظباء رأيتها … تصاد بهن الاسد وهى كواسر

فالتفت التفاتة من الحلوانى فرآه كجلمود صخر لايتحرك أو فسورة مصورة لحائط أمامه فتعجب غاية التعجب وأخذ تيار الفكرة فى أمره وقال واعجبا لهذا الدرويش وامعانه النظر منى وما يكون مراده من ذلك فهل هو عاشق لجمالى أو هو جائع يريد احسانى وأراد التفحص عن حاله والوقوف على حقيقته فاعطاه جانبا من الحلاوة فذاقها ابن سينا وتفلها فى الحال الى الارض وما كانت هذه الحلاوة بشئ غير كونها من السكر أو العسل ولم تكن أيضا من يد ماهر الصناع وقد كان اتخذها هذا الجميل المحرك لاوتار القلوب وطبولها صناعة من والدته وكان جيرانه من التجار والبياعين قد

أكثروا ماحواليه من الحوانيت لاجل مشاهدة جماله لابمجرد التسبب لما أنه امتلك قيد أسرهم وماروا الطريق لم يشتروا حلاوته للتهابل لمجرد رؤياه وكان المار اذا رآه تحسر وتعطل عن أسبابه وتقيد بيد القدرة وقد ازدحموا عليه لمشاهدته فلما أن عاينوا تخصيص هذا المحبوب أبا على بن سينا للحلاوة حسدوه جميعا وتعجبوا لتفله اياه واستغربوا وساروا يكدروه فمن قائل أيها الحمار اذا أعطينا من هذه الفريد فى جماله الموقع قلوب الخلق فى شبكته وحبا له سما قتالا لكان عندنا بمنزلة الشهد ذى الشفاء ونحمد الله تعالى على رضاه ولو بالموت وفقدنا أنفسنا لرضاه أحب الينا من المعيشة مع غضبه ولا غضابه أشأم الينا من ايقاعنا فى أعظم المحن ولنا مدة ونحن بمقابلته نلتمس رضاه باهتين شاخصين اليه متوهلين بجماله نسلى قلبنا بمجرد رؤيته ومع هذا لم ننل درجة الاحسان منه وأنت امتلكت دولة إقباله عليك ومالت كليات شمائله لديك وأحسن اليك قلبه وحن الذى لو مال لنحونا لشفى منا مكابدة الشوق والعنا فلم يلتفت ابن سينا لمقالهم ولم يعتن بسؤالهم وأطال النظر لذلك الغلام وهو واقف لا يتحرك عن مكانه وأخذ تيار وهم التفكر فى نادرة هذه المادة وماذا يصير اذ هو تقيد بقيد أسر ذلك الجمال وصيد بشبكة ذلك البديع الدلال ولم يزل واقفا تجاه ذلك المحبوب وقد تداركته أوهام تكدر الكروب مهما بنفسه ماذا يصنع اذ هو تولع بذلك الجميل ومال قلبه فى محبته وهواه وصار متمتعا بالنظر من حسنه ومعناه متسليا ذلك الحين بمطالعة رؤياه هذا والغلام اذ ذاك مشغول بما أهمه من تكرار التفاته ثانيا لابن سينا لما أنه كثر عليه ازدحام الخلق فمن نوع مشترى وآخر مفترى لاجل مشاهدة جماله وانثنائه فى تيه محيه ودلاله ولم يزل ذلك الغلام مشتغلا بحركاته وهو تارة يزن وأخرى يناول الى أن آن رحيل نور النهار ودخل الليل انسدل على الكون بغياهب الاعتكار فحينئذ انقطع الطالب عن ذلك الجميل المحرك لقلوب العاشقين واستفاق فى ذاك الوقت من كرب الازدحام عليه ثم أمعن بنظره واذا بابن سينا واقف تجاه وجهه باهتا فى جمال رؤيته وهو لم يتحرك عن موضعه حيث و قف فلما رأى الغلام حدة نظره اليه وهو لم يعتن بشيء يكون الا استطالة النظر لديه ناداه حين ذلك الوقت الغلام وكان الطريق ذلك الوقت خاليا من المارين الا القليل

ولم يكن الورود متواترا، أيها الدرويش مابالك قد أطلت هذا الوقوف ولم تتحرك
عن هذا المكان لآخر تبتغى لك مآربا أوما تكون أنت له طالبا فاجابه وقت ذلك ابن
سينا أيها الغلام ومن هو استملك من قلوب العاشقين كل زمام الفائق بجماله على
ذوى الجمال المستعد من نور لمعة جبينه طلعة الهلال انى رجل متغرب عن موطنى
مفارق لدياري ناء عن الاطلال سائح فى الدمن مقتبس لفنون عجائب سوالف
الزمن مكتسب لخبآت أنواع الحكم من كل فن وقد رمتنى يد الاقدار بهذه الديار
وأنا لست مستأنسا بها بجليس وجار وقد مررت أيها البديع الفائق ومن استمال
قلب كل موله عاشق فرأيت مارأيت اذ لم أدر حين اسرت بقيادك واستغرقت فى
بحر هواك مستأنسا من استيحاشى باطالة نظر جمالك فاجابه الغلام أيها الغريب
الجانى ومن هو مطنب بوصف المعانى فما القصد بعد ذلك وما المراد أيها الدرويش
الربانى والكامل النورانى والهيكل الصمدانى فأجابه ابن سينا انما القصد مجرد
المشاهدة والمؤانسة على الصفاء وترك أسباب الاعراض والجفاء ومعاهدتنا على
اتباع الوفاء وسوف تبلغ منى أوفى منال اذ انت قد استكملت قيد اسرى بتية
عجبك والدلال فاجابه الغلام بسرعة مقاله مقبلا عليه بتية حسنة وجماله مائلا عليه
بأغصان قده ودلاله ايها الكامل بالمعارف قولك ابلغ وأوفى منال واستفيد منك
سوامغ الآمال فما القصد والدليل على ذلك وما استيقاع هاتيك المسالك أمن
لى بفكاكى من اسر هاتيك المهالك فأجابه ابن سينا بوقتها أيها البديع ونادرة الدهر
ألست ترضى استنقاذك من مشين ذل الفقر بجلب ما يغنيك عن تذللك لزيد وعمر
وسوف أفديك صناعة تغتنى بها أبد الدهر اذ أنت وافيت لى بودادك والصفاء وتخليت
عن اعراضك عنى والجفاء وصرت لى معاهدا باستدامة الوفاء فناداه الغلام مجيبا
لمقاله وقد استمال لاجابة سؤاله أدن منى أيها الوالد فمازالت لك من الآن وصاعد
خادم لا أديم نعالك مستمعا لمعانى أوامرك وأحكامك عسى منك أستفيد وأنال
وأبلغ منك درجة الكمال ولكن فما المعنى لمقالك استنقاذى من ذل الفقر وما
القصد بعد ذلك ومامرامك فقال له ابن سينا وكان وقت ذلك دخل الدكان حين ناداه
الغلام وصار معه جليسا ونال منه كل معنى نفيسا اذ هو لديه أشهى أنيسا، أيها المالك

قيادى ومن استملك أسر فؤادى أريد أن أعلمك صناعة أخرى غير صناعة هذه أى الحلاوة فانها دائما تزرى ولم يزل بائعها وصانعها رث الملابس مستوخما بتراكم الدنائس كيف لا وهى لا تصح الا بمخالطة الادهان ومعالجتها أوقاتا بصيد النيران وغير ذلك فأنا أريد أن أفيدك صناعة أخرى أليق لبهى جمالك وهى ألطف وأظرف لشمائل تيه محياك ودلالك وكان قصد ابن سينا أن يستنقذه من مهمات الكرب و يبلغ به مسالك أغنى طلب ويعلمه صناعة من بعض مكتسباته العلمية مثل استخراج المعادن أو الكيمياء فقال له الغلام وكان اسمه عليا الحلوجى أيها الدرويش أتظن أننى أبتغى صناعة فى أمر معاشى خلاف صنعة والدى حاشاى أبغى خلاف ذلك أو أسلك غير هاتيك المسالك فألح عليه ابن سينا بتكرار سؤاله فلم يقبل شيأ من مقاله فلما علم ابن سينا عدم اجابته لماله رغب عزم الآخر على رجوعه عن ذلك السبب وقال له حيث انك لم ترتض بما رغبت انالك فيه اذ أنك ما اطلعت على خافى سر معانيه ولو اطلعت على مكنون سره لا جبتنى فيه ولكن حيث ان قصدك أن لا تبتغى خلاف صناعة والدك فلا بأس بذلك وقد نظر ابن سينا فى الدكان واذا به عشرون صينية والبعض بها أثر النخالة وبالبعض أثر الذفر وبعض قزازات فصار يطيل ابن سينا نظره لتلك الصوانى والغلام على الحلوجى يسخر منه فقال له ابن سينا ان مقصدى كان خلاصك من هم الفقر من وجه غير وجه الحلاوة وانت لست من أهل تلك الدولة وقد شاهدت منك العقل قبلها ولكن استخفيت عقلك بعدها حيث أنك لم ترض الا بالحلاوة فلا بأس بها ثم ادخل رأسه فى جيبه وتلا ما يلزم من اسماء الخواص والعزائم فصارت النخالة التى بالصوانى انواع حلويات لم تخطر على قلب بشر كل صينية نوع بمفردها وقال لعلى اذا طلع النهار فبعها ولا تؤاخذ غير نفسك اذا كان مرامى تعليمك ما يسعدك بدون كلفة مشقة سعادة ابدية فانت لم تمل الا لصناعة ابيك فاحتد الصبى حدة اوقعته فى الهلاك ولم يلتفت الى الصوانى وكشفها وقال له يا حمار هل تتلاعب على ولد صغير بكلامك ومنا... فهل تصير الحلاوة بقول كن فقد علمت الآن غرضك الفاسد وقد اتعبتنى واقلقتنى زمنا وهم الى نبوت كان بالدكان ليضرب به فنهض ابن سينا بوقتها واقفا على قدميه وتعلق بسواعد على ونفضه خارج الباب فدار على

ثلاث دوارات وخرج من الباب ووقع بالسوق مغشيا عليه وبقى على تلك الحالة برهة
ثم أفاق فلم يجد نفسه الا فى صحراء واسعة فضلا عن ان يرى الدكان ولم يجد لمصر أثرا
فتاوه وتنفس الصعداء ولم يدر ببليته الا بعد الوقوع بأنيابها فتحير ولم يدر أين يذهب
ثم انه اتجه الى جهة وسار بها قليلا واذا بضاله فقصدها ولم يزل يطلبها حتى وصلها
فلحقه عساكر المتاعب واقعدته وهجم عليه انفار الغياهب والى زقة السنة الجاته
فلبث فى كهف المنام غير بعيد وإذا بصهيل خيل الصباح أقبلت عليه بأمر عتيد
ففزع من منامه مرعوبا واذا قد احدق به جماعة فأداروه كتافا مغصوبا وألحقوه
بجماعة كانوا معهم مغلولى الايدى وكان يلتفت تارة الى هذا وتارة الى ذاك يستنجدهم
ويتلطف بهم ويترجاهم فى تخلية سبيله وقد تفتت كبده من شدة الخوف فسألهم
ماذنبى وأين أنتم متوجهون بى وكان فى غاية الترفة فسحبوه عنفا ووكذوه بالرماح فى
جنبيه اللذين كأنهما وسائد قد ملئن حريرا فدمعت عيناه من شدة ما رآه وبعد
مشيه قليلا واذا برجليه قد تنفطتا ولم يقدر على المشى ولا وطئة الارض ولم يزل معهم
سائرا حتى دخلوا مدينة وباتوا بها فسألهم على الحلوجى عن اسم المدنة فعرفوه أنها
بغداد وأن ملكها سلطان كافة البلاد وقد كان أرسلنا الى جهة فلسطين فغزونا بها
ورجعنا سالمين ومعنا هؤلاء الاسارى ثم انه لما ان لاح بارق الصباح أعرضوا الصبى على
ملك بغداد فعين الاسرى الى محل مختص بهم وقرب منه عليا وخصه لخدمته فالتزمها
متكرها وهو مشغول ولسان حاله من ألم الفراق يقول

يا دهر مهلا كم تجور وتعتدى * وتنغص العيش الهنى الارغد
عاهدت انك لا تخون مودتى * ولكم بأحبابى تروح وتعتدى
ما آن أن ترثى لطول تشتتى * وتوحدى وكآبتى وتعبدى
أرجوا وآمل ان تحن ولاتحن * وترق يا من قلبه كالجلمد
وأسأت بى حقا بما أشمت بى * المحتال والمرتاد والمتمرد
حن الجحود لما رآه ورق فى * كل العداة بما صنعت من الردى

(قال الراوى) ففى بعض ليلة صار على الحلوجى يتفكر فيما حل به من مصابه وانه
تغرب عن مصر الى بغداد فى جزء من ليلة وقال ما أعلم هذا الحكيم الفيلسوف وما

اغزر علومه وانما أبدلت ماء حياتى بسراب النخيل ولم يبد أمره أبدا لأحد من أقرانه فى الخدمة ففى بعض يوم قصد ملك بغداد دخوله مع مماليكه فدخل معهم وهم حواليه كالبلابل وهو تارة يمزح مع هذا ويتضاحك مع ذلك وصار على الحلوجى متحيرا فى أمر الحمام وسأل أحد المماليك عن كيفيته انه فوق ماتتحمله طاقة البشر فأخبره الغلام بقصته وقصة زوجة الملك ابن ملك سبا فتحير على برهة مطرقا برأسه ثم قال ان هذا الحمام مثل قصتى فقال له الغلام وما قصتك فحكى له على الحلوجى قصته وموقع مجراها فبوقتها توجه الغلام الى ملك بغداد وأخبره ان فلانا يزعم انه حضر من مصر فى بعض ليلة الى بغداد وقص عليه الخبر فدعا الملك عليا واستعلم منه فأخبره بصحة الخبر كما وقع فاستحضر ابا الحارث واعلمه بكنه قصة على فاخبره ان هذا امابقوة السحر او السيمياء أو بتوجه أحد الاولياء فقال الملك لأبى الحارث وهل بين السيمياء والسحر فرق فقال له ان السحر علم يكتسب بالسفاله والسيمياء انما هى بالرياضات والطهارة ويتصرف السحر فى المناحس والسيمياء فى افعال الخير فتعجب الملك من الامرين ثم قال أبو الحارث للملك اذا أمرتنى أن أرجعه الى منزله فهو أمر سهل فقال له اسأل الغلام فاذا رغب فيها فسأله وكان هذا مما يتمناه على فأجاب الى ذلك فصبر الى هجوم ظلمة الليل اذا انسدلت ستائرها وقال لعلى اقبل الى فدنا منه فوضع قدمه على قدميه وقال له غمض عينيك فغمض ثم قال له افتح عينيك ففتحهما فاذا هو على باب داره ( قال الراوى ) وكان ابن سينا حين ماوجد عليا خارج الدكان عزم على قطعة خشبة فصارت على صفة على الحلوجى وأرسله الى داره بعلم السيمياء فاتفق انه كان يقضى مصالحه بالدكان ومصالح أمه فى البيت ويسار كل من كان يساره على ويبغض من كان يبغضه ففى ذات يوم مرض ولزم فراشه ولم تزل والدته تجلب له الحكماء والاطباء فلم يفده ذلك شيأ ففى المدة التى آن ان يحضر على فيها من بغداد اذ اشتد به المرض ونازع نزاعا مؤلما كنزع الموت ثم انه شهق شهقة ففارق بها الدنيا وحرم انتشاق نسماتها فحضر الحنوط والمغتسل فجهزوه ودفنوه ثم لما اقبل الليل دق على الباب فقالت والدته من بالباب فقال ولدك على فقالت وكيف ذلك الحال وفتحت الباب واذا به هو ولدها وقطعة كبدها فقالت له كيف خرجت لى من حيز العدم أنا فى استغراق الحلم أم هذه مرآة تخيلى فقال لها

يا والدتى قد كان مخبأ بضمير الغيب أن اسوح برهة ثم احضر اليك فقالت وأى السياحات سحت وقد مرضت أمس ومت اليوم ودفناك وقد انصرفت الجماعة الحاضرة لدفنك الآن وقد كانت وضعت ثياب الميت بصندوقها ولم تجسر على الدخول فى محل الصندوق فسألها عنها ففتحت الصندوق فلم تجد شيأ فقالت له ماهذا الخبر ياقرة عينى فقال لها ان هذا كله تخيلات وان القصة كيت وكيت وقص لها الخبر ثم سألها ومن الآن فى الدكان فقالت له أحد الدراويش قاعد بها فقال لعله الدرويش بعينه فلأمضين اليه وأنظره وكانت والدته من المخدرات المصونات عاقلة كاملة لاتقتحم خطب الأمور فأوصته به خيرا وقالت له اياك وافلاته من بين يديك وكن فى طاعته ما استطعت ولا تغضبه وكن فى خدمته كالعبد للسيد فانك تسعد السعادة الابدية واذا أغضبته ترزى رزية أزلية قم وتوجه اليه حالا فقبل يد والدته فدعت له بالخير الجزيل وخرج مهرولا الى الدكان واذا به الدرويش متهيء بهيئة على الحلوجى فلما أقبل اليه تبسم الدرويش له وهو ابن سينا وقال له أين كنت أيها الغلام فما كان جواب على له الا تقبيل قدميه وتلثم يديه وقد تضرع له وترجاه فى العفو وأنشد لسان حاله يقول

| | |
|---|---|
| يا سيدى انى قد كنت محتجبا | عن نور وجهك عند الحاج والسول |
| واليوم قد عاينت عيناى طلعته | فاجعلن بالعفو والاحسان مشمول |
| واسمح لمن جاء ولهانا اليك وقد | أضحت له بعدكم سود سرابيل |
| اذ ليس عندكم عوض ولا بدل | عسى أرى قيدى الممنوع مرسول |

(قال الراوى) والحاصل ان عليا الحلوجى صار يتملق للاستاذ ابن سينا وينتحب ويتضرع اليه وأرسل لآلىء دموعه على رياض وروده حتى كادت جداولها تشق عن جبال القمر وتنحدر الى كوثر ضابه والشيخ أى ابن سينا يتلطف به ثم أجلسه فمن الخجل لم يقدر أن يرفع رأسه فى وجه هذا الحكيم وازدادت دموعه انحدارا فاستبكى ابن سينا رقة به وطلب منه العفو فطلب منه ابن سينا العفو عما جرى له منه وما حنه من التعب وتحادثا طويلا فى نشر مطوى الاشتياق وتصالحا وتعانقا وأصفيا النيات وأجليا مرآة صدورهما من الغل والغش وتسامرا فى مجال المحبة برهة (قال الراوى) ثم ان ابن سينا قال لعلى اعلم ان ما رأيته من الحفاوة فى برية بغداد انما هو بقوة علم السيمياء وطلب منه بث

جميع ماجرى له فى تلك الغيبة فقص عليه القصة وأخبره بالحمام الذى بناه أبو الحارث وماجرى بين ملك سبا وملك بغداد وان الذى أحضره الى مصر انما هو أبو الحارث فعلم ابن سينا ان أخاه أبا الحارث تقرب الى ملك بغداد بواسطة أعجوبة الحمام ثم رجعا الى الملاطفة والمحادثة وتزينت روضة أوقات ابن سينا بتغريد بلابل در نظيم ألفاظ هذا المحبوب الذى تدق له طبول البشائر بالقلوب وقد بسط أجنحة حنانته ورأفته وبث مزيد الاشواق اليه فعند ذلك قال على لابن سينا ياسيدى أية حكمة كانت التى غربتنى عن قفص موطنى والحقتنى بديار أخاشن العالم الذى لم يرقوا الرفاهة أحوالى وجفونى وعاملونى معاملة الظالمين وأغرب من هذا ان والدتى أخبرتنى انى مت اليوم ودفنت فما هذه الحالة المحيرة للعقول تكرم على بخلاصى من ظلمة هذه الشبهات ووقع على رجليه فرفع رأسه ابن سينا وأخبره بالقصة حرفيا وأخبره ان الله سبحانه وتعالى تكرم عليه بعلوم كثيرة وان الذى رأيته هو بالنسبه هو قطرة من بحر أو ذرة من ذرات الشمس وأنى لما دفعتك وصرت بديار غير ديارك كنت عزمت على قطعة خشب فصارت مثلك بقوة علم السيمياء وهى التى ماتت فانى لما علمت أنا بقدومك أجريت تلك العملية لأن غربتك كانت مقدرة عندى فاندهش على الحلوجى والتزم السكوت ونوى أن يخدم الشيخ بقلبه ولسانه ويديه ورجليه وقد حصل منه فى برهة يسيرة علم السيمياء وعلومه أخرى وبعد ذلك لبس اللباس الفاخر وتفوط بالفوط الزردخان المقصبة وقنع بصنعته ولم يرض له الشيخ ابن سينا غيرها لما ظهر له ما سيكون فى مستتر الامر من واقعة حال ما سيبين ان شاء الله تعالى فصار على يبيع الحلاوة فى الازقة وهو فى حال منتظم من أفخر الملابس المدهشة للعقول مستمرا عن ساعد قرى فأينما توجه مكاننا تناهبوا حلاوة تجارته فمن جهة لذة جديدها تارة وأخرى من جماله ولطافته فكل من رآه يسلب لبه وعقله ويتعلق بحبال محبته ولم يقدر على مفارقته فحارت فى منتهى جماله الالباب وكم من مصونة شقت من أجل محبته الثياب فصار اكثر اهل مصر يقتفوا أثره وتركوا أمور معاشهم وقد شغفهم حبا ثم انه لما رأى أحوال أهل مصر آل الى ما آل آلى على نفسه ان يخرج الى جهة الأزقة والشوارع وقد كثرت دراهمه ودنانيره فأخبر بذلك والده المعنوى وأستاذه الصفوى ابن سينا فاستحسن رأيه

وزاد عنده قدره فاشترى الغلام غلمانا مثل بلابل الايك ذوى جمال وبهجة وكمال واستخدمهم بدكانه لطبخ الحلاوة فصاروا فى أشغال الطبخ وهو فى اشغال البيع وكان لا يلاحق على الناس بالحلاوة لان منهم مشترى ومنهم مفترى واذا أراد أن يتفرج فى أزقة مصر وشوارعها أخذ جانبا من الحلاوة وساح بها متوسلا بالبيع الى التفرج وكان قد استأصل الدكان القديمة من أساسها هدما وتوسع فيها وبنى جانبا منها دكانا وجانبا محلات للضيوف وبنى بها قصرا وخصه لباعث نعمته ابن سينا وزينه بأنواع النقوش وكان بالنهار فى البيع وبالليل مع ابن سينا فى المحادثة والملاطفة ( قال الراوى ) ففى بعض الايام حمل طبليته بجانب من الحلاوة ودار بأزقة مصر واذا به بازاء بيت والى مصر وقد كان له بنت فى غاية من الجمال مشهورة بالدلال بكرا معصومة مصونة وجوهرة مكنونة وقد حانت منها التفاتة الى على الحلوجى وهو يبيع الحلاوة أمام بيتها وقد علته الاصوات فتعجب من تلك الحالة فأمعنت النظر منه واذا به تؤم حسنها وجمالها يراها ولم تكد تراه فسبحان الذى أبدعه وصوره وبراه فشغفت به فى الحين ولم تجد للصبر محلا ولا مجالا فنادت ماشطتها وأرسلتها اليه فتوجهت ودعته الى داخل قائلة له ان من بالقصر يريدون أن ينظروا الى صنف الحلاوة وما كنهها وماهيئتها وما طعمها وما لذتها فأجابها الى ذلك واقتفى أثرها ودخل القصر واذا بابنة ذلك الحاكم أبرزت جمالها الى على بدون حجاب وبارزته بالمحادثة دون نقاب وقالت له أيها الجميل هل لحلاوة حالك لذة كمشاهدة جمالك أم مزخرفة لا طعم لها فبوقتها قدم اليها جميع أصناف الحلاوة وأجابها متأدبا ياسيدتى من لم يذق لم يعرف دونك وما شئت وكان على مطرقا برأسه من خجله وتكلل خده عرقا وتأدب فى حقها تأديبا مؤديا الى ميل القلوب فتمكنت محبته فى قلبها وصارت تلاطفه بالمحادثة مع كمال سكونه ووقاره إياها ثم نظر اليها من جانب عينيه فوجدها خارجة عن حد نهاية الوصف فصيد فى شبكة هواها وكانت هى اميل منه اليه بقلب مشغول وأنشد لسان حالها يقول

يا يوسف العصر الذى من حسنه ... حارت قلوب العاشقين بأمره
كم ذا أراه على التمتع ثابتا ... وأرى القلوب بأسرها فى أسره
لا تعجبوا من در نظم كلامه ... قد يستعير اللفظ رقة خصره

هذا الذى سلب العباد قلوبهم | وظمئت من شغفى وباهر سحره
وخشيت من ورد الورود لما أجد | من عقرب أو من اساود شعره
وظننت خيراً فى ورود رضابه | فرأيتنى مستغرقا فى شره

( قال الراوى ) ولما أن امتلأت عينها من جماله وصارت مرآة تخيلها متأثرة بخياله انصرفت الى زاوية الحيرة وقد خشيت الهجوم عليه دون الامهال فرأت أن السلامة بعدها عنه على كل حال فعند ذلك انصرف على الى حجرته وقد زاغت بصيرة له وفكرته فأنشأ لسان حاله يقول

أحن الى تلك السجايا وان نأت | حنين أخى ذكرى حبيب ومنزل
وأهدى اليها من سلامى معطراً | بمسك سحيق الابر بالقرنفل
وأذكر أياما بها قد تضرمت | بدار حبيب لا بدارة جلجل
شكوت الى صبرى اشتياقى فقال لى | ترفق ولا تهلك أسى وتحمل
وقلت له انى عليك معول | وهل عند رسم دارس من معول

( ياسادة ) ولما وصل على الى دكانه لم يتحمل الصبر وصار يتأوه ويتولون ويتوجع ولم يستقر له قرار فنظر اليه ابن سينا وهو فى تلك الحالة المؤلمة الموجعة فسأله عن حاله فانباه بقصته واطلعه على مكنون غيبها واعلمه انه اذا استتم له سويعات على تلك الحالة فهو هالك لا محالة وصارت عيناه تذرف دموعا كاللآلى المنثورة وترك الدكان وقصد نحو حجرة شيخه ومربيه ومرشده وأبيه فتبعه ابن سينا على الفور فوجده منزويا بزاوية يتباكى بها ويقول واويلاه وامصيتاه هل هذا حالة العشق وهذه مكابدتها ومشاقاتها أين المفر أين المقر ولم يزل فى مكابدة الوله من المحبة حتى انسدلت ستور الغياهب وانفرد عن العالم فتارة يعلو نحيبه وأخرى يتذكر حبيبه ويتعلق بعنق ابن سينا ويترجاه فى خلاصه من الم هذه الورطة وتارة يقبل يديه وموطىء رجليه وعيناه تذرفان الدموع مترادفة كأنما تعد اللآلى عدا واذا رآه فى تلك الحالة عدوه ناح وعدى وابن سينا يسكته ويتلطف بخاطره ويقول له ماذا تريد اخبرنى ولا يكون إلا ما تريد دون الوصل بوجه غير مرضى للشريعة المطهرة ( قال الراوى ) هذا ما كان من حال على الحلوجى (وأما) ما كان من حال ابنة والى مصر فانها لما فارقت عليا ونزل وخرج قاصدا حجرته

رجعت الى مكانه فوجدته مشحونا موقراً بالهوى وقد زادبها الجوى فصارت كالمجنونة المصابة وصارت تتأوه كالوالهة وهى تقول أين هو أين هو أين هو هربتموه منى دونكم واياه وزاد نحيبها واشتعل لهيبها وتارجت جهات البيت من تنفساتها مصعداء مسكا وعنبرا وعبيرا ولم يكن أحد بدرجة شغفها خبيرا فاقتفوا أثره فلم يقفوا على خبره فاخبروها انه جنيا فاختفى هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر على فانه قال لابن سينا ياسيدى صل حبل وصلى فاذا لم أنل مرامى فلابد لى من مهاجرة أوطانى وكان ابن سينا موهلا بجماله ولم يقدر على مخالفته ورد مقاله فادرج رأسه ضمن رقبته ومال كالمتفكر والحال أنه يعزم بعزيمة التى تزعزع أركان عرش من لم يوحد الله سبحانه وتعالى من أنس وجان وعلى منزوعنه باكى العين واذا بالمكان قد اهتز قليلا كان ابتداء زلزلة فرفع على رأسه واذا بالباب قدفتح ونار المكان من طلعة ابنة والى مصر لما عليها من الحلى والحلل المزينة بجمالها فبهت الغلام قليلا وقد اندهش من هذه الحركة ونظرت الابنة الى المحل واذا بدر تم ودرويش ذو هيبة ووقار فأمعنت النظر من الغلام واذا به بياع الحلاوة الذى كانت تتمناه وقد أخذها الرعب مما حل بها من دخولها فى مكان لم تعده فلما وجدت الغلام سكن روعها واطمأن خاطرها ولكن لم تزل فى دهشة لكونها لم تقف على حقيقة الامر فاطالت النظر بابن سينا فوجدته حكيما فيلسوفا عاقلا أديبا ذاهيبة ووقار وكأنما ظهرت عليه هيآت أعاظم الخلق وهو يعظ الغلام ويقول له أى ولدي هذه محبوبتك أحضرت فلاتقتحم على فك حجاب صيانتها ولافض نقاب بكارتها وإياك أن تجسر على ذلك والا أهلكت نفسك وشاهدت ما كرهت ولربما فارقت روحك قفص الدنيا وتكون ملوما مدحورا فلارخصة الى ذلك ولا سبيل الى مخالفة سنة سيد الاولين والآخرين وأما رشف الرضاب والمعانقة والتقبيل فليست مثل هذا القبيل فاياك ثم إياك من التهجم للحرم ثم خرج من الباب وغلقه عليهما فنهض فى وقتها على الحلوجى على قدميه واستعذر الى البنت وابرز اليها أنواع التأديب وقرب منها فالقاها مقومة لصيده الفاها من قسى حواجب استعارت النون معناها وأهداب اعارتها مهاها وجبين كبدر تم طلعته وقد كسف نور البدر لمعته ونهداها برزا للقتال فهل من مبارز فى ذلك المحال وقد يستر على كثير من الناس

بقية الحال فسألته الست أنت الذى صدت قلبى اليوم عند جلبك الحلاوة الينا فقال لى فقالت هل أنت أنسى أم جنى فقال من الانس فقالت له ماهذه الحالة المحيرة للألباب أجبنى بالصواب فقال لها بفصل الخطاب ان لمثل هذا الحال يعجز الشخص عن الجواب فلا تسألينى عنها ثم تقدم اليها فعانقها فرأت أن الحالة أوقعتها ولا ملجأ الى الهرب ولو لم تمكن وقعت لكان أحسن ولكن كان ما كان فعانقته هى أيضا لأنها كانت أشهى منه لذلك وتباوساو تراشفا رضاب بعضهما والتفت الساق بالساق ومالا الى المضاجعة على تلك الحالة حتى لاحت بشائر الصباح واذن ديكها وصاح ثم أقبل الشيخ وفرقهما من بعضهما وقرأ عزيمة فردت البنت الى منامها فاندهشت عند ذلك ونفرست فى نفسها وقالت لابد لهذا الأمر من آخر ويخشى على من ازالة بكارتى فيركبنى العار أنا ووالدى فدعت بدواة وقرطاس وكتبت القصة بأكنافها إلا مالم يجز ودفعتها الى ماشطتها لتدفعها لابيها فاحضرتها اليه فقراها وعلم مضمونها فاندهش وحار فكره فى أمره فامر باحضار أرباب الدولة والصولة والفنون والعلوم وأكابر المملكة فلما أن اجتمعوا جميعا أعلمهم بخبر ابنته وأطلعهم على كتابها فقرىء على رؤوس لاشهاد فتعجب الناس منه غاية العجب فنهم من قال انها عبارة ساحر ومنهم من قال انها أفعال جن وتفكروا جميعا فى هذا الامر واستصوبوا أن تحضر جميع جوارى القصر ويحتطن بحجرة ابنة الملك ومرقدها وأرباب السلاح خارجا حولهن فاذا رأوها مسحوبة لصقوبها ولم يفلتوها الى الصباح وكذلك اذا كان الصباح الى المغرب وهلم جرا حتى يعلموا حقيقة الحال فصاروا كذلك وأخذوا البنت بينهم وأحدقوا بها من كل مكان فلما كان وقت المساء وهجم عليهم جيش الليل فلم تر غير متأهب بأهبة سلاحه وجامع بلابل ملاحه وصار المتسلحون خارج المكان وصارت حجرتها منهم مكان المائدة وقد أحدقن بها الجوارى من داخل الحجرة وأيقنوا أن لاملجأ من الله إلا اليه ولا سبيل لملك ولاجن فضلا عن انس أن يسلبهم إياها غير مليك مقتدر وصاروا متحفظين عليها وشاخصين الى العشاء اليها فهذا ما كان من تدبير الملك وجنوده من أمر تحفيظه على ابنته (وأما) من أمر ابن سينا وعلى الحلوجى محبوبه فانه لما أصبح الصباح ولاحت بوارق نوره ولاح استقبل الشيخ القبلة على عادته وأدى

فرائضه وصلى على نبيه وقرأ أوراده فلما خلص وضعت له المائدة فتناول من الطعام
جانبا وصار على له مجانبا مائلا الى الوسادة باهتا من ألم الفراق فلم يناغشه ابن سينا لعلمه
بسهره طول ليلته مع محبوبته وظن أنه فى سنة من النوم والحال أنه من بعد مفارقة
ابنة والى مصر اياه لم يذق من مرارة الفراق غيره وقد كان ذهب عنه ضيره وقد
استغرق فى تلك الحاله برهة فلما أن تناول ابن سينا الطعام قرب من على وأمسك يده
البلورية المنظر الكافورية المخبر واذا به قد انتبه من وقته ظانا أن البنت هى التى
أمسكت يده فرمى بيده فى عنق ابن سينا فمال اليه الشيخ قائلا له ياذا الجمال الباهر
والجبين الزاهر وكان لايمل من نظره اليه ومال قلبه لنحوه وانفاد لديه لما جمع من
حسن العبادة والجمال فعلم ابن سينا بفراسته أن عليا ظنه محبوبته فاقعده وقال له ألك
فى الطعام حاجة قال حرام على مادمت فى حال الفراق وكيف أتناول مالم أجد له لذة
ولا طعما فألح عليه الحاحا كليا فلم يلتفت اليه فقال له انك لم تذق الطعام من أمس
واذا حضرت محبوبتك لم تأكل أيضا اشتغالا بها فاذا عاد الفراق بقيت أيضا بلا طعام
وهذا حال يطول شرحه ولربما عدمت نفسك وبطلت حركتك ولم تقدر على أن ترمق
فكيف يكون حال أمرك فلابد من مناولة قليل من الزاد لتقويم البدن، فقال له على وقد
ذرفت عيناه دموعا كحباب الحمرة على كوبة خده وابن سينا يمسح له دموعه ويهجمه
اعلم يا سيدى ان مابى من الاشتياق مثل حالتى التى كنت بها قبل المواصلة
وقد اشتعل فى قلبى نارها فياليت ما كان لم يكن وليتنى لم أولد وأن الموت عندى
ألذ من ألم ففراقها فاين المهرب والى أين الالتجاء ثم نهض قائما وتنفس الصعداء فلم
يطق التوجه الى أمه ولم يزل على تلك الحاله حتى اظلم ستر الليل وجاء وقت العشاء فترجى
الشيخ أن يحضرها له وقبل مواطىء رجليه فحنت جوارح ابن سينا اليه ومال برأسه
صحراء جيبه وقرأ ماتيسر من العزائم التى هى مستترة بغيبه واذا بزازلة بالمكان وبعدها
دخلت البنت عليه كامسها فبقيا على حالتهما الاولى وابن سينا لم يبرح عن مكان وصيته
ولم يتحول عنها كامس الماضى ( قال الراوى ) وسنذكر كيفية نقلة ابنة والى مصر
من بين جماعتها وذلك أنه كان فى نقلها أمر باهر للعقول وهو أنهم لما كانوا محدقين بها
من كل جانب واذا بها قد نهضت واثبة على قدميها فاخبرتهم انها متوجهة الى مكانها

أمس فتعلقن جواريها بها وأمسكن أذيالها من كل جهة فانتفضت من بين أيديهن وقصدت نحو الباب فوثبن عليها جميعا أى الحراث وعلت الاصوات فسمع ذلك بقية جنود أبيها فوقفوا جميعا طرا شاهرين سيوفهم وأسلحتهم رافعين أصواتهم دونكم لا تفلت منكم ابنة سيدكم. اياكم والفشل. اياكم والاهمال دون الامهال فاختفت بوقتها من بين أيديهم جميعا فى الحال ولم يقفوا لها على أثر فصار النسوه يبحثن فى حجرات القصور فى كل مكان على أن يرين أثرا لخروجها فما وجدن أدنى علامة اختلت عن مكانها وختوم المحلات كما كانت ولم يفتح باب ولم تنشق حائط فتعجبوا من هذا الحال المدهش والامر الباهر للعقول وتحيروا في أمرهم وأعلموا أباها بالخبر فجمع جنوده وحكماء مملكته ووزراءه وشكا لهم أمر ابنته وكيف يئول أمرها اذ هى مغصوبة فعجزوا اذا عن رد الجواب فأوجعهم بغلظة الخطاب وقال لهم لئن لم تدبرونى فى أمرى هذا والا فتفرقوا عنى جميعا فلهذا المهم كنت مدخركم وأما الامر السهل فلا يتعسر حله على غبى العقل (قال الراوى) هذا ما كان من أمر الملك وجنده ✲ وأما على الحلوحى ومعشوقته فانهما بقيا معا فى بوس وعناق وبث أشواق الى أن برق صبح الصباح واذا بها أى البنت بفراشها فصحن الجوارى وصرن فى حركة وأعلمن أباها بذلك ولم يجسر أن ينظرها من شدة حزنه وما وقع بقلبه من الكآبة فصاحت البنت وبكت دموعا تحكى قطرات مطر نيسان الذى يكون درا بالصدف وسما بالثعبان فيالها من حالة ادهشت ألباب ذوى المعارف وغلت يد كل تالد وطارف ومرض والدها من شدة غيظه مرضا شديدا ولزم فراشه وصار فى حالة نزع وهو مع ذلك يوبخ أهل دولته حيث لم يدبروا له تدبيرا لانقاذه من مهم مصيبته (يا ساده) فعند ذلك أقر قرار أهل دولته على أن يرسلوا يجلب أبى الحارث من بغداد ليفك قيد أشكالهم فاخبروا به الملك وقالوا له ان بمدينة بغداد حكيما فيلسوفا قد بنى حماما فى نحو سبعة أيام على أربعين عقدا تحت كل عقد قربة ماء من المرمر ودلاك مثل الحور العين يحير الباب الناظرين وأربعين أخرى مثلها خارج الحمام يرون مصالح الواردين وبهذا الحمام من النقوش التى تتحير فيها انظار المبصرين مستكملا لجميع اللوازم وبها عيون الماء تجرى أثناء الليل وأطراف النهار وبجانبه بستان مثل جنة عدن وفيه مالا تصفه العقول ووصفوه على

ماقد سبق فاستحسن رأيهم بحضوره وعين أنواع التحف والزخائر الى ملك بغداد
واستحضر شخصا السنا لبيبا وأرسله الية وأخبره بالقضية تفصيلا واستجار به فى خلاصه
من هذه الورطة وصار منتظرا للجواب وعض باسنانه مرارة الصبر ولم تزل ابنته على
تلك الحالة التى اشتهرت بها من نقلها كل ليلة هذا ماجرى ☆ وأما على بن سينا فقد
علم بقوة ذهنه وفراسة عقله انهم لابدان يبحثوا عن فك مشكلهم فوكل بدار أبى البنت
موكلين من الجن يسترقون السمع وهم كل يوم يخبروه بما يجرى عندهم من تدبير وخلافه
(قال الراوى) هذا ماكان من أمر هؤلاء ☆ وأما ماكان من أمر رسول والى مصر فانه
ما زال فى جد سيره حتى وصل الى مدينة بغداد فلما دخلها تلقاه ملكها بالترحيب
وخصص له محلا لنزوله فيه وعين له مرتبات الضيافة هو واتباعه فبات ليلته ولما أصبح
الصباح جهز التحف والذخائر وكتاب والى مصر وأبرزها بين يدى ملك بغداد فقرأ
الكتاب وفهم مضمونه واستعلم ايضا شفاها من المرسول عن قضية سيده وولى نعمته
فقص عليه القضية حرفيا فلما استعلم ملك بغداد ذلك استحضر أبا الحارث وأخبره بقصة
ابنة حاكم مصر وماجرى لها فقال له أبو الحارث اذا أمرتنى فهذا الامر سهل ليس بالعسير
فقال له الملك إنه استنجد بنا فى خلاصه مما حل به من عسير مشكلاته فاذا استصوبت ذلك
فهلم اليه فاجابه ابو الحارث بالسمع والطاعة ثم بعد ذلك تدارك ملك بغداد امر المراسلات
وأحضر من التحف مالا عين طمحت بنظره ولا اذن بسماعه وقد عزم أبو الحارث مع
رسول حاكم مصر على السفر قاصدين القاهرة فبقدرة الله تعالى وبواسطة ما أودعه فى
اسمائه من الاسرار المتصرفة فى علم السيمياء وصلوا الى مصر فى يومهم فتعجب رسول
حاكم مصر من ذلك وسار ينظر تارة يمينا واخرى شمالا وهو ليس بمصدق أنه دخل
أرض مصر وبقى كالمختل اذا نظر لانه وجد حارات مصر وأزقتها وجعل يسأل من
ينظره من أصحابه ويقول هل هذا حلم ام صحو ولم يزل فى بحر حيرته حتى دخل الى حاكم
مصر واخبره بماجرى له حال توجهه ورجوعه فتعجب غاية العجب ثم ان والى مصر
انزل أبا الحارث بدار مخصوصة واكرمه اكراما بالغا حد دائرة الوصف وأطلعه على
القضية حرفيا فعندما أحضر أبو الحارث مايحتاجه الى الرمل صار يجمع نار الطبيعة
ويضربها فى هوائها والماء فى التراب وبنى بروجها على جو القفار فلم يجد لما اراده اثر الخلط

الاشكال مرة أخرى وأنشأ تختا آخر وحاكم مصر ينظر اليه وقد علاه الهم وتحير هذا
وأبو الحارث تارة يجدد كان الحلوانى فى جزيرة محاطة بالنار وأخرى لم يجدها أثرا فقال
لملك مصر ان أمر هذا المشكل غريب وله واقعة حال فاذا استحسنت فاعرض على كريمتك
ومن محادثتها أرى ما يحل هذا العقد المتين فأجابه الى ذلك ثم أخلى مكاناً وأدخلهما
به ودخل عليه هذا الحكيم الفيلسوف اللبيب وقال لها ما شأنك فقالت له انى اذا
دخل على الليل أحس بحركة فى داخلى فلم أقتدر على الامهال دون القيام فأثب قائمة فلا
أرى نفسى الا وأنا بمكان لم أعلمه ولا أمله وأجد بستانا وداخله قصر مزين وفيه شاب
وشيخ ذو عظمة ووقار فلما استعلم منها أبو الحارث بذلك ففى الحين قص قطعة من اللباد
وعزم عليها فصارت بازيا فسلمه اليها وقال لها اذا دخلت المكان الذى فيه هذا الصبي
فارخيه عليه فانه يفترس به ويقطع قلبه ويعدمه الحياه وانظرى ماذا عندهم من
الفواكه والمآكل فاسترقى منه جانبا ☆ هذا ما كان من أمر أبى الحارث (قال الراوى)
وأما ابن سينا فقد كان كما سبق موكلا خدامه من طوائف الجن بدار الملك فيخبروه
بجميع ما يصير وما يستقر القرار عليه فحضر اليه أحدهم وأخبره ان الأمر كذا وكذا
فتحرز عند ذلك وصنع آلة بلوالب وسلمها الى على وقال له اذا جاءت البنت الليلة ومعها
البازى فأبرم اللولب على البازى دون امهال بمجرد دخولها والا هلكت فى الحين فأجابه
بالتلبية قال وقد كان على ما حكى ان فريد عصره ابن سينا قد شبه دكان على الحلوجى
بقلعة بجزيرة ببلاد الهند تسمى مساقيه وهى قلعة مشيدة الاركان ويخرج ببحر تلك
الجزيرة نوع من السمك يسمى حوت يونس ولحمه وعظامه عندمية اللون فأحضر جانبا
من لحم ذلك السمك بمائدة على وان عظام ذلك السمك يعمل منه خرزا كالمرجان
وكثيرا ما يحضر من بلاد الهند الى غيرها للاقطار وليس هنا القصد ✽ والحاصل ان الغلام
صار منتظرا هجوم جيش السواد الى جهة ذلك الوادى فما استتم انسدال ستر الليل الا
وحضرت ست الحسن والجمال والبهاء والكمال والقد والاعتدال قد حضرت عنده
فى الحال فلم يحصل امهال ولا اهمال دون ان فرك اللولب على البازى وكاد يقتل
البازى فانقلب فى الحال الى قطعة لبادة وقال لها يا نور عينى ومزيلة الهم بينها وبينى
ويا متسلطنة بجلوسها على ايوان قلبى ويا من حالت بين قلبى ولبى لماذا تبارزينى

بميادين الجور والجفاء وما الأجر الالمن قدر وعفاء الست المصادة أولا بشبكة محبتى ثم تكلبت المحبة من مهجتى وقد كنت المدبرة فى ان ناديتينى الى قصرك وأريتينى الامان مابين طى خصرك فهل يجوزلك الجور عسفا علينا والحال أن لاموجب لذلك لما ان الله أعلم بما هنالك والقصد فى جمع شملنا ماهو الامجرد النظر والمجالسة وبث الاشواق والمؤانسة وقد قام نحو قدمى هذه الدرة اليتيمة وصار يمرغ خده فى تراب رجليها وصار يمر بمرآة وجهه على حدائق ورد خديها وتارة يجلى صدا قلبه بمجرد لمسه بيدها فلما نظرت هذه الدرة الى خيبة مقصودها وأن لامهرب الا الى معبودها سلكت مسلك المجون والهزل وأبدت له نظم در ألفاظها كالغزل وقالت له ياعندليب جنانى ويامالكا لحديقة جنانى ان جميع ما قلته فى محله انما الذى حيرنى هو عدم معرفتى اياك هل أنت جنى أم آدمى لم تقل لى وأين نحن وقد شنعت باسمى مابين الخلق فماذا المقصود من هذه الحالة التى طالت حيال مدتها ولم نحص معشار عشر عدتها فاذا كان قصدك الجور والجفا فاقض ماأنت قاض فاجابها لاتشتبهين فى شىء انا انسى مثلك ولست بساحر ولاجني واذا أردت معرفتى أنا الذى كنت أبيع الحلاوة بأزقة المدينة ولم يكن لى سبب آخر غير الحلاوة وأما أنت فأخبرينى هل أنت من طوائف الجن أو الملائكة حتى سحرت لبى فى رؤية واحدة وصرت لا أتمالك قرارى وان الدرويش النورانى والكامل الربانى الذى رأيته فهو الذى أحضرك هنا وله معارف لاتحصى وفنون لاتستقصى فعندها نظرت البنت الى المائدة فوجدت لحم حوت يونس وعظامه بها فتعجبت من حمرتها وقالت ماهذا وجعلت كانها تتناول منها وحنت قطعة منها وقد كانت هذه البديعة فى الجمال العديمة المثال التى لو قومت لما تومت بمال أميل الى محبة على منه اياها ولكن لم تجد أطبة لمحنتها ودواها ولكن آل أمرها الى ما آل وقد انتشر بين النساء والرجال وحال بين مرادهما ما انتشر من طى الاحوال وأنشد منها قائلا لسان الحال

| | |
|---|---|
| يامن يرى عشقى لهذا الأغيد | لم لا ترق لحالتى وتواجدى |
| مثلى ومثله فى المحبة والضنا | ماسهمنا منها سوى عض اليد |
| لم نلق غير مشقة حاطت بنا | وغليل شوقى ناره لم تخمد |
| وكآبة وصبابة وتذكر | ويخيب سعى عند نيل المقصد |

ومضى زمانى فى تفكر حالتى　　بتحسر وتنفس وتنهد
شوق اكابده وحزن متلف　　يالهف قلبى من هجير ترقدى
ضاع الزمان بما أجد من كربه　　ووقعت فى وجد عظيم مقعد
لم الق لى من عاطف ذى رحمة　　من مسلمى زمنى كذاك ومعتدى
يا عالمين ألا ترو من منصف　　يحنوا على بزورة المسترد
هل من صديق ذى وداد صادق　　يرثى لاسقامى وطول تسهدى
أشكو له ما قد اقاسى من أسى　　والطرف منى ساهر لم يرقد
ويطول ليلى فى العذاب لاننى　　أصلى بنار الهم ذات توقد

(قال الروى) ثم انها قالت له يا محبوب القلوب ومن أبدعت فى جماله ضمائر الغيوب حيثما أن هذا الدرويش الحكيم الماهر الفيلسوف الباهر المتصرف في مبتدعات المظاهر قادر على جلبى من منزلى بالعنف من بين أهلى واعوانى لم لا يخطبنى لك من والدى على سنة نبيه وكتابه وكان ذلك اليق به أن يبطن ما ظهر من مكنون أمرى وحالتى التى صارت حيرة لأولى الالباب، فقال لها على انى أخبرته بهذا الامر وترجيته فيه فاجابنى بأنه لابد لقصتنا من واقعة حال، فحين ذلك سكتت عنه وأمسكت عليه الحاحها فى تكرار السؤال، وحمدت الله تعالى ورضيت بهذا الحال قال ولم يزالوا على ذلك الايضاح حتى أذن مؤذن الصبح ولاح، ونادى المؤذنون حى على الفلاح، فتفرق شملهما وانقطع حبل وصلهما فوجدت سيدة الملاح نفسها فى مخدعها وقت الصباح فعندها استخبر منها ابو الحارث عن القضية فأفصحت له عن تلك الماهيه وأبرزت له عظمة السمكة فتفطن بوقتها محل تلك الهلكة وقال لابيها أبشر أيها الملك بأنى عرفت مكان الواقعة فلا تجدن اصاحبها راية رافعة وإنه ببلاد جزائر الهند جزيرة تعرف بمساقية ولم يخرج صنف هذا السمك الذى جلبته إلينك فى جميع أقطار الارض الابها. وكم أشكال الرمل تدانى عليها وقلعتها وانه بدائرها النار محاطة بها بما أنهم عبادها فتيقنت الآن منها ثم ابتدر الى الاسطرلاب ونظر فيه وقابل اشكال الرمل بتقويماته فلم ير سوى ماتقدم من أمر جزيرة مساقية ثم سكت وفوض الامر الى ابيها فجمع اكابر مملكته وشاورهم فى أمره وكيف يصنع فأجابوه بأنه يرسل الى ملك الهند رجلا جرئ الجنان ثابتا فى المقال

عارفا بأمور الاحوال ذاسكون ووقار ويترجوه فى حل عقدة مشكلهم الذى حل بهم فرآه حسنا وشرع فى تحصيل أنواع التحف والهدايا وكتب كتب التحايا وترجاه فى أن يتجسس على هذا الامر وأن يأمر صاحبه بالانفكاك عنه وأرسل الرسول اليه وصار منتظرا قدومه ونوى أنه اذا لم يصر ذلك المشكل هينا جرد على ملك بلاد الهند جرادجنوده ويخلعه عن تخت مملكته واذا ظفر به يطعمه الزقوم ويعدمه شمة نسيمات الدنيا الى يوم التلاق فهذا ما كان من أمر ملك مصر وما دبر من ارساله لملك الهند وما سيجرى (قال الراوى) وأما ما كان من أمر أبى على بن سينا وبراعته وتحويله دار على الحلوجى الى غير داره فانه حيرهم ولعب بخسيف عقلهم وسارهو وعلى فى صفاء وسرور وأنواع الحبور نهارا وعلى ومحبوبته ليلا على أتم الافراح مرتشفا من عقار رضابها بالأقداح وهى ولو انها فى ولولة أمرها لم تجد عنه صبرا الا أنه صار عندها كالعادة اذا تنتظر قدوم الليل لتختلى بحبيبها وقرة عينها راضية كانت أو مقهورة فاذا لم ترض فماذا تعمل فابدلت الغضب بالرضا وسلمت الامر للقضا هذا ما كان من امر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من أمر رسول ملك مصر فانه لما توجه الى ديار الهند لم يزل فى جد سيره وهو يقطع مفاوز القفار مواصلا سير ليله بالنهار حتى وصل الى هاتيك الديار فلما وصل الى بلاد الهند بادر بالدخول على ملكها وأعرض عليه التحف المرسلة اليه وسلمه كتاب ملك مصر ففض الملك ختامه وفهم صباحه وقتامه فتعجب من ذلك غاية العجب وقال للرسول كيف تصدقون هذا الذى يدعى المعارف على جهله وهو منها كما بين السماء والارض والواقع أن هذه الجزيرة موجودة عندنا تتأجج نارا وكلما قربت منها سفينة لن تنجوا من شدة عصف الريح [illegible] وقل ان ينجوا من الالف سفينة واحدة وبها النار كما زعم وانها ليست نار سحر وبالفرض اذا كانت هذه النار نار سحر فكيف يقيم بها حيوان أو انسان وانما ملككم من سخافة عقله لما عظم به من مصابه صدق هذا الكذاب افلم يكن فيكم رجل رشيد يعقل الكلام وهل كلكم على سياق واحد وليس من نعتنا امر السحر ولا غيره وكتب الملك مصر انواع التوبيخ وصار يوبخ رسوله ايضا وطرده من قدامه ورد تحفه عليه ولم يقبل منها شىء وطرده من دياره فوقع بهذا المسكين خجل لا يتحمله احد وانما كان احق به ذلك لعدم فكرته الصائبة اذ هو من اعاظم الوزراء عند صاحبه هذا ما جرى للرسول

﴿يا سادة﴾ وأماما كان من أمر ابن سينا فانه حكى عنه أنه ذات يوم توجه ليرطب جسده بحرارة الحمام المعتدلة ويغتسل فبعدما اغتسل خرج يريد الانصراف وأراد ان يناول الحمامى مقابلة استحمامه فلم يجد كيس دراهمه فى جيبه فاخذ محرمته ووضعها أمام الحمامى رهنا على أجرة الحمام اذ كانت تساوى هي أضعاف ذلك وكان الحمامى فى درجة من خسافة العقل والحماقة والبخل والقساوة لا يعلوها درجة أشعبى المذهب وقد توارثها من ابيه مذهبا فضلا عن أنه لا يحسن لاحد بشىء ممن يحسن اليه فنهر ابن سينا وعلا بصوته عليه قائلا له يا حمار الوحش أنت تصبحنا يا فتاح يا عليم بوجهك الجنب بدون فائدة ورمى بالمحرمة فى ممشى العالم فخجل ابن سينا عند ذلك وأطرق برأسه وكان أحد أرباب المروءة جالسا فعزر الحمامى تعزيرا غريبا وقال له ماهى الأجرة التي تملأ مسامعنا من أجلها ما أوقعنا جميعا فى الخجل وانت بمعزل عن الحياء وقد أحس على ابن سينا بملء كفه دراهم فاعطى منها أجرة الحمامى وفر خارجا من الحمام وقد اشتدت حدته ولم يصبر ولم يسعه ثوب التصبر فعزم عزيمة ونفث بحذاء مدخنة الحمام فخمدت ناره من حينها ووقع داخله ريح كريح صرصر فخرج الناس عرايا جميعا واسنانهم كمطارق الحداد واجنابهم كسلوك الطنبور ترعد من شدة ألم البرد فسألهم الحمامى عن حادثة الخبر فلم يجد من يرد له جوابا وصار الناس يسارعون نحو باب الحمام وخرجوا بدون دفع اجرة فبادر الحمامى داخل الحمام وفتح بابه فسمع حس الرياح مثل ليالى الشتاء فى بلاد الروسيا وأحس بأن ألم البرودة وصل الى ثدييه وجفت دموع عينيه ــ فهى كالحجارة أو اشد قسوة ــ فلم يطق صبرا وعلم ان هذه الحالة ليست الا من فعل الدرويش وانه ليس بخال من الاسرار فدبت فيه النار من شدة الدمار ومن لم يرتض بالمر صبر على أمر منه هذا وقد انتشر الخبر بالمدينة من واحد الى واحد حتى وصل الخبر أكابرها فكان من لم يصدق يحضر فيجد ماهو فوق ما سمعه وصاروا جميعا فى فكرة عظيمة وحيرة عجيبة (قال الراوى) ولما أن شاع خبر الحمام بذلك الشأن سمع أيضا أبو الحارث بذلك الخبر فقال لملك مصر ان هذه القصة ليست بقليلة وانما هي من أمهات العلوم وان بمدينتك هذه من هو عليم بالسيمياء وان جميع ما وقع بمدينتك منه فقبض ملك مصر وقتها على غضبه بلجام الحماقة واطلق عنان لسانه على ابى الحارث قائلا له يا كذاب قد ظهر لنا كذبك

وكنا صدقناك أولا فى مقالتك وأرسلنا بديار الهند رسولا من حماقتنا والآن نقول انها مادة سهل تناولها فقال له وزراؤه نعم الرأى واعلم وأى خسارة علينا ففوضوا له الامر فأمر باحضار الحمامى فأتى فسأله هل اذا رأيت الدرويش الذى صنع معك ما صنع تعرفه فقال نعم فقيل له وما لباسه فاخبرهم بملبوس ما أخبرت به ابنة الملك فصدقوه فأرسل الملك معه بصاصين ليكشفوا أمره هذا ما كان من أمر هؤلاء (يا ساده) وأما ما كان من أمر الرسول الذى كان أرسل لملك الهند فانه لم يزل سائرا فى ظلمات الكد والتعب حتى وصل الى مصر وأخبر بما جرى له جميعه أمام هذا الامير فتعجب وأحضر أبو الحارث وقرأه الكتاب فخجل وعلم أنه لم يصب وأخطأ واحتار الامراء جميعا فى أمرهم ولم يقدروا على رد الجواب مما وقع بهم من ألم الخجل اذ أنهم تشاركوا فيه جميعا وسكتوا نحو ساعة لم يقدروا على التملل عن أماكنهم فضلا عن التكلم فتكلم أيضا فى الحال أبو الحارث وقال للملك اننا نسأل البنت ثانيا ومنه يتضح الحال فسكت الملك وكان سكوت الملك فى أنه صرف كذا من الخزائن وأحضره من بغداد لاجل ما ليس هو لحله بأهل وقد كان باعثا فى تخجيله مع ملك الهند وصار ملعبة فيم بين أقرانه وانتشر بسببه خبره حتى وصل لبلاد الهند فقال مستهجسا فى نفسه انك أنت الآخر لا تنفع لشىء بل كنت على أعظم بلية واعلن بصوته قائلا انتم تعرفوا ما يؤول اليه الامر فدونكم وما تريدون ثم سأل البنت أبو الحارث عن كيفية توجهها هل عند توجهك تتوجهي طائرة أم ماشية فقالت ماشية وكأنما أسحب وأمر بحارات البلد وان المكان الذى أتوجه اليه هو دكان فى وسط السوق فقال لها أبو الحارث هل اذا رأيت الدكان تعرفينه قالت أظن انى أعرفه فاقر قرارهم على أنهم يغلقوا جميع الدكاكين وتنزل البنت لتعرفهم على حالة البحث (قال الراوى) وأما ابن سينا فانه لما رأى أنهم قصدوا المباحثة عليهم بكليتهم فقال يلزم انى أظهر نفسى لهم حتى أرى ماذا يصير ففى بعض الايام خرج الى السوق وكان به دكان مخصص لمقعد الاكابر فقصده وقعد فيه واذا بتقدير العزيز العليم قد طلع الحمامى أمامه فغمز البصاصين أن هذا الدرويش بعينه فتقدم اليه كبير البصاصين فوجده درويشا ذا وقار فلم يمهله دون أن قبض على رقبته وسحبه اليه وقال له قم يا قليل الادب أجب أرباب الدولة فقال ابن سينا أنا فقير وماذا تريدون منى فلم يلتفتوا الى مقاله وجروه حتى لم

يدعوه يلبس نعاله فرأى أن لا ملجأ منهم ولا مفر ☆ فيحكى من عجائب حكاياته أنه وهو معهم بتلك الحالة عزم وقتها وتفل على ثياب نفسه متنفثا واذا به صار الصوباشى بعينه ودفع الصوباشى دفعات كاد أن يكبه على وجهه فتعلق الصوباشى به ودفعه وعلا بينهما الكلام والضجيج وأحدقت بهم الناس من كل مكان ولم يزالا على تلك الحالة حتى دخلا الديوان وتزاعقا وتصارخا مليا فابتدأ الصوباشى يقول للملك دونك وهذا الدرويش فانى قد أمسكته فى الدكان الفلانى وقبضت عليه فأدخل صورته وشكله فى صورتى وشكلى بالسحر وتأخر وهو يمعن النظر من ابن سينا فصاح عند ذلك ابن سينا وتقدم من مكانه وأخر الصوباشى ودفعه دفعة كاد أن يسقط بها على الارض ووثب الى جهة أرباب الدولة وقال اعلموا أن جميع ما صار لنا من التعب والقلق انما هو بسبب هذا المنحوس وهذه من أعظم نكاته وسحر أعين الخلق حتى رأوه فى شكلى وصفى وقد رصدت له وقت الفرصة حتى ظفرت به بدكان فلان فقبضت عليه وجذبته الى فجعل يعتذر ويتملق بين يدى فلم أفلته فمن حرارة ما وجدمنى من ألم الجفاوة قلب صورته ودخل فى شكلى هذا والصوباشى الحقيقى جعل كلما يتكلم ابن سينا ينظر اليه من أقدامه الى رأسه ويبعد منه مخافة من شره وفوض الأمر الى أرباب الدولة وهو باهت من الزور والبهتان وصار متحيرا فى أمره وكيف الخلاص من ذلك العدوان وكيف تكون نجاته من هذه الورطة التى قد أحاطت به وجعل يقول لا تصدقوا هذا المفترى الكذاب انما حركاته وبدعاته من عظم سحره فعند ذلك تحير أهل الديوان ولم يفرقوا بين الاثنين وقد أرادوا امتحانهما فسألوهما كلا بمفرده عن متعلقات الحكومة فأجاب كل منهما بالصواب فقال ابن سينا أيها الرؤساء وأكابر الدولة لا تعجبوا من أمر هذا الساحر اذا أخبركم بمكنونات الغيوب فانه على أكثر من هذا يقتدر بقوة سحره وقد كان بمقدور الله تعالى فى ذلك اليوم موجودا فى المجلس قاضى المدينة فقال أنا أخلصكم من هذه الورطة وهو أنكم تدفعوا بليتكم بأحد أتباعكم وتجعلوا قربان هذه المادة وتأمروا بصلب الاثنين وفكوا هذا المشكل فانهما اذا صلبا بطل اذا السحر وظهر لكم الدوريش من الصوباشى وجعل القصد هلاك الدوريش فاذا هلك فتوسدوا وساد الراحة والزموا فراشها قال فاستصوبوا رأيه جميعا فعند ذلك صاح الاثنان وهما

يقولان أيها القاضى على أى كتاب قضيت وعلى من حضرت هذه المسأله وهل
ماقلته مرسوم بكتاب مطالعتك أم حكمت بمجرد رأيك فان كان من كتاب أرنا اياه
وان كان بمجرد الفهم فليس هذا من شأن أحكام الشريعة بل هذا من اجتهاد أهل
الديوان لأجل راحتهم ومن عجزهم عن فك هذا المشكل (قال الراوى) وقد كان صوت
ابن سينا أعلى من صوت الصوباشى وأقدر منه على المناقشة والصوباشى ولو أنه
بذل جهده فى خلاص نفسه فانه لم يفده ذلك شيئا وأخيرا مال أهل الديوان بتفكرهم
وفراستهم على صلب الصوباشى وقد سلموه لكبير العسعس وأمروه بصلبه وبقى ابن
سينا نهاره فى قضاء مصالح الديوان وأما المسكين الصوباشى فانهم أداروه كتافا وساقوه
معهم الى المشنقة ونادوا بأعلى أصواتهم فى جميع الجهات ان يحضروا شنق انحس
الخلائق من كان سببا فى شناعة ابنة ملك مصر فاحس بالخبر على الحلوجى فحارت
فكرته وتكدرت سريرته وضاقت به الارض بما رحبت وجعل يبكى من مقلتيه
دما صديدا ولم يستقر بمكان مماحل بأستاذه وقال انه فقد بسبب ميلى الى الشهوات
فيلسوف كامل عليم بخفيات الامور واغوثاه واندماه هذا ما كان من على وأما الناس
فقد اصطفوا صفوفا على شنق الصوباشى متفرجين عليه من كل جانب حتى النساء
من الطاقات قال فعند ذلك تفكر ابن سينا قليلا وقرأ عزيمة وغاب عن أعين الناظرين
ودخل فى صورة وشكل كبير العسعس وادخل كبير العسعس فى صورة الصوباشى
والحقه به فصار الصوباشية اثنين فزعق الآخر قائلا أنا لست الصوباشى وجعل
يتخلص ويتعلق بالناس ويترجاهم ويقول لاحبابه ارجعونى للملك هذا وابن سينا
يقول اسكتوا هذا القليل الادب واسحبوه فسار بهما نحو القلعة وصلبهما ورجع
كأنه يريد الديوان لاداء وظيفته ووكل بهما من يحرسهما ففى حال صلبهما انقلبا
على صورتهما الاصلية وملابسهما كالعادة المعهودة فيهما وعزم ابن سينا بعزيمة أسرع
وملا من الكبريت الاحمر ونفث على نفسه فاختفى عن أعين الناس وتوجه الى مكان
على الحلوجى وأخبره بنفسه فانسر سرورا عظيما ثم أخذا بيد بعضهما واختفيا عن
أعين الناس بقوة الاسماء وساروا بأزقة مصر يتفرجان ويتحادثان ثم رجع ابن سينا
به الى الدكان وحدثه بالواقعة وتضاحكا طويلا فتحدث الناس فى امر الصوباشى وكبير

العسعس وانهما صلبا فوصل الخبر الى الملك ابى البنت وقد كان مشتغلا بالفرح ظانا
أنه خلص من ورطته وارتاح فلما أن أخبروه بهذا الخبر تكدر غاية الكدر فارسل الى
كبير العسعس واستكشف أمره فوجده مصلوبا يقينا فجعل يلوم القاضى ويقول له
أنت السبب فى قتلهما حيث أمرتنا بصلب الصوباشى فصلب الآخر فى جريمته وكل
هذا انما هو من قوة أفعال الدرويش وعلمه بمكانة السحر فخجل القاضى من مقالته
وأطرق برأسه الى الارض وتفكر غاية التفكر ( قال الراوى) وقد كان ابن سينا
متحملا من القاضى مما سبق منه فى حكمه حين أمر بصلبهما معا وكمنها فى نفسه
وحقدها وأراد الانتقام منه ☆ فيحكى والله أعلم أنه كان ذات يوم مارا من أمام المحكمة
حالة التفرج فوقع بصره على القاضى وهو متعاطى أمور مصلحته بنفسه فتفكر حين ذلك
ابن سينا أن ينتقم منه فوقف ازاءه وقرأ كلمات من العزائم ونفخ بجاهه فحين ذلك
تخيل للقاضى أن النائب وكان بقربه أنه امرأته وانه بداره وجميع الواقفين هم جواريه
ووقع به الانتصاب موقعا عظيما لم يقدر على دفعه وقويت معه حركة الشهوة وقد عمى
بصره فمال الى النائب بوسا وعضا وزغزغة فقال له النائب ويلك ماهذا ياسيدنا
القاضى فقال له القاضى ياستى أنا دخيلك اصبرى لى ولو مرة واحدة هذا والنائب أخذ
فى شدة الصراخ ويبغى منه مهربا فلم يطق من شدة تعلق القاضى باكتاف ثيابه وعلا
وله القاضى وصار كالثمل لايعى ولايرى غير امرأته وهو تارة يستلذ برشف رضابها
ويظن أن صراخ النائب من قبيل المغانجة من حريمه فقال ياسيدتى تأنى قليلا فانى لست
مطيق الصبر ورفع رجلى النائب على خصرة وجال خلالها وأمسك آلته و[illegible]
رشدها الى أضل طريق ويرهز وسطه وقعد على قرافيصه ورفع استه الى الجو وانقض
عليه كالبازى على العصفور وقد بطلت حركة النائب فاسترضى عن امرأته بذلك وصار
يلاعبها ويزغزغ ثديها تارة ويعرك خديها أخرى ولم يزل مشغولا بهذه الحركة وكل
من حضر مجلسه يتضاحك عليه فبينما هو فى تلك الحالة الشنيعة واذا بأحد أتباعه أى
الرسل مال على من بجانبه وقبله وحضنه حضانة الطير أفراخها فراغ منه الآخر
فتبعه ففر منه فلحقه وآلته المعهودة كعود الخيمة منصوبة كأنها قطعة من حديد
وهو يظن أنه فى الدار أيضا كالقاضى وامرأته وهو أيضا يتلطف بامرأته وهى لم ترض

له وهو يترجاها فلم تستمع منه فمن شدة وجده وثب عليها وثبة الاسد وألقاها
على الارض وشدوسطه بمنطقة رجليها ويرشد ضال طريقه الى سواء حريقه وصاحبه
يستنجد أصحابه ولا يصغى اليه أحد وتجاولا وتعاركا وتصاولا فما كان عما قليل إلا
والاعلى قلب الاسفل وصار يرتهز عليه فى ذلك المحفل وبطلت حركات أعضاء الآخر
ثم لم تزل هذه العلة تعدى واحداً بعد آخر حتى صار جميع من بالمحكمة من اتباعها
وكتابها وخواصها وظالمها دون مظلومها يعلو بعضهم بعضا وأفواههم يعلوها زبد
ويهمهموا وصاروا فى كرب عظيم من شدة اجتهادهم وقد عميت أبصارهم وكلما نظر
أحدهم الاخر ظنه امرأته ووثب عليه وانتصب بينهم سوق الأخذ والعطاء وغبن
المشترى البائع وقامت رحى الحرب على ساق وظن أنه يومئذ المساق وكأنهم حشروا
حاملين أوزارهم وكل من مر بالطريق رآهم على تلك الحالة فأخبر غيره ولم يزل كل من
من يقف يتفرج فمن شدة الزحام هجموا عليهم وتكاثر المتفرجون حتى علوا على
الجدران والاسطحة وانتشر الخبر وملأ أسماع العالم حتى وصل الخبر لملك مصر أبى البنت
فلم يصدق بالخبر حتى وصل بنفسه فرأى ماحل بالقاضى أشد مما حل بابنته فصار
متحيرا من هذه الفعلة القبيحة ☆ قال الراوى كل ذلك يجرى وابن سينا مختف عن أعين
الناس ولم يره أحد منهم لعظيم فعل علم السيمياء فقرأ حين ذلك العزيمة وفك بها ماهم
فيه فنزل بعضهم عن بعض ووجدوا الملك وأهل البلد محدقين بهم فسألهم القاضى
عن سبب اجتماعهم ونهرهم وعزرهم فعايروه بما فعل هو وجماعته الضالون فأنكر
هو ومن معه جميعا ولم يشعروا بخبرهم وما قد وقع بهم ولكن انكارهم لا ينفع لان
الشهود غير ألف بل ولا تعد فأمر الملك وقتها بصلب القاضى لما عاين منه من ارتكابه
القبائح عيانا فصلب لوقته عاجلا بدون امهال (قال الراوى) ومن أعجب ما قيل
أن عليا لما أن استمر ليلا بالمواصلة ونهارا بالفراق لم يطق التصبر وصار الوصال له هو عين
البعد وحر كبده هو من عين البرد وكانت تلك البديعة أهوى منه اليها فهما كما قال الشاعر

خمصانة هامت بمهضوم الحشا    ريان من خمر الصباه قد انتشى
يريك من طلعته لما نشا    شمساً على بدر على غصن مشى
وذا بلا شك قران السعد

فصح أن الشمس تعشق القمر     كذا الصبا يهيم وجدا بالزهر
والخمر تهوى المزج كما تبتكر     ومطلق الانثى تحن للذكر
واقض على العكس بحكم الطرد

ولم يزل كل على هواه     يشكو الهوى وهو الذى يهواه
يرجو وليس المرتجى الاهو     لكنه عزله اشتباه
والحال ان الزوج عين الفرد

لم أنس لا أنساهما إذ طلعا     بدرين أو شمسين فى أفق معا
فافترقا وطرف ذا قد دمعا     فليس يدرى سلما أو ودعا
ضحك لقاء أو بكاء بعد

وهكذا طريقة العشاق     اذا دنوا خافوا من الفراق
واذا نأوا حنوا الى التلاق     أوضحوا فالدمع فى الآماق
فاعجب لحر ناشىء عن برد

(قال الراوى) فلم يطق هذا البديع حر الفراق وقرب من ابن سينا وقبل يديه ومواطىء رجليه وقال له ياسيدى قد إضر بى السقام وازداد بى الوجد والهيام وحرت فى امرى ولم أدر كيف أصنع فاذا استصوبت أن تعلمني الاختفاء عن أعين الناس حتى أبدل وحشتى بالاستئناس وما عليك فى هذا الأمر من باس فاعرض عنه عند ذلك ابن سينا لما علم من مضمونه ورأيه وقال له اياك ياولدى وهذا فاذا لم تصبر على وصلتها فهذا وبكى بكاء شديدا حتى ألان له عند ذلك صخرا وحديدا وقد كانت محبته من ابن سينا متمكنة تمكينا وعلم هذا علما يقينا وقال ياسيدى وولى نعمتى وباعث حياتى ومسكن روعتى إنى ثمل بخمر ريقها حيرانا وتهت من سكرتى وصرت نشوانا فاذا لم تغثنى بغاية مقصدى والمراد فأهيم اذا فى البلاد فعندها خشع قلب ابن سينا وخشى فراق محبوبه وعربدته إذ لايسلم من شر الاوغاد والسفلة من أشر العباد وقد وقع على على رجليه يقبلهما ويترامى عليه ويقول له ياسيدى اذا لم تعلمنى هذه الكيفية فاذا أكون قد اكتسبته من شرف معاشرتك وأى فراق بينى وأنا وحيد وبين معاشرتى اياك ووالله الذى أوقعنى فى حباله نصبتها تلك الغزالة لئن لم تعلمنى لأهلكن أسابلا طالة ونهض متباكيا وماس

بقده امام ابن سينا كأنه قضيب خيزراى فاخجل القنا بتيهه وسواد العينان وانعزل
وصار يعلو نحيبه فتوجه اليه ابن سينا وتلطف بخاطره قائلا له انه يخشى عليك من
تعليمك هذا الأمر من العطب لأنه لا طاقة لك على العفة فيخشى ان تقع فى معصية رب
العزة فيذبحك بسيف ما أمضاه وما أضره فأكون سببا لمعصيته تعالى فتعال الى
ما أدعوك اليه فحلف له ايمانا وأخذ عليه عهودا انه لا يتعدى حدود الله ولا يتجه لغير
هذه البديعة وانه على ما كان عليه لا يرتكب الباطل من خلفه ولا من بين يديه فعلمه
ذلك الوقت ابن سينا علم التكحيل من الاختفاء فجربها المرة بعد المره فلما أن اطمأن
على اليقين بادر محبوبته على الحين ودخل القصر وجلس بازائها وتعلق بعنقها وقلبها
فأوجست فى نفسها خيفة وقد كان الجوارى أحضرن المأكل وقد كان على جائعا
وقصدن الجوارى مع سيدتهن المعدات لمجالستها وصرن يتعاطين من الطعام ثم قعد
على بجانبها وصار يقطع اللقمة ويغمسها من الاصحن ويأكل معهن فنظرن الجوارى
واذا لقيمات يرتفعن من جانب سيدتهن ويعلين الى الهواء ثم يغبن عن أعينهن فى
مسافة قريبة من فم سيدتهن ففزعن عند ذلك وقمن يهرعن وخرجن من المكان
وهجن هياجا عظيما فدرى من بالدار جميعا وفزعوا نحو حجرة ابنة الملك فلم يجدوا شيا
أبدا ولم يتجاسر احد على الاقدام عليها وهى محدقة بعينها وبعد برهة أكل على وعلم أن
اللقم ترى ولا تخفى فسكت عن التناول فرفعن النسوة المائدة وغسلت البنت يديها
وقعدت مكانها منفردة على عادتها فصار على يلاعبها حكم العادة بالليل فقالت أيها
المخلوق من أنت وقد افزعتنى فزعا زاد روعى وأزال هجوعى فاخبرها أنه على فقالت
له الآن تيقنت أنك من الجن اذ الانس لا يختفوا وأنت لا ترى فحلف لها أنه من الانس
وانه مختف بواسطة ما علمه الدرويش الذى رأته عنده فقطعت الحس وشكت فى أنه
انسى وقالت انى الى دارى ولحقى فلا شك انه جنى وصبرت على مضض واما على فانه
بقى عندها الى وقت العصر وقصد نحو الدكان فوجد ابن سينا منتظراً له فى الطريق
ويقول أين توجه على اليوم فلابد له من واقعة حال واذا به قد أقبل فقال له يا نور عينى
وعين انسانى وانسان عينى اين كنت اليوم فقال له كنت بالسوق اتفرج فقال له ابن
سينا انك كنت اليوم مستأنسا مع محبوبتك وتركتنى اصلى بنار الشوق الى لقائك

وصرت متشوقا للطريق فقال له علي وكيف أصبر أنا على نار الفراق وصار يتيه عليه دلالا و يميس قدا واعتدالا وقعد عنده وتحادثا طويلا حتى اذا أدركهما جيوش الظلام وتشوق كل محبوب لحبيبه وهام استحضر على بنت ملك مصر وتسامرا وتحادثا وتعانقا وتلاعبا الى برق الصباح وهلكت عساكر الملاح ثم رجعت البنت لمنزلها وبكت بكاء شديدا ولم تجد لسوء حالها رشيدا وقالت وأى مصيبة أنا فيها ثم احضرت دايتها وأخبرتها أنه صار يحضر عندى نهارا وقد ضاق منى صدرى ولم أر له وجها إذا أتى بالنهار فلاشك ان هذا جنى لا انسى وانى أخشى من مسه فاخبروا بذلك أباها فبكى ولم يدر له حيلة ولا مذهبا وأخبر أبا الحارث بما استجد من أمر ابنته فقال له ان هذا أيضا من علم السيمياء ولكن قد سهل الأمر فارسل الى البنت خبرا انه اذا حضر عندك فأمرى الجوارى انهن يغلقن الباب و يحكموا وثاقه وكذلك الشبابيك وارسلوا اخبرونى فأمرت البنت الجوارى سرا انه إذا حضر وأسرت اليكم فأغلقوا الابواب والشبابيك جيدا واخفوا هذا الأمر ولا تظهروا عليه أحدا فلما أن حان وقت مجيئه وحضر هجم عليه عساكر همه وجيوش غمه واستعان على دفعهم بنظره فى مرآة اسكندر جمالها وشن الغارة على سوادها ببيض سوالفها وابيضاضها وانتهز الفرصة فى سلب أنواع الوصال وباع الرخيص منه بالغال فعندها نهضت سيدة الحسن والجمال ووثبت من مكانها فى الحال وقالت له من تأنى نال ما يتمنى فاصبر قليلا حتى أنبه على الجوارى يحضرن لنا الفراش ونتجرد عن القواش وصارت تنتفض بين يديه كالفراش ونحت نحو الباب وغمزت الجوارى فغلقن الابواب وأرسلن الخبر الى أبى الحارث ففى الحال أحضر جانبا كثيرا من التبن وأمر بوضعه قدام الباب واضرم النار فيه فامتلأ داخل المكان دخانا فنظر على الحلوجى الى البنت ولم تحضر اليه فقال واعجباه وأى الاسباب أخرتها ثم نهض الى الباب فرأى أرباب الدولة وأبا الحارث أمام الباب يوقدون تبنا وافرا فقال أى وربى ان عديمة الوفاء هنت عليها وباعتنى بأرخص ثمن وتمثل بقول الشاعر الفطن

فلا تأمن لانثى قط يوما  ولو قالت نزلت من السماء

(ياسادة) ثم هم خارج الباب وأراد الخروج للهرب فدمعت عيناه من الدخان ونزل الكحل منها ولم يجد ملجأ ولا مهربا فرأوه رأى العين فوثبوا عليه دفعة واحدة وقبضوه

والى الملك أحضروه وهم يضربوه ضربا عنيفا وجيعا فلما أن مثلوه بين يدى أبى البنت استخبر منهم عن كيفية ضبطه ( قال الراوى) ويحكى أن عليا حين أراد الانفلات من بين أيديهم هم بزوايا المنزل ليرى له مخرجا فلم يجد وضاقت حظيرته فصار ينتقل من زاوية الى اخرى وكلما تعلق بكوة يجدها مانعة التحصن فرأى أنه لا سبيل الى الوصول للخروج منها ولا بد من القبض عليه فسلم أمره الى خالقه ومكث بأحد جوانب الدار وكثر عليه الدخان وكاد يختنق حتى كادت روحه أن تفارقه فدمعت أول عين من عينيه هذا وأرباب الدولة يمعنون النظر من داخل المكان فاذاهم وقد ظهر نصفه لذى يلى العين التى دمعت فداخلهم الخوف والفزع وقالوا لابى الحارث ان داخل المكان نصف ادمى برجل ويد ونصف رأس وعين واحدة فقال لهم اثبتوا ولاشىء وانما هذا من علم السيمياء وقد اكتحل بكحل الاختفاء فدخل دخان التبن احدى عينيه فدمعت والان تدمع الاخرى ويظهر لكم باقيه فكان كذلك كما قال أبو الحارث وقبضوه كما قدمنا واحضروه الى ملك مصر فنظر اليه فوجده فى أعلى درجة الجمال فمن نظر الى وجهه مرة واحدة لم ير بعدها ألم الغم والهم فقال سبحان الله ما أعجب هذا الجمال ثم سأله من أنت ومن أين وابن من وما الحكمة فى اقدامك على مثل هذه لفعلة والجراءة وما سببهما ومن هذا الدرويش ومن اين أقبل واين هو الآن واين أنتم مقيمون وصار يستخبر منه فرأى على الحلوحى أنه كان ما كان وتيقن بالهلاك ورضى القضا حين ماضاق عليه الفضا وصار كل من فى الديوان فى دمه خائضا ونهروه فقال فى نفسه هلاكى ولا هلاك استاذى وسيدى ولم يرد عليهم جوابا وثبت عزمه وجنانه وصاروا تارة يواعدوه وتارة يتلطفوا به وتارة ينهروه ويريدوا منه جوابا شافيا فلم يفدهم ذلك شيئا ولم يزدد منهم الا نفورا فمنهم من قال انه أخرس ومنهم من قال انه مبهوت ومنهم من قال انه لا يعقل والحاصل أن كلا منهم أدى رأيه فأخيرا احتن الملك غضبا وصاح على الجلادين دونكم وضرب عنقه فعند ذلك قال أبو الحارث وأرباب الدولة ياملك امهل ولا تعجل فان قصة هذا الصبى مع ابنتك صارت شهيرة واذا قتلته هنا لم يصدق أحد أبدا وانما الذى نرى فيه الصواب أن تسلمه الى الصوباشى ويطوف به البلد من كل جهة ثم يحضره الى محل السياسة تحت القلعة ويقتله واتفق رأى الكل على ذلك

واستصوبه الملك أيضا وأمر بذلك فاخذ على مذموما مدحورا وصار المنادى ينادى أمامه بكل جهة حتى اذا ماقاربوا الى جهة دكانه وقد كان جالسا ابن سينا بها متفرجا فى حال المارين واذا بأصوات وضجيج فشخص لينظر ما الخبر واذا بعلى مكتوفا فقال وقد علا قلبه الهم وبأى كيفية سلم نفسه لهم وكيف انهم عثروا عليه فذهب عقله من رأسه واحتد وكبر بأسه وعظم مراسه وكان جاهلا بأمر على وكيف ضبطوه ووثب قائما على قدميه وقرأ عزيمة ونفخ تجاه على فاختفى عنهم فى الحال ولم يجدوا غير الاحبال ونظر الناس الى ذلك الحال فوجدوه صار فى حيز المحال فتحيروا وانقطع الحس وبهتوا جميعا ورجع الصوباشى وجماعته الى الديوان وأخبروا الملك فتكدر عيشه ونظر الى أبى الحارث وقال له وأى فراسة رأيت فى افلاته وقد كان بين أيدينا فلو قتلناه هنا لاسترحنا من شره فقال أبو الحارث للملك إعلم أن هذا الولد مادام استاذه لم يقع لنا فى شبكة الاسر لم يمكن أن ننتقم من هذا الصبى وبالفرض لو قتلته فلا نسلم من شر استاذه والحاصل أن أبا البنت صار يسب أبا الحارث فى نفسه ويقول يا ميشوم أنت لا تقدر على شىء ولكن لا أدرى ماذا يئول اليه أمرك وتحير فكره. فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من على وابن سينا فانهما دخلا الدكان وسأل ابن سينا عليا عن كيفية الواقعة فأخبره بها حرفيا كما صارت فأطرق برأسه ابن سينا وقال له ان امتناعى عن تعليمك علم السيمياء انما هو ليس عن بخل ولكن احترازا من وقوعك فى مفسدة مثل هذه فلماذا تشرع فى هذه المادة فلولا تداركك الله سبحانه وتعالى بألطافه العميمة والا كنت فى آخر يوم من الدنيا وفقدت عمرك فاذا كان كذلك فما فائدتى لك بعد موتك سوى احتراقى بنار فراقك ومقاساتى الشدائد بعد موتك وانما لطف الله بك حيث انهم أخرجوك خارج الشوارع جهارا وان ما وقع من الامور فقد فات وقد غلقت دونه الابواب فاذا قعدت فى غاية تأديبك فبها والا أتركك وأتوجه الى حال سبيلى وأتركك على هذه الحالة وأنت تعلم الحال الى أى شىء يئول فوقع على الحلوجى عند ذلك على رجلى ابن سينا وقبلهما ووقع فى عرضه وترجاه أن يسامحه وتاب واستغفر وبكى وعاهده على أنه لا يشرع فى مادة بدون مشاورته وأخذ منه العهود والمواثيق والايمان الوثيقة فلم يقدر ابن سينا على تركه لتمكنه من محبته ووقوعه فى صيد حبالته فعفى عنه استجلابا لرضاه وسامحه فيما جناه

وكان اذا أمسى الليل لا يقدر على أن يتحدث مع ابن سينا فى جلب محبوبته وبقى أياما على تجلده ومكابدته ألم الفراق وأهمله بن سينا تأديبا له ولم يلتفت الى ذلك وبعد أيام قلائل صار على يترجى ابن سينا في جلب محبوبته والتسبب فى جمع الشمل بها فصار ابن سينا يقول لعلى ماذا تريد أن يكون فيقول له ليس يخفى عليك حالى ولى أيام وقلبى يصلى بنار الفراق وقد يئست من جنة التلاق وجعل يبكى فجعل ابن سينا يمسح دموعه ويطمئنه انه قد آن أوان هجوعه وفى الحال عزم بعزيمة من ليلته وأحضر له محبوبته فنهض حين ذلك على وترامى عليها وترجاها فى العفو عنه والصفح عما جرى لها منه وذكرها بما مكرت به وكيف يليق لها ذلك هذا ما جرى لعلى وأما البنت فانها قد أخبرت أباها سابقا بانها لم تتوجه الى محله مدة أيام ففرح أبوها فرحا شديدا وقال لعلنا خلصنا من هذه المادة وانسر واذا به فى حالة السرور وحين عودتها فى هذه النوبة قد أخبروه أن ابنتك قد فقدت أيضا فتجددت طبول الهم بخفقان قلبه ثانيا فاشتغلوا بالتدبير واتفقوا على أنهم يدوروا بالبنت فى أزقة مصر وينظروا المحل الذى تمر به فى أثناء التوجه والمكان الذى تدخله وقد كان ذلك ففى أثناء مرورها بالشارع الذى فيه دكان على تمهلت قليلا وتفكرت والتفتت يمينا ويسارا وقالت الله أعلم ان هذه الجهة التى أسلكها ليلا ولا أعلم المكان الذى أدخله هل هو دكان أو دار فاخبروا الملك بالكيفية حالا فرأى أبو الحارث ما استصوبه رأيه أنه يتوجه أبو البنت مع عدد من الشجعان وينتظروا قدوم البنت اليهم ليلا ويمعنوا النظر من المكان الذى تدخله ( ياساده ) فهذا ما جرى هنا من التدبير وأما ابن سينا فانه لم يعتن بهذا الامر أبدا وقد استحس به فلما أن جن الليل لم يشعر أبو الحارث وأبو البنت الا والبنت مقبلة عليهم مهرولة ودخلت الدكان فأراد أبوها وأبو الحارث الرجوع بعد أن عرفوا المكان فلم يمكن التصبر لابيها ودخل خلفها واذا داخل حجرة ولدكانه البدر عند تمامه وبجانبه درويش واضع رأسه بجيبه كانه فى حال المراقبة فدخلوا بدون تكليف وقعدا وقد كان ابن سينا يعرف أخاه أبا الحارث وأما أبو الحارث فلم يعرف أخاه أبا على ابن سينا وكان يظن أن هذا الامر لو كان من أخى لما امتنع منى ولم يلتفت الى حال الدرويش هذا وأما ابن سينا فانه قرأ عزيمة وعقد السنتهم وهد قواهم وأمسكهم وربطهم فلم يقدروا على التحرك وصاروا زمنا باهتين

مما وقع بهم ولم يقدروا على شىء غير الصمت فأمر عليا أن يحضر طبقا مملوأ بالحلاوة وقال للملك تفضل كل فهذه حلاوة بنتك وكان الملك من شدة غضبه فضلا عن عدم أكله الحلاوة مضمرا فى نفسه أنه اذا وجد فرصة فى أن يشرب دم ابن سينا شربه ولكن لم يقدر على التكلم وقد هفتت روحه كانه لم يأكل طعاما مدة أيام عديدة وأكل من الحلاوة ففى الحين تكلم ابن سينا وقال ياحضرة الملك حيث أنك أكلت الحلاوة فانا أترجاك في أن تجيبنى الى دعوتى إياك فى تزويج ابنتك هذه ولدى هذا وكان الملك من شدة غضبه يأكل الحلاوة متشمتا عاضا على أنيابه وقد كان أبو الحارث معقود اللسان لا يقدر على أن يتكلم بل ولا ينجي نفسه وهجس فى نفسه أنه يرى الأمر ماذا يكون آخره فعلم ابن سينا بالفراسة أنه صار محشوا بالغيظ والغضب ولم يرد جوابا والحال أنه معاين ما حل بابنته من غرائب الصناعة بل اذا أمعن النظر يرى أن هذه الحركات ليست الا مجرد كرامة ولى ومع هذا لم يرق قلبه الجحود وصار يأكل الحلاوة كاللهفان ففى الحال أخذ من مدربية أحد القاعدين على طبق الحلاوة يأكلون قطعة قطن وسار يفتلها فنظر ملك مصر وأبو الحارث الى ابن سينا ماذا يصنع واذا به قد فتلها وربط رجل أحد هؤلاء الذين يأكلون وحزفه الى سقف الدار وربط بالجانب الآخر من الخيط قطعة قشة تبن وعزم ونفخ فيهما فارتفع الخيط بمن معه وصار يكبر الشخص حتى صار قدر الرخ وأما التبنه فقد صارت كالعمود وكلما ارتخى الاعلى نزل العمود على أعين الملك وأبى الحارث فتعذبوا عذابا شنيعا حتى كادت أرواحهم تزهق ثم ربط الخيط فى رقبتهما وأرخاه فطاروا الى الجو وارتفعوا كثيرا حتى غابت عنهم الارض ثم نزلوا قليلا قليلا الى الارض ونزلوا بدهليز فصار فيه يوما وليلة نازلين ثم انهم صادفوا بابا أمامهم فقصدوه طالبين النجاة فلما دخلوه وجدوا به بستانا كالجنة وأشجارها مزينة بالزهورات وأنواع الرياحين والورد والسنبل وبه الاطيار تغرد بأصوات متنوعه والحاصل أن هذه الحديقة تضيق صفحات السطور عن رسم حقيقية كنهها وصفاتها ويعجز عن ذلك طاقة البشر فصاروا يتفرجون زمنا بهذا البستان الشبيه بجنة رضوان ووجدوا عجائب لا توصف وهما يمشيان فوصلوا الى باب فقالوا واعجبا وأى شىء داخل هذا الباب فذهبوا قاصدين حوه فاذاهم بالمحل الذى كانوا جالسين فيه فتفكر كل منهم فى حال الواقعة واستغرقوا

فى بحر الفكرة فجمع أبو الحارث عقله واندهش ثم قال أيها الملك اعلم أن هذا الحكيم
الفيلسوف الكامل الذى فك بعقله معضلات المسائل انما هو أخى أبو على ابن سينا
وقد حصلنا علوما فى محل واحد معا واعلم أنه من قوة علمه جعلنى واياك رسولين للهوى
ثم أهبطنا إلى حضيض مانهوى وجعلنا عبرة لمن يصغى وانما هذا كله من علم السيمياء
والكيمياء ومع كونى ماهرا في العلمين أعجزنى فى طرفة عين فخذ حذرك منه واعلم أن
مادونه فى دفاتر عقله من العلوم لو سطرت لكادت أن تكون مدونات كالنجوم ويعجز
عن ادراك علمه الفهوم وان ما حصلته أنا ليس الا كقطرة من بحره وانه بعناية الله تعالى
يبهت من باهر آياته الاف من مسطور افلاطون وان ما تيسر له لم يتيسر لاحد من أهل
البسيطه وانه قد استخبر بحضورى لماوتتك فاراد تأديبى وتعجيزى هذا وقد أظهر أبو
الحارث الانكسار للملك فاحتار اذا الملك فى أمره وتفكر فى ذلك وضاقت عليه المذاهب
والمسالك وعظم عليه أمر بليته وحل مشكل رزيته فجمع أكابر دولته واستشارهم فى
أمر عاقبته فاشار كل منهم بما وسعه عقله فقال ابو الحارث لا تتعبوا انفسكم فيما لا نفع فيه
وان هذا الرجل قادر على كثير من الاشياء وان كل ما رأيتموه منه للآن فهو على قبيل
المزاح فاذا نحا نحو الجفا يضركم ضرا كثيرا وان دواء هذه العلة المداراة بالترجى فاذا
كان ابن سينا أخى فانه اذا اجتمعت أهل البسيطة فلا سبيل لهم للوصول اليه أبدا فعند
ذلك قال الملك لابى الحارث قد علمت ماهيتك أنت أيضا وأنتم جميعا لم تقدروا على
خلاص أنفسكم وأنت قد طرت معى الى الهواء وهبطت للدهليز ولم نقدر على نجاز أمر
حالك ثم أعرض عنه الملك وقال له قد علمت درجة كمالك ومعرفتك ومن الآن لم اهتم
الى قضاء مهمى الا بالقوة فقال له أبو الحارث لك الامر وها أنا أتفرج ولا على المتفرج
حرج ( قال الراوى ) ويحكى أن ملك مصر حين ذلك الزمن كان مالكا لمائة ألف
محارب فجمعهم وأمرهم ان يحتاطوا بالمدينة لئلا يفلت بن سينا من بينهم ثم أمر أحد
اتباعه الجبارين وقال له ان المحل الفلانى فيه دكان من ضمن دكاكين الحلوانية وفيه
ولد جميل ودرويش فدونك بهما وأحضرهما عندى فاجابه لذلك فلما أن حضر الى
الدكان ودخلها وجد بها ولدا تكاد روح ناظره أن تخرج دون وصاله ودرويشا فى
هيئة افلاطون قاعدين معا وهما يطلاطفان فقال لهما ذلك الجندى وقد احتد منهما

ياعديمين الادب لماذا أنتما قاعدان قوما فقد أرسلت اليكما من جانب الديوان
احيبا الملك فقال له ابن سينا ممازحا ومستهزئا يا أغا أظنك غلطان لاننا لاشغل لنا
بالديوان فغضب منه الجاويش واحتد جداً وامتلأ غيظا وقال له أنت للآن لم تقم وتتكلم
وهجم عليه وأخذ بيده عصا وقصدا ابن سينا ليضربه ويسحبه فعند ذلك غضب ابن سينا
وشرع في عزيمة حالا وقال له كن قردا ففي الحال صار قردا ثم أخذ ابن سينا حبلا
وربطه وأخذ بيده عصا وجعل يرقصه ويلعبه وهو متزى بزى قرداني وقال لعلي
الحلوجي اقعد انت بالدكان وقد اتخذ عليه دائرة بعلم السيمياء وقال له لاينالك ضرر
وتوجه هو لجهة تحت القلعة يلعب القرد وصار يجمع عليه دراهم وجعل لمن يضربه
بالحجر ضربة نصف فضة فجعل القرد كلما ضربه أحد حجرا يقفز قفزات في الهواء
ويتضرع بصوت غريب ومن رآه على تلك الحالة صار يضحك عليه وقد كان المسكين
الجاويش ملجماً لايقدر على سرعة الحركة وكان مثل الدب الذى نشا بالجبال وصار
يلتفت يمينا ويسارا من كثرة الضرب وعدم مقدرته على القفز وكادت روحه ان تخرج
من شدة ما عاين (ياسادة) هذا وقد استبطأ الملك رسوله فأعقبه بآخر فعلم بذلك
ابن سينا فحضر للدكان قبله فاتى الجاويش ونظر واذا بدرويش يعلم قرد اللعب فتعجب
وقال حلوانى وقرداني كيف هذا وقد تضادت الصفتان ثم تقدم اليه وقال له أجب
الملك فلم يلتفت اليه وجعل يلعب القرد فاحتد منه الجاويش وقال له أليس الذى
يكلمك رجلا وسل سيفه وقصد ابن سينا فعزم عليه ابن سينا وضربه على وجهه وقال
له كن عنزا فصار عنزا في الحال وركب القرد على العنز وتوجه بهما يلعبهما تحت القلعة
فنظر الملك حين ذلك خلفه وأمامه وجانبه متحيرا وقال ان كل من توجه لايعود ويلكم
انظروا ما الخبر وما السبب فى ان كل من أرسلته لايحضر الى ثانيا وأرسل ثالثا فجعله
أيضاً ابن سينا كلباً وآخر جعله دبا واخر جعله حمارا والحاصل ان الملك كلما أرسل له
جماعة جعلهم على أجناس الحيوانات وصار يدور بالبلد ويطوف بها هذا وقد اشتهر
الأمر بأنه قد حضر قراد جديد ومعه جملة حيوانات وضجت المدينة بذلك وقصده
الصبيان والنساء وأحدقوا به من كل جانب وتراكموا على بعضهم وتزاحموا عليه لأنه لم
ير أبدا حيوانات فى أحد أركان الدنيا مع ملاعبين الامعه ثم بعد تكليفهم بمشقة

اللعب وجههم الى الدكان وقد جمع عليهم جمله دراهم فاجتمعت لديه الفقراء الجاويشية ووقعوا على أقدام ابن سينا وتمرغوا فى التراب وتضرعوا اليه بلسان الحال وتباكوا فرق لهم ابن سينا ورحمهم وعزم بعزيمة ورجعهم الى صورهم الاصلية وقال لهم توجهوا واحكوا بما رأيتم فلما نظروا أنفسهم فى الهيكل الانسانى سجدوا شكر الله تعالى ولم يلتفتوا الى ما خلفهم وقصدوا الديوان ووقفوا قدام الملك فلما نظرهم قال لهم مغضبا ما سبب تأخيركم لهذا الوقت وأين الذى ذهبتم لتحضروه فأجابوا جميعا اننا كنا نلعب تحت القلعة وقالوا من يقدر على جلب هذا الرجل فقال الملك ما هذا الذى تتفوهوا به يا ملاعين هل أنا كنت أرسلتكم لمصلحة أم للعب تحت القلعة وأمر بقتلهم فقالوا له يا صاحب الدولة وولى النعمة منا من صار قردا ومنا من صار كلبا وقصوا عليه القصة وانه لم يفكنا الا بوقوعنا على مواطىء قدميه وتملقنا له فى حالة الحيوانية فانذعر الملك من هذا الخبر وجعل يعض أنامله غيظا هذا وأبو الحارث يضحك من تحت شاربه وأما الملك فانه قال لحاشية دولته كيف العمل وقد عجزت عن ذلك ولم أدر ماذا أصنع بهذا الرجل وقد فعل بنا كل هذه الفعال وهو لم يتحرك من المدينة وثبت أمامنا ونحن لم نقدر معه على شىء ما هذا الحال والفشل والجبن الذى أحاط بنا فموتنا جميعا أفضل من حياتنا ثم أمر الملك بأن تركب العساكر جميعا وأن يحضروا له فرسا وسلاحا فأحضر له ما طلب وتجمل بالسلاح واعتقل بالرماح فقال له أبو الحارث ارجع أيها الملك لا حاجة لك بهذا كله ولا تتعب نفسك ولا تتحصل على غير الضرر فغضب الملك وقال له قم يا جبان وأى ضرر أشد من هذا الذى أنا به وان ابنتى تتوجه اليهما ليلا وأنا متجرس نهار فالموت خير من هذه الحياة وأمر عساكره بالمسير وقال لحاشيته لماذا أنتم وقوف اذهبوا الى الدكان الذى احتوى على هذا الحمار الوحشى وأحدقوا بها وأحرقوها ودعوه يحترق بها فهجم هذا العسكر جميعه على دكان ابن سينا وعلى الحلوجى فدرى ابن سينا بذلك فوضع رأسه داخل عباءته وعزم بعزيمته فصار يخرج من الدكان عساكر تنوف عن مائتى ألف كل أربعين دفعة وخمسين كذلك خيالة وقرابة وابتدأ يخرج كل مائة سويه وقد اصطفوا وحملوا على العسكر الذى مع الملك فصار بالمدينة حرب ومعركة زيادة عن الحد الذى يطيقه البشر فغلق أرباب الدكاكين دكاكينهم وفروا هاربين من عظم المصاب

واشتد الكرب وزادهم الحرب حتى كانت الدماء على ماحكى بشوارع مصر من كثرتها تسحب الرمم لا تسمع إلا قائلا وايداه واعيناه ولا ترى الا كفا طائرا وبصرا حائرا وطلب الجبان الهرب واشتد اليه الطلب ولم تزل رحى الحرب دائرة حتى التجأ عسكر الملك الى القلعة ثم فتحت لهم الأبواب وقد عظم لديهم المصاب وركن الملك الى الفرار من سيل عسكر ابن سينا الجرار ولم يصدق بالنجاة حتى دخل منزله والحاصل أن تلك الليلة ينفض فيها أمر الحرب (قال الراوى) ولما كان عند الصباح وهل بارق الفجر ولاح احتاط عسكر ابن سينا بأطراف القلعة وضيقوا عليهم المسالك وظن كل من بها انه هالك وقد علوا على الأسوار وهم كالمعصم وآخرون كالسوار ولم يبق من عسكر الملك اثنان ملتئمان الا وقد تفرق جمعهما وتبدد شملهما وصاح عسكر ابن سينا هل تعطينا ابنتك والا نضيق عليك رحب الدنيا ونهدم القلعة عليك وقد عجز كل من بالقلعة عن الخروج فاما حاشية الملك فمن ضيق أمرهم حضروا الى الباب والتمسوا لهم اعذارا وطلبوا لهم الامان وقد قال الملك ان كان مرادكم البنت فنعطيها لكم وابعدوا عنا شركم فلما سمع ابن سينا هذا الكلام رجع الى الدكان ودخلها وتبعه عسكره وانمحى أثرهم فلما ان وضعت الحرب أوزارها طلع أهل المدينة للشوارع فوجدوا جماعتهم لم يفقد منهم أحد ولم يقتل أحدهم أبدا فاحتارت الخلائق عند ذلك وبقى الخلق على هذا اليوم واليومين ثم ان الملك جلس بالديوان وصار يتشاور وكان يبكى بدل الدمع دما صبيبا وقال كيف انى أزوج ابنتى لأحد بياعى الحلاوة وماذا يقول لى الناس لابد من دواء لعلتى وهو يبكى فرجع الأمر لابى الحارث فقال أنا قلت لكم أولا وثانيا ان حركتكم هذه لا تفيد شيأ وإن هذه المادة لا يفيد فيها غير التدبير وان كان ولابد فيكون بالرجاء فارسلوا اليه أحد عظماء الدولة يدعوه الى هنا فاذا حضر سألناه ماذا قصده ومرغوبه وعلى موجب جوابه يكون العمل قال وكان من جملة أرباب الدولة رجل عاقل ذو لب ثابت فتقدم للملك وقال اذا ناسب فأنا أتوجه وأدعوه اليكم فأمره الملك بذلك فالتزم أصوب المسالك (قال الراوى) فيحكى انه لما أتى الى الدكان الذى به ابن سينا تقدم اليه البواب وقال تقدم يا سيدى الى القصر الذى فوق فطلع إلى فوق قال وقد كان ابن سينا أخبر بذلك فرتب ديوانا بديع الوصف لا يتصور نعته وتحير العقول فى أشكاله

وأين للملوك رسم أمثاله فدخل الى الدكان فرأى حديقة وسيعة الرحاب وقد صنعت
جهاتها الأربع بتخوت مذهبة وعليها نحو الالف من الذوات الكرام والوزراء
العظماء وعلماء وحكماء وهم جلوس عليها وأمامهم سلطان ذو هيبة ووقار وعظم واقتدار
كانه اسكندر زمانه وافلاطون أوانه وهو جالس على تخت عظيم وعلى رأسه أرباب
النوبة شاهرين سيوفهم وخلفه اثنا عشر ألف غلام أبهى من جمال يوسف وعلى
رأسه تاج لايكاد يوصف وبحزامه خنجر مرصع بانواع اليواقيت والاحجار المثمنة وبيد
كل من الغلمان سيف مسلول وبأوساطهم الخناجر المذهبة والكل من جانبيه أبطال
لابسون الزرخ الدوارى وعلى رؤسهم الخود وقد أحدق به نحو المائة ألف مقاتل
كاللبوث فنهم القائم ومنهم القاعد وبجانب آخر نحو ألفى جاويش وبأيديهم الدبابيس
والسيوف وبجهة أخرى نحو الالفى بواب وعلى رؤسهم البيض والخود والحاصل انه
رأى ديوانا منصوبا لايليق ملكهم أن يكون لأحدهم سايسا فخجل وندم على قدومه
لذلك المكان وقال ليت الذى كان ما كان وانما حيث لم يمكنه الرجوع فبالضرورة
تقدم وسلم فوضع له كرسيا مجوهرا فقعد فناولوه شربات سكرى فشرب منه فتحير ولم
يقدر على أن يفاتحه أبدا وكيف يدعو ملكا الى زبال فتهيأ الى أن يتوجه فأنعم عليه
صاحب السطوة والدولة العلية بتاج على رأسه أخضر مرصع بالزمرد والزبرجد
والفيروز وبأعلاه جوهرة تضىء فى ظلمة الليل البهيم وعلى كتفيه خلعة سنية فاخرة
بهية وأعطاه خنجرا مرصعا بأنواع الجواهر وقلده به وشيع هذا الرجل بجماعة الى
الباب فصار فى تيه وعجب مما ناله من الكرم وقصد جهة ملكه وكل من يراه يتضاحك
ويتغامز عليه لانه كان من مقربى ملك مصر فلا يجسر عليه أحد ( قال الراوى ) فلما ان
تمثل بين يدى ملك مصر واذا بالتاج قوارة بطيخة خضراء والجوهرة التى تضىء هى قمع
البطيخة وأما الخنجر فقصبة رجل حمار وأما الخلعة فقد انقلبت قطعة حصير عتيقة
مقطعة فعند ذلك صار كل من بالديوان يضحك عليه وقد صار فى أثناء كلامه يتيه فقال
له الملك ويلك ماهذه الحالة التى أنت فيها فقال وأى حالة ثم انه التفت الى الخلعة فرآها
بتلك الصفة فألقاها عن نفسه ثم انه حكى للملك بما رآه جميعا فتعجب غاية العجب ولم يعلموا
ماذا يفعلوا فعند ذلك قال أكابر حاشية الملك ان هذه المصلحة ليست الا لابى الحارث

حيث أنه أخوه ففوض الملك الأمر فعند ذلك قال له أيها الملك ألم أقل لكم انكم ان
تقدروا عليه كل ذلك وحضرتك تعاند وتريد ايقاع المستحيل بالقوة الجبرية فقال له
الملك قد فوضت لك الأمر فافعل ماشئت (قال الراوى) فعند ذلك قام أبو الحارث وتوجه
الى أخيه فعلم أخوه بقدومه اليه فاستقبله واعتنقه واستعذر له وتباكيا من شدة الفرح
وقال له ماهذه الكيفية التى نحن فيها وأنت على يقين من معرفتى أفلا تعلمنى بذلك
وتذاكرا الامر الذى صار فضحكا كثيرا وتباسطا مع بعضهما هذا وقد حضر على وقبل
يد أبى الحارث وتأدب بحضرته وقعد هو أيضا معهم فدعا له أبو الحارث واعلم أبو الحارث
أخاه بأنه قد حضر من بغداد لدفع هذا المشكل وقال له لابد ان تتوجه معى فقال له ابن
سينا يا أخى ان هذا الرجل عنيد والله يجعل الباقية خيرا هذا وقد كان عصاة ابن سينا
مركوزة على الحائط أمامه فعزم عليها فصارت حصانا وعليه رخت مرصع بأنواع
الجواهر فتقدم وركب عليه وأبو الحارث ركب الحصان الذى جاء عليه وأرسل الخبر
أمامه ان أخى حاضر معى فتصايح أهل الديوان جميعا وعلمت الخلائق بذلك فابتدروا
جميعا وهم مصفوفون فى الطرق لاجل السلام والتفرج واستقبله جميع أهل الدولة
والديوان وقبل ركابه جميع الاشراف والاعيان وأرباب الصولة وكل من حضر ومشوا
أمامه حتى أحضروه الى الملك وعظموه وأجروا له رسوم التكريم وقد كان ابن سينا
جرىء اللسان ثابت الجنان ذا فصاحة وبلاغة فحمد الله تعالى واثنى عليه وعقد يديه
أمام الملك ووقف متأدبا فنظر اليه الملك بعين العبرة فوجده درويشا حقيرا ووجهه
يتلألأ نورا وكانت ملاحته وجماله يقدحان زند القلوب فأمره بالجلوس فجلس وقعد
كل أحد بمرتبته (قال الراوى) فعند ذلك قال الملك أيها الحكيم الماهر أهلا وسهلا
ومرحبا قد اشتقنا زمنا طويلا الى قدومك فقال ابن سينا للملك حاشالله من أين لفقير
مثلى لا يساوى تراب الارجل أن يكون ذا لياقة لامتثاله بين الايدى فضلا عن ان
ينتظر قدومه وسكت ثم صارت الضيافة ثم قال الملك لابن سينا أيها العليم والفيلسوف
الحكيم افلاطون الزمان الذى هو لعالم الفنون عنوان قد أظهرت فى هذه المدة افعالا
غريبة وأمورا عجيبة فهل أنت الذى أظهرت هذه المبدعات فقال له ابن سينا نعم أنا
العبد الضعيف فقال له الملك أيها الفريد ان هذه النكات التى بهرت عقولنا جميعا

والبعض صدق بوقوعها والبعض أنكرها إذ ليست فى مقدور البشر ومن لم ير لم يعتبر فهل لك ان تظهر لنا شيأ من ذلك بهذا المجلس لكى نرى باهر آياتك وعظيم كراماتك ليراها أرباب الديوان جميعا فقال سمعا وطاعة (قال الراوى) فيحكى ان ابن سينا لما طلب منه الملك اظهار شىء من الكرامات استحضر طاسة وقد ملئت بالماء وقال كل من أراد أن يرى العجائب فليحضر وينظر الى الماء الذى بالطاسة فأراد الملك أن ينظر بنفسه فنهض أحد الأمراء وقال اذا استصوب الملك أنظر أنا وأخبره بما أراه فأمره الملك فنظر فى الماء فرأى نفسه بصحراء واسعة جدا واذا به تحول بنتا فى غاية الحسن والجمال فهجس له فى نفسه هل الحادثة واقعة كما هى أم تخيلات فوضع يده بين فخديه واذا بينهما فرج مثل النساء فقال ما هذه الحادثه التى نزلت بى وتألم لتلك البلية وأمعن النظر بتلك الصحراء فلا لها أول ولا آخر فتيقن حين ذلك انه وقع ببلية لم يقع بها غيره وصار يبكى بكاء شديدا وقصد جهة من الجهات يريد النجاة واذا أمامه عبد أسود شنيع الصورة غليظ الهيكل بشع المنظر فنظر هذه البنت ووثب اليها قائلا هذه امرأة ووقع عليها فجاهد المسكين خلاص نفسه وبذل جهده فلم يفده ذلك شيأ فلحقه الزنجى وتعلق به جيدا وقال يا حبيبتى أين تذهبين منى فرماه تحته ساخطا أم راضيا فلم يدر المسكين أى بلية أحاطت به فجعل يبكى فلم يفده شيأ وترجاه فلم يقبل منه وجاهد فى خلاص نفسه فلم يفلته وابتدأ الزنجى الخبيث بالمباشرة ففى الحال برز أمامه ابن سينا من بعد وقد دعا الله فى خلاصه فصاح به وطلب لنفسه الامان من هذا النجس وقال أيها الحكيم الماهر خلصنى من يد هذا اللعين الفاجر فشفق عليه ابن سينا وتقدم اليه وشرط عليه شرطين وقال له اذا قبلتهما خلصتك منه فقال له خلصنى واشرط على الفين غير هذين الشرطين فقال له الشرط الاول ان لا تظهر ما رأيته لأحد أبدا الثانى هو انه لابد لى من طلب بنت الملك لولدى فتكون لى معينا فى الطلب فرضى المسكين بهما وأخذ عليه العهد والميثاق فمسك ابن سينا الزنجى من ذراعه وحذفه الى جهة فغاب عن البصر فوقف قليلا فرأى ان الحس قد انقطع وفتح عينيه فرأى نفسه فى الديوان ناظرا الى الطاسة فنظر يمينا وشمالا فوجد أرباب الديوان جالسين كما كانوا ينظرون اليه وابن سينا ينظر اليه نظرا مخفيا ويضحك فتحير هذا الانسان مما رآه وقام وجلس مكانه وصار

يمسح عرقه بمحرمته فقال له الملك حدثنا بجميع ما رأيت لنسمع غرائبه فقال له أيها الملك ان الذى رأيته كثير لاحد له فلا يمكن أن أخلصه فى ممر السنين وكان ذلك مجلس صفاء أشهى مايكون رؤيته وصار يتفكر ويتذكر ماجرى له وبهت فتعجب الحاضرون وقالوا واعجبا وأى شىء جرى له فنهض غيره وطلب الاذن منهم لينظر الى الطاسة فأذنوا له فى ذلك فنظر فيها واذا به أيضا فى صحراء واسعة ووجد نفسه عبدا أسود وثيابه خلقة المقطعة فصار يبكى ويتأوه من وقوعه بهذه الصحراء الموحشة وجعل يلتفت يمينا وشمالا واذا بتركى مقبل عليه فرآه فقال هذا عبد آبق فاقبل اليه وقبض عليه وأوثقه كتافا وحمله حجرا ولم يرق لحاله ولم يرحمه وصار يضربه ضربا مؤلما وساقه أمامه ويقول له اسرع يا عبد السوء فقال له ياشيخ لست عبدا أسود وانما صرت هكذا بأمر الله تعالى فلم يلتفت له التركى وجعل يضربه عند كل لفظة يلفظها فتيقن المسكين أن العصاة كتبت حجة اكتافه وبنت بهادورا وقصارا فالتزم السكوت وصار يتفكر فى أمره بالمشى بسرعة وهو يضربه بكل خطوة خطاها فتورمت أقدامه واسودت الدنيا أمامه وقد أيقن انه اذا تم الحال على ذلك برهة قليلة خرجت منه روحه لانه لم ير مصيبة مثل هذه المصيبة أبدا مدة حياته وهو فى أعظم النعم وأرغد المعايش فاستغاث ودعا الله تعالى فى خلاصه من هذه البلية فنظر مد البصر واذا بابن سينا مقبل فلبث غير بعيد واذا به عنده فتعلق به وطلب منه الشفاعة وان يخلصه من هذا الجندى وصار يتأوه ويئن فرق لحاله ابن سينا وقرب منه وقال له أنا أخلصك من هذه الورطة على شرطين أحدهما أن تكون عونا لى اذا طلبت ابنة الملك لولدى والآخر ان لا تطلع أحدا على قصتك هذه ولم تخبر بما رأيت فحلف له ذلك المسكين العاجز بايمان قوية ان يلتزم ذلك فمسك ابن سينا ذلك التركى من ذراعه وأبعده عنه وولى هذا الفقير داخل بئر كان هناك فنزلها فصارت رجلاه تنفرجان الى أعلى ورأسه أسفل وبالعكس وغطس بالماء وبعد قذفه الماء على وجهه ففتح فاه ونظر بعينيه وقد طار لبه من عظم ما قاسى بالوقعة فى الماء فحين فتح عينيه واذا به مكانه ينظر فى الطاسة وأرباب الديوان كما هم ينتظرون خبره وما يحدث ولم يختلف أحد من محله ولم يفت عليه دقيقة واحدة فقال سبحان الله وبحمده ماهذه التخيلات ورجع الى محله وجلس به فسأله الملك حدثنا بأمرك وما رأيت حتى نسمع

حكايتك فقال أيها الملك الامر لايكاد أن يوصف وكيف أصفه وهو لايكيف ولانهاية
للمكان الذى كنت به وفيه مالاخطر على قلب بشر وآخر الحكاية ينسى أولها وأولها
يضيع آخرها من عظم التفرج وانما يحتاج للمشتهى ان ينظر بعينه حتى يعتبر بما
يراه فتحير الحاضرون فخاطب الملك أحد البقية وقال له قم انت وانظر واحفظ
ماتراه ثم إذا سألتك فحدثنى بخبرك فنهض واقفا على قدميه وقرب من الطاسة وقعد
بقربها وأمعن النظر بها واذا به فى صحراء واسعة وقد لحقه العطش وصار دباعظيم الخلقة
سبحان الله ماهذا وكلما أراد أن يتحدث صار يهدر كالدب ولم يطق التكلم وجرى قليلا
يمينا وشمالا فمن شدة عطشه وقف ولم يمكنه التوجه الى أى جهة ففى أثناء مشيه وبكائه على
نفسه واذا بنحو عشرين خيالا صيادين معتقلين الرماح وامامهم فرقة من الكلاب
الذين أنيابهم كالحديد جارحين لايمهلون الصيد دون أن يثبوا عليه ويفترسوه فنظروا
على بعد واذا على مدالبصر دب يهمر فهجموا عليه من جانب وأحدقوا به وقالوا
لبعضهم دونكم لايفلت منكم هذا الدب فقال ياهؤلاء أنا آدمى ولست بدب وانما كلامه
صار همهمة ولم تلتئم شفتاه على بعضهما فلم يفده هذا شيأ وهرب منهم يبتغى النجاة
فلحقوه وهجبت عليه الكلاب وصالت عليه بأنيابها ثم أحدقت الخيالة به وصار كل
منهم يوكزه بسنان رمحه ويرميه بسهامه والحاصل انهم صاروا ينهشونه وابتدؤا يأكلونه
حيا فدعاهنالك ربه فاستجاب منه بأن أنجده على بعد بحضرة ابن سينا فابتدأ يتملق اليه
بلسان حاله إذ عجز لسان مقاله فرحمه ورق لحاله ودفع عنه الكلاب والصيادين ورده
الى صورته الاصلية بعد أخذ العهود عليه والمواثيق والايمان الشديدة ثم قال
له اغمض عينيك فاغمضها وانقطع عنه الحس فتضايق من غمض عينيه اذلم يجد بعد
غمضه اياها جوابا ثم فتحهما واذا به متغير اللون والطاسة أمامه ولم يقدر على
النطق فقال له الملك ماذا رأيت فصار باهتا كالحيوان وينظر لابن سينا طويلا فقال
الملك واعجبا ماذا حصل لهؤلاء والحال ان هذا المسكين كان متألما من نهش الكلاب
إياه فلم يقدر على الجلوس هناك فقام وتوجه الى منزله ليداوى جراحه فاستغرب الملك
واقعة الحال وأراد أن ينظر هو بنفسه فنهض أيضا أرباب الدولة وقام أحدهم وقال
مهلا أيها الملك حتى أنظر أنا وأخبرك بما أراه وتقدم الى الطاسة وجلس بازائها ونظر

فيها واذا به فى برية وصحراء واسعة لا أول ولا آخر لها واذا بها غول بتقدير الله تعالى
فكادت روحه أن تفر منه لبشاعة هيكله وقبح منظره وقد مات من العطش وهو فيها
عريان كيوم ولدته أمه فتحير فى أمره وأراد أن ينظر له ملجأ فلم يجد ولم يزل فى بحر هذه
الحيرة مستغرقا واذا بعقاب مخالبه مثل كلاليب الحديد انقض عليه من الجو وانشب
مخالبه بلحمه وارتفع به طائرا نحو السماء فرآه عقاب آخر فقصده وخلصه من مخاليب
الاول وتعاركا عليه فانفلت من بينهم وصار يفتل فى الهوى فظهر عقاب ثالث وارتفع
به والاثنان الاولان يقتتلان فظهر رابع وخلصه من الثالث فكلما سقط من بينهم
نهشه آخر وكلما سقط من بين اثنين صارا يتعاركان والحاصل أنه ظهر نحو ثلاثين عقابا
وصار بينهم معركة عظيمة حتى شخصت لها الابصار وحارت فيها عتاة الجان كل ذلك
وهذا المسكين يشاهد ذلك كله وقد ضرته مخالبها وصارت جراحته تمج دما وصار فى كر
وفر وهو هابط لا يدرى ولا يعى ووقع ببئر فيها أثر ماء وقد ملئت من الروية والوحل
فغرس بها الى وسطه وبعد برهة رأى ثعبانا عظيما مكعكا فلما نظر اليه هم ليلتقمه فتحير فى
أمره وجاهد فى نجاة نفسه فتخلص من الروية وقصد احد زوايا البئر فرأى أن لا مهرب
لضيق المحل فدعا الله سبحانه وتعالى فنظر واذا قد ظهر له ابن سينا من أحد الاركان
فوثب اليه واسترحمه ورق لحاله وقصده فتعلق به ووقع على رجليه تقبيلا فقال له ابن
سينا ماذا تقول فى أنى سأطلب ابنة الملك واذا طلبتها هل تعاوننى على ذلك فقال أى
وربى كيف وأنت سبب حياتى وباعثى من بعد مماتى وعلى يديك نجاتى فأخذ
عليه العهود والمواثيق ثم أشار له الى جهة من المكان واذا به بباب فطلع منه واذا به
ينظر فى الطاسة فنظر الى ابن سينا متحيرا وابن سينا يتبسم وهذا المسكين صار متألما
من الجراحات التى أصابته من العقبان وهو يجد ألمها وكان كلما وقع به ضجيج وصار
مستغرقا فى بحر الحيرة متعجبا فى هذه المادة التى لم يسمع بها أبدا فقال له الملك ماذا
رأيت فلم يرد جوابا وتوجه لينظر له طبيبا ليطيب جراحته فتحير الملك عند ذلك
حيرة عظيمة وقال ان لهؤلاء القوم واقعة حال وأراد أن ينظر هو الى الطاسة فوثب أحد
الحاضرين على قدميه واستأذن الملك أن ينظر اليها هو فاذن له الملك فتقدم وقعد ينظر
بالطاسة واذا به فى صحراء واسعة جدا وبرية ذات تيه فاشتد عطشه من شدة الحرارة

التى بها وهو عريان متحير لم يدر أين يذهب وركن الى الالتجاء والمهرب فلم يجد ما خلفه الا كما أمامه فبكى بكاء شديدا وهطلت دموعه ولم تبل آماقه من الحر فبينما هو على تلك الحالة واذا أمامه على بعد جمل حامل عليه كالفيل وفمه يزبد وهو فاتح فاه مسرعا اليه فابتغى مهربا وقد انحلت فرائصه وارتخت أعضاؤه وقصد كل مكان فلم يجد له منجيا ولا مهربا وقد كان هذا الجمل فى سرعته لم يكد يهرب منه عقاب فضلا عن هذا العطشان الكبد الزائد الهم والنكد ومن عظم ما وجد من الكرب والخوف تيمم جهة فارا من شدة خوفه فلم يزل مجدا فى السير هاربا حتى جذب عنقود قلبه من سرعة نفسه فوصل اليه الجمل وقصد بلعه واذا أمامه هوى فرمى نفسه فيه وكان بهذا الهوى شجرة نابتة عظيمة فوقع عليها فتعلق بأغصانها وتنفس قليلا ثم نظر أسفل الشجرة اذا بتنين عظيم فاتح فاه ينتظر سقوطه وهو ناظر اليه فالتفت الى منبت الشجرة واذا هى نابتة على سقف صخرة وقد سلط عليها جرذون مهول وهو يقرض أصولها ولم يبق الا نحو قراطين وتسقط فيلتقمه التنين فالتفت ليرى جهة يلجأ اليها ونظر الى أعلى الهوى فوجد الجمل يزبد وفمه نحوه مفتوح وهو فى حاله يكاد أن يسقط عليه فدعا الله أن يخلصه من تلك الحالة واذا هو بابن سينا ظهر له فصرخ عند ذلك علته وترجاه فى الخلاص وبكى بكاء عادت عيناه تقطر دما فشفق عليه ابن سينا وقال له كيف تكون اذا طلبت ابنة الملك لولدى فهل تعاوننى على ذلك فقال أى نعم فأخذ عليه العهد وخلصه على أن لا يظهر قصته لاحد فحلف أيمانا شديدة ومن شدة ما هو فيه مما عاينه لو كان المصحف أمامه لابتلعه فضلا عن الايمان فنفض ابن سينا الشجرة واسقطه منها على الارض فظن أنه واقع فى فم التنين فصاح صيحة وفتح عينيه فوجد المجلس الذى فارقه حين نظره الى الماء الذى بالطاسة ووجد الملك جالسا وابن سينا يضحك فقال سبحان الله العظيم ما هذه الحالة المحيرة التى حلت بى وقلبه يرجف وقام الى محله ورجلاه وارمتان من كثرة جريه وخوفه وقد احترق قلبه وكبده من العطش وأظلمت عيناه ولم يقدر على أن يستقر بموضعه فسأله الملك ماذا رأيته زيادة عن بقية الجماعة حتى انك صحت هذه الصيحة التى أفزعتنا جميعاً فأجابه لا تسأل عن شىء وإن ما رأيته من الصفاء والرزق لا يعبر بمجرد القول أبداً وسكت وهو ينظر بعين العبرة الى ابن سينا فكاد الملك أن يهلك من شدة

الغم وطرق بديه وتعجب وكلما يسأل أحد الناظرين على مارآه فلم يجبه أحدابداوهم سكوت فقام واحد آخر وتقدم الى الملك واستأذنه على أن ينظر الماء الذى بالطاسة كافرانه حتى يرى ماهذه الحركات فأمر بذلك فنظر فى الطاسة واذا به على ساحل بحر خالى الجهات عن كل حيوان وصوت وكان هذا المحل لم يطأه أحد فحينما رأى نفسه فى هذا المكان غاب عن الوجود وصار فى درجة من اليأس حتى أنه أيس من رجوعه الى موطنه اياسا كليا وبكا بكاء شديدا وأنشد لسان حاله يقول هذه الابيات

دهيت ولم أدرى بما قد أصابنى * وأصبحت كئيب الحال بالوجد والبعد
وأمسيت أشكو ذلتى وتباعدى * وأحاطت بى صروف الدهر بالنكد
ترانى غريب الدار أضحيت مغرغرا * بعيدا عن الاوطان والالف والولد
وأصبحت فى قفر عديم أنيسه * شنيع الزوايا زائد الضنك والوجد
أجول به ذات اليمين وميسره * اماما وخلفا زائد الضنك والوجد
وقد كان هذا بالتقادير والقضا * بحكم اله العرش الواحد الفرد

(قال الراوى) وبعد أن فرغ من مقاله وما أبداه من شعره ونظامه صار ينتحب ويعلو صوته حتى سمع الحاضرون منه ذلك وهو لم يدر من نفسه وقد عبس وجهه وقشعر جبهته وجمع شفتيه كرضع العيال باكيا وتحير الى أين يذهب وقد سدت دونه أبواب السبيل والطرق ثم تفكر وقصد جهة طالب النجاة ومشى قليلا وهو ينظر الى أمواج البحار كالجبال ولم يكن قبل عليما بالبحر أبدا وتلاطم أمواجه وهو فى تلك الحيرة والنظر الى البحر واذا بشراع مرفوع أبيض فوقف لينظر ماهذا واذا فى برهة قليلة وصلت اليه مركب كبيرة وقربت من البر وأرمت المرساة ومدت السقالات الى البر وخرج منها جم غفير من أرباب المركب وقصدوا نحوه فاراد هو الركون الى الفرار فاحدقوا به من كل مكان وأوثقوه كتافا والقوه بالمركب ورفعوا القلاع وما كأنهم إلا احضر والآخذه وكان جل مقصدهم فساروا قليلا واذا بالامواج ارتفعت وصار ماء البحر يعلوا ويرتفع فصرخ الرئيس وقال لهم ويلكم ماهذه الحالة التى نحن فيها وقد اندهشوا فنظروا الى البحر فرأوا هائجة قصدت هلاك من بالمركب فصاح أرباب المركب جميعا وجمعوا أمرهم على أن يرموا اليها أحدا فداء عنهم فقالوا لبعضهم ومن نرمى فقالوا نرمى الذى

أسرناه فعندذلك صرخ ذلك المسكين وقال أنا أنفعكم لا ترمونى فلم يسمع منه أحد وقربوه
الى حافة المركب ليلقوه فأيس من الحياة وناجى ربه واستنجده واذا بابن سينا قد برزله
من جهة من جهات المركب فصرخ اليه وتظلم له وقال له أيها الحكيم بالامور المحصل لما
فى الصدور انجدنى من هذه المصيبة وبكى بكاء يفتت الاكباد فرق له ابن سينا وهرب
منه وقال له اذا خلصتك من واقعتك هذه هل تعاوننى على طلب ابنة الملك لولدى على
وتكتم سرك هذا فاجابه الى ذلك ورضى وحلف له ايمانا مؤكدة فمسكه ابن سينا من
يده ورماه الى فم تلك الهايشة فزعق المسكين من صميم فؤاده وقال آه صارخا رافعا
صوته وفتح عينه واذا هو بحافيه الطاسة فتحير من أمره واندهش وصار ينظر يمينا
وشمالا فوجد المجلس بحاله ولم يتحرك أحد من مجلسه وهم شاخصون اليه والملك
ينتظر خبره فقال له الملك ماذا جرى وما شاهدته من غرائب الامور حتى انك صرت
تبكى تارة وتصرخ أخرى وما نشدك التى قلته وأنت تستغيث وتنادى باعلى صوتك
وتستنجد بابن سينا ماهذه الفعال فقال له أيها الملك أن جميع ماشاهدته منى فهو
بخلاف ما كنت فيه انا رأيت من موجبات السرور ما لا يوصف ولا يعبر ومن سمع ليس
كمن رأى فيحتاج الامر الى المشاهدة وقام الى محله واطرق برأسه وقلبه يرجف ويخفق
خفقان الطير بيد الصغير وهو ينظر لابن سينا فوجده يضحك فعندذلك تحير الملك
وقال مادهم هؤلاء القوم وماسر هذه القضية التى كل من اطلع على مكنون سرها خرس
وبهت ( قال الراوى ) ثم ان الملك قام بنفسه ونظر الى الطاسة فلم يجد شيئا خلاف الماء
فقال لابن سينا لم أجد شيئا غير الماء فامره ابن سينا أن ينظر ثانيا فنظر الملك فوجد
نفسه داخل بئر عريانا وقد غطس فى الماء وارتفع ولم يزل على هذه الحالة وماء البئر لاقرار
له وصار يمارس تلك الحالة ولم يجد شيا يتسبطه الا حجرا صغيرا وسعه باصابعه شيا قليلا
فلم ينفعه فصار يغطس ويرتفع على وجه الماء ليلة كاملة ولم يستطعم شيئا وكلما غطس
ابتلع ماء كثيرا فصار كالقربة من كثرة شربه من الماء فنظر الى فم البئر فوجده فى بعد
النجوم صغيراً جدا فعلم أن حالته آلت الى العدم ثم بكا بكاء شديداً وقد يئس من النجاة
فبينما هو كذلك واذا بدلو ابتدأ بالنزول الى البئر فكانه تداركه الخضر بلطف الله فمسك
الدلو مسكا قويا فظن صاحب الدلو أنه ملىء ماء فصار يسحبه حتى اذا قرب الى فم البئر

وجسده انسانا فظاه جنيا فقلته فكرها بطا الى أسفل وهو يكر كر المغزل وهرب الغلام وكان عبدا وأخبر سيده بالقصة فتعجب أيضا سيده وقال ماذا يفعل الادمى داخل البئر فحضر سيده مع جماعة وأدلوا الدلو والملك المسكين من شدة مكابدة الغطس والارتفاع قدمسك الدلو ثانيا مسكا وثيقا فأخرجوه فنظر الى الذين أخرجوه فرآهم من أحسن الناس فحانت منه التفاتة الى جهتهم فوجد عسكرا كثيرا يستحيل عدده وخياما سلطانية وأعلاما متنوعة منصوبة وصهيل خيل منتشرة وبغالا تهمهم عرضهم يوم وكذا طولهم فقال سبحان الله العظيم وتعجب اذ الم يخطر على قلب بشر اجتماع عسكر بهذا العدد ثم انهم سألوه هؤلاء الا كابر عن حال واقعته (قال الراوى) ومن اعجب العجائب ان هؤلاء القوم حين سألوه فلم يعرف أحد منهم لغته فأخذوه الى خيمة وأطعموه وقد كان غلبه النعاس فنام وفى أثناء ذلك أى وهو نائم رأى الشمس قد قربت منه وأحرقته حرارتها فأراد تبديل مكانه وفتح عينيه فلم ير أثر الخيام ولا السرادقات ولا العساكر فتفكر هذا الملك وقال ماهذا الامر المدهش الذى وقعت فيه أنا اين ذهبت هذه العساكر فى برهة قليلة من الزمن وأنا لم أدر وقد هدموا الخيام وكذا الخيمة التى كانت منصوبة على فلم أشعر بذلك وصار ينظر يمينا وشمالا فرأى نفسه فى برية مشحونة بالتعب وصحراء مملوءة بالهجير واللهب فاذا هب منها ريح سموم على قوم أوحيوانات هلكت من حينها واحترقت فتأسف على نفسه من هذه الواقعة وأنشد لسان حاله يقول

تحيرت والرحمن لاشك فى أمرى ... وحاطت بى الاحزان من حيث لا أدرى
وأصبحت حيرانا فى قفر بلاقع ... خلى من السكان لا وحش ولا طير
سوى الرياح السموم عواصف ... تهب هبوبا هائلا زائد الشر
ولم اعلم أى المقاصد التجى ... وقد صرت فريدا فى المهامة والقفر
ولم أدر ما قد نالنى وأصابنى ... من البعد والتشتيت والبأس والضر
بليت بأحزان وكرب وغربة ... وأصبحت حيرانا مع الوجد والفكر
فاسألك يارحمن ياسامع الدعا ... ويامنقذ الغرقان من لجة البحر
ويا كاشف الكربات يادافع البلا ... ويا غافر الزلات يا مسبل الستر

بتوراة موسى بالخليل وما دعا | بانجيل عيسى بالصحائف بالنهر
بحق كتاب أنت بينت فضله | على ماسواه من كتاب ومن شعر
بكتبك بالآيات بالرسل كلهم | بتقديرك الاشياء بالنهى والامر
تمن على بالخلاص من الردى | وتنقذنى من ذى المهالك والو ر
فانت رجاء من التجى وبك التجا | فلا ملجأ إلا اليك من الضر
تكون لى مجيرا يا الهى وخالقى | ونج نجاة تبدل العسر باليسر

( قال الراوى ) والحاصل أنه لما فرغ من ذلك الشعر والنظام صار حائرا فى تلك الصحراء الواسعة الرحاب التى لم يطأ أرضها ركاب ولا يمطر ساحتها منذ خلقت سحاب فصار بها يريد النجاة وعيناه تدمعان دماصبيبا ولا يجد ممن ينجده صاحبا ولا حبيبا وسار بها الى المساء حيرانا وتدلى لسانه من شدة العطش وصار ولها نافيا لها من كربة قد أحاطت بناعساها ويالها من شدة لم يلح صبح باكرها ويالها من مصيبة أحاطت بما كرها وكأن جهنم بالنسبة لها جنات عدن والموت لديه ألذ من الحور العين وما يعهدن فكابد مشقات ورأى نكبات الى أن دخل عليه الليل وهو باكى العين بدماء كالسيل ونادى الويل الويل وهدت قواه وانصرمت منه حبال الحيل فارتاح نوع راحة من حرارة الشمس ولكن صار خائفا جائعا عطشانا فريدا وحيدا فاشتد بكاؤه ونحيبه وقد تورمت قدماه من شدة حرارة الرمال وندم على مشاجرته مع ابن سينا وعلم أن هذا كله غلط منه وخطأ وعزم بنيته انه اذا خلص من هذه المرة مما هو فيه يمتثل له فى ظاهر كل أمر وخافيه ولا يخرج من تحت طاعته ويعيش معه فى حرز الامان وعزم بكليته على ذلك ومال اليه واشهد الله على ماعول عليه وأما باب عشم الخلاص فقد أغلق أوقاته وندم على موضع الصلح اذفاته فتفكر فى نفسه حين يأسه من الخلاص ان ابن سينا قصد بذلك هلاكه لاجل أخذ البنت لولده المدعو على الحلوجى فرضى بالقضاء ووطن باقدام الصبر على نار البغضاء ثم بكا بكاء ابتلت من دموعه لحيته لما عظم عليه مصابه وبليته وصار مبهوتا فتنبه لحاله وقال ان الصباح اذا أدركته عساكره وطلعت عليه الشمس انحرق من شدة الحرارة فنهض قائما على قدميه وطلب مايستظل به ومشى وهو يتخيل أمامه كأن أشياء تتحرك ولم

يرهامن شدة الظلام فاسرع فى عدوه واذاباسود زنجى مهول الهيئة مشوه الخلقة عظيم الرأس شديد المراس فاتحفاه وقدقصده يريد ابتلاعه وهويتهرب منه وذاك يجرى خلفه ولم يجدملجأ ولامنجا فانخلع قلبه من الخوف وأيس من حياته وقدأدركه الزنجى ولحقه من الخوف ماأوجب سقوطه الى الارض وسلم الامر لخالقه فعندها نظر واذابشعلة نار فحمدالله تعالى اذ الحال انفرجت أزمتها وكثر ازدحام الناس وطمع فى نجاته وقصد نحوهم وهوفى شدة وكرب وعطش فقرب منهم وبدأ ينفجر صبح سواد كربته واذابغولين وقد استحسنا بجيئه فوثباعليه وقال أحدهما للآخر هذا نصيبنا قد ساقه الله الينا وأمسكه أحدهما قويا وجاء الآخر وتعلق به من جهة أخرى فقال الاول أن الصيدلى وأنااقتنصته فانتظرلك آخر فكثر الجدال بينهما وقال الآخر خذ أنت كل مايأتى بعدهذا وسلمه لى آكله فزادالقيل والقال بينهما وعلاالكلام وتضاربا وتصاولا وتجاولا فتارة أحدهما كان يلقى صاحبه الى الارض ويعلو عليه وتارة ينعكس الامر وقدجرحا أوجه بعضهما وشجارؤس بعضهما ونهضاقائمين وقبضاعلى بعضهما ففر المسكين الى جهة ونجا منهمابشدة التعب وقد لحقه من التعب والخوف مالامزيدعليه ووقع وقدأتى الى غابة والتجأ الى مكان ذى ظل وأرادالاستراحة قليلا ونوى أن يأتى الى مكان مؤتمن لينام به قليلا حيث كان له مدة لم ينم ففى أثناء مسيره واذا بثعبان عظيم الخلقة بسبعة رؤس فقام الثعبان برؤسه فوجده انسانا فهم حالا أن يبتلعه ونفخ نارا من فمه تتأجج وشفطه فانسحب رغما عن أنفه الى فيه لمافى شفطه من جذب الهواء بقوة فصار كالذى هرب من دب فوقع فى جب وقال لامحالة انى هالك فى هذه الواقعة فتعلق بأحد اشجار الغابة حتى بطلت عنه قوة جذبه وفر عدوا الى جهة يريد النجاة وهو باكى العين وقدكانت النار التى خرجت من فم هذا التنين أحرقت أخضر الحشائش بل وبعض الاشجار فارتفعت النار الى الجو وانسد الافق من دخانها فلما حالت النار بينه وبين التنين صار فى أمان منه واطمئنان ولكن لم يمكنه الخروج من النار وذهابه الى أى جهة فتيقن باحتراقه وقربت منه النار حتى شعره ولحيته شاطتا وكاد أن يحترق فى ثيابه ويئس اذن من الحياة فهنالك ناجى قاضى الحاجات رب الارباب ومسبب الاسباب فظهر عندها ابن سينا من داخل النار فطلب الامان

منه واسترحمه وقال له ادركني عاجلا يا عديم الانسانية ماهذه المصائب التى سلطتها على وبكى بكاء شديدا فتبسم ابن سينا وقال له لماذا تعاندني وتبارزني بالكرات العظيمة وقد شاهدت مني عجائب دفعات عديدة ولم تنصف وتعطيني البنت فمن عديم الانسانية منا أنا أم أنت فاذا امتثلت الامر وأعطيتني البنت نجيتك والا أهلكتك وآخذها بالضنك منك بوجه السهولة فرضي الملك وقال له خلصني من هذه الورطة وخذها لخلفه وأخذ عليه العهود والمواثيق وقد كان بيد ابن سينا طاسة ملآنة بالماء فألقاها عليه ففتح الملك عينيه واذا هو بالديوان بجانب الطاسة والمجلس كما هو ولم يتحرك أحدهم من مكانه ولم يجد من معالم ما رآه شيئا فقام وقعد مكانه ولم يسكن ألم الحرارة التى وجدها وموضع الشياط فى ذقنه فنظر الى أبى على بن سينا واذا به ينظر اليه من لحاظ عينيه ويتضاحك خفيا فأطرق برأسه الى الارض من خجله ماذا يقول وماذا يفعل وقد ضاعت حواس عقله واستغرق فى لجة التفكر فقال له أحد أرباب الدولة يا ملك ماذا رأيت عند نظرك بالطاسة وأظن أنك صرت امرأة وقال الآخر بل صار زنجيا والثالث قال صار دبا فنظر اليهم الملك بالحقد والغضب ولم يجبهم ثم قالوا فى نفس واحد أنه وقع بورطة عظيمة وسكتوا فتفكر الملك قليلا ورفع رأسه وخاطب ابن سينا وقال له يا صاحب العلوم الغريبة والفنون العديدة العجيبة ويا فيلسوف زمانه وافلاطون عصره وأوانه ما المراد من هذه الافعال التى قد أدهشتنا جميعا فأجابه ابن سينا ان مقصدى رأيته عند نظرك للطاسة فى برهة من الزمن ثم أنت جالس على سرير فاذا كنت متوهما فيما رأيته وشككت فيه فاسئل أرباب دولتك يخبروك فقال أرباب الدولة نعم يا حضرة الملك قد كنت ناظرا الى الطاسة مدة نحو ساعة ثم قمت وجلست مكانك فقال الملك سبحان الله تارة أكون فى البئر وتارة أكون فى الصحراء اشاهد أنواع العذاب ولم أخلص من كل الا بشق الانفس وحكى لهم بجميع ما شاهده وعاينه كل ذلك وأهل الديوان له سامعون ومنه متعجبون فدعى هنالك ابن سينا للملك وأثنى عليه وقال له يا صاحب العناية وولى النعمة أن ما رأيتموه من هذا الفقير من النكات هو كلا شىء فان مما من الله سبحانه وتعالى به على من العلوم التى أتحقق بها ولا يكون فيها شبهة ولا ريب كالبحار الزاخرة وكل ما رأيتموه فهو كقطرة من لجة وقد شاهدتم البراهين مرارا

عديدة فالاصوب الآن أن تشكروا على هذا الفقير بأن تكفوا ناشر مؤنة الحرب وتوفوا بما وعدتم على سنة رسول الله وكتاب الله تعالى وتعطوني ابنتكم لولدي وهذا لا كدر فيه واذا قلتم أنكم أغنياء وهو فقير فهذا غرور وكبر من أفعال الشيطان وليست هذه الفعال دالة على حسن أصل الانسان فقال له الملك نعم نعطيها ولكن دعنا نتدارك أمر الجهاز برهة ثم يجري اللازم فلما سمع ابن سينا من الملك هذا الكلام أعجبه وهم الى دكانه قال فلما حضر ابن سينا الى الدكان وجد عليا يبكي حزيناً فنظر قدوم شيخه وترامى على قدميه عند قدومه عليه وقال يا سيدي أنا تركت هذه البنت فقال له لماذا يا محبوب قلبي وسبب حياتي قل لي ماذا طرأ على بالك وأي شيء دهاك فكل ما طلبته أنا قادر عليه ومادمت حياً لا تحتاج الى غيري وأي حاجة أردتها فهي حاضرة بين يديك فانظر الى هذا الحكيم مع كونه فيلسوفا عاقلا أديبا لبيبا ناصحا لجميع الخلق صار أسير المحبة ولم يتمالك نفسه وانقاد لمعشوقه انقيادا أبهر العقول اذ لو كان للعشق دواء دون الوصال لتداوى به هذا الفاضل وانما كان وصاله مجرد المشاهدة وحاشاه من ارتكاب نحو الصغيرة دون الكبيرة وأخذ علياً من يده وأجلسه بجانبه وصار يلاطفه فقال له علي أنا أهوبتك فما هذه المادة فتارة يدعوك وتارة يحاربوك ولم أدر ماذا آخر هذا الامر فأترجاك في ترك هذه المادة فقال له يا ولدي ان الناس قد سمعوا ما صار بيني وبين الملك فاذن لا يمكن السكوت دون أخذ ابنته الملك فدع عنك هذا وصار يتحدث معه ويلاطفه ﴿ قال الراوي ﴾ هذا ما كان من أمر ابن سينا وعلي * وأما ما كان من أمر الملك فانه اختلى ودعا أبا الحارث وقال له يا أيها الحكيم قد علمت اني قد صرفت من أجلك أموالا لا تحصى حتى أحضرتك الى هنا وقد كان همي واحدا فصار اثنين وأنت أوميت لنا الى الهند وعلمت ماذا أصابنا من ملكها من الفضيحة ماعدا المصاريف التي صرفتها وكنت أنت السبب في سماعي من كلامه وجرستي عند الخاص والعام من الناس وقد صار معلومنا عدم معرفتك وكنت شريكنا أيضاً في بعض المشقات التي عايناها ثم عجزت ومن خوفك من هذا الدرويش ادعيت اخوته فما يؤل اليه أمرنا فاذا كان طلبته البنت له خاصة فلا بأس اذ هو صاحب معارف كثيرة ويليق له أن يصاهرنا وبذلك كنا نخلص من طعن الخلق فكيف أنه بعد جوره وتعسفه يقول أعط

ابنتك لولد أجنبى كل ذلك وأنتم لاغيرة لكم علينا وأظن أن درجة عجزك أقعدتك
عن النهوض الى ابراز مقدرتك وقد طعن على أبى الحارث طعنا كثيرا وشنع به فقال
له أبو الحارث مادام انك تقول انه اذا طلب ابنتك لنفسه كنت لاتمنعه اياها وتعطيها له
لكونه ذا معارف شتى وانه حقيق به ان يتصاهر وهذا الذى قادر على ذلك كله يمهل
عليا وأنا اترجاه ان يظهر عساكر كثيرة بعلم السيمياء ويجلب أموالا كثيرة ويغنى عليا
ولده ويكسبه قوة ولياقة لمصاهرتك ثم انا نزوجه ابنتك واعلم أيها الملك انه اذا اجتمع
الانس والجن على ابن سينا لايقدرون عليه فضلا عن كونهم لايسلمون من شره فعند
ذلك انكوى كبد الملك بنار الغيرة وقال لابى الحارث ياقليل الغيرة والحياء ياعديم
الانسانية مادام انه لايخرج من يدك شىء أليس من الاصوب ان تقول أنا عاجز عنه
وعاتبه عتابا شديدا وأوجعه بالكلام وأرسل بالمدائن حاشرين ان يأتوه بكل ساحر
عليم ولم ينظر بعدها الى أبى الحارث فخجل أبو الحارث كثيرا وقبض على لحيته برهة
واستغرق فى بحر الحيرة ومن عظم ماحصل له من الخجل والتشنيع لم يقدر أن ينظر الى
وجه أحد وتغير من انه لم يمكنه شىء ووقعت به الحيرة والغيرة وأراد الغدر بأخيه وانما لم
يبرز ذلك لأحد لما انه علم ان ابن سينا وكل بهم خداما يسترقون السمع وخاف من
انعكاس القضية عليه وقام من المجلس واختلى بمكان اخر وتفكر قليلا وبكى من العار
الذى لحقه وأجمع أمره على أن الموت أفضل من العار وفى الحال بنى حماما فى مصر
مثل الذى بناه ببغداد وأظهر ريحا باردا واختفى هو بزاوية من زواياه عن أعين
الناظرين فاشتهر أمر الحمام بالمدينة وحضر كل الناس للتفرج عليه فسمع به ابن سينا
فطلب هو أيضا أن يرى ذلك الحمام ففى ذات يوم أخذ عليا مزيده وأتى لاجل أن
يتفرج بالحمام وحيث انه عرف ان هذا بمعرفة اخيه أبى الحارث لم يحترز على نفسه لما
انه لم يقصد ضرره وامن فتجرد ودخل الحمام مع الولد فرآى الحمام واذا هو ليس فى طاقة
البشر مثله فى البنيان فعلم انه من علم السيمياء فوقعت به الشبهة واراد الخروج الى خارج
الحمام وقد كان أبو الحارث كامنا له فقرأ العزيمة عاجلا ونفخ عليه فرأى ابن سينا نفسه
بصحراء واسعة فتحير فى أمره وقال من دق دق وواحدة بواحدة جزاء وكما تدين تدان
وفهم ان أخاه غدر به فنظر فى أطرافه فوجد فى تلك الصحراء جبلا وبخلفه مدينة

عظيمة عديمة المثال لايصفها الواصفون فقال ابن سينا ماهذه المدينة ونحا نحوها حتى
اذا ماقرب منها استحى أن يدخلها اذهو مؤتزر بفوطة الحمام فقرأ على الفوطة عزيمة
فتحولت جل فرس وتوشحها وقصد المدينة فوجد على بابها رمالا وقد احتاطه ارباب
الحاجات وهو يأخذ لكل احد طالعه ويخبرهم بالسعودات والنحوسات فاراد ابن
سينا ان يساله وينظر بم يخبره مستهزئا به فسلم على الرمال وقال له اضرب لى تخت رمل
أيها الاستاذ الماهر فنظر الرمال الى ابن سينا واذا هو عريان متوشح بجل فرس فقال
له ان الدولة قد اجتمعت عليك وطالعك بلغ اوج الذري فلا تحتاج الى الرمل واستهزأ به
قليلا فاحتد ابن سينا من قوله باطنا وقال له أيها الرمال يا جاهل يا احمق لم تنظر الى لبسى
وانا سلطان هذا الزمان بيت شعر بالمعنى

لاتهزأن بمخلوق على خلق    من لبسه وله باع وسلطان

فقال له الرمال نعم انه ظهر انك ذو باع وتسلط لم لا تأتنا بجان من عسكرك فنظر أبو على
ابن سينا الى جهة الباب وقرأ عزيمة واذا بالصحراء عساكر لاتعد ولايحيط بهم البصر
وهم لابسون من آلات الحديد مالايقاومه البصر الحديد فقال ابن سينا للرمال هذا
عسكرى قد اقبل فنظر الرمال الى الصحراء واذا بالعساكر كعسيب النخيل وقد قصدوا
المدينة فضاقت حضيرته وانضرمت نار حشاشته ونهض حالا الى ملك المدينة وقص
عليه القصة وكان اسم المدينة قالونيا واسم ملكها دقيانوس وكان ساحرا فاسقا ملعونا
عنيدا زنديقا وقد اجتمعت فيه الخصال الذميمة وكان يدعى الالوهية واظهر لهم خوارق
العادات ولكن ليس هو دقيانوس المذكور فى التواريخ وانما هذا الملعون كان اعداؤه
كثيرين وكان على خوف وحذر فظن عند هذا الخبر ان اعداؤه هجموا عليه سيما وان المخبر
له كان شهيرا فى الرمل فلم يشك فى ذلك فقصد ابن سينا وقد أخبره الناس ان العساكر قد
دخلوا المدينة فعند ذلك ابرز هذا الملعون بقوة سحره عسكرا جسيما فلما راى ابن سينا
غارة هذه العساكر تحير ولم يعلم ان ذلك بمادة علم السحر وقد انمحى اثر عسكره وامسكه
ذلك الملك واوثقه كتافا وأمر به أن يقتل ففى الحال تدارك ابن سينا نفسه قائلا ما هذا
الحال وقد وقع بصره على دقيانوس الساحر وأمعن النظر منه وتفرس أحواله فعرف
انه ساحر فقال له ياملعون مامرادك منى فاجابه دقيانوس يامجهول الاصل من اين اقبلت

ومن انت قال انا درويش من عباد الله تعالى فقال له دقيانوس اسجد لى واسلم من
شرى والا اهلكك بكيفية تصير بها مثلا بين العالم فجثى حينئذ ابن سينا على ركبتيه وقال
له ياملعون اذا لاقيتنى فافعل بى ماشئت وقرأ عزيمة غاب لديها عن العيون فعند ذلك قال
اللعين دقيانوس ماأسحره من حكيم وماأمهره من عليم وقد تحير دفتر عقله فى وجود
مكانه الذى غاب فيه قال وكان لدقيانوس تلميذ ماهر فى مادة السحر فاحضره وقال له
ائتنى به وان لم تأتنى به أهلكتك فابذل مجهوده واذا ابن سينا جالس داخل دكان خراب
من دكاكين المدينة فسلم عليه وقال له أجب الملك فقال له ابن سينا لا أتوجه له فقال
له الآخر لابد من توجهك معى فقال ابن سينا انا رجل درويش فماذا يريد الملك
منى فقال له الساحر اذا مثلت بين يديه فعند ذلك تعلم مراده فقال ابن سينا لا أتوجه
الا مرغوما على فاذا قدرت على توجهت معك ففى الحال قرا ذلك الملعون الساحر عزيمة
واذا بنار مقبلة ودنت من الدكان وكادت ان تدخلها فعزم ابن سينا لديها فاطفأ النار
وكان اسم تلميذ الملك هذا جالوت فامسكه ابن سينا من يده ودفعه واذا به على ماحكى انه
صار مسلوب العقل وبعد برهه فتح عينيه فوجد نفسه فى بحر وكلما اجهد فى خلاص
نفسه لم يقتدر وكلما عزم وسحر لم ينفعه ولم يفده شيأ فعجز وتحير وضاقت حضيرته
وابتدا حينئذ بالسباحة وبكى وهو فى تلك الحالة وعجز وكلت سواعده ولم يجد له قوة
الرمق فضلا عن السباحة فرق لحاله ابن سينا ومال اليه من صميم قلبه وبقى عنده ثم
خلصه واحضره امامه وقال ياجالوت يا ساحر هل أنت معترف بذنبك استحسن جالوت
معرفة ابن سينا ومال اليه من صميم قلبه وبقى عنده فأذن له بالذهاب فلم يرض ولم يبرح
من مكانه واسلم على يديه ووقعت محبته فى قلبه وقال له أنا فى خدمتك وقد أمسى
عليهما الليل وهما فى تلك الحالة فناما فى الدكان فغضب الملعون دقيانوس لما استعلم
بذلك من علم سحره وقصد قتل الاثنين ونهض قائما واتى الى الدكان فوجد جالوت نائما
فقطع رأسه وعبر داخل الدكان فوجد ابن سينا قد صار اربعين ابن سينا او ازيد فلم يعلم
ايها يقتل فتحير وصبر قليلا ثم قصد قتل الجميع وقد كان ابن سينا نائما ذلك الوقت ورأى
فى المنام ان عليا الحلوجى وقع فى ماء معكر وجاهد فى الخروج فلم يمكنه فمن فزعه على
وثب قائما على قدميه فرآى الملعون دقيانوس على رأسه وبيده خنجر فدفعه ابن

سينا فى صدره أوقعه من الدكان بسرعة بعزيمة تلاها وطلع خارج الدكان فوجد جالوت قتيلا فدفنه وقصد توجهه الى مصر عاجلا فبقوة علم السيميا وصل الى مصر قبل الصبح فتوضأ من النيل واشتغل بالعبادة الى الصباح وأما دقيانوس فانه بعد برهة وعى لنفسه ووجد ابن سينا مفقودا فلم يخبر أحدا بهذه المادة من شدة حيائه وجلس بمنزله هذا ما كان من أمر ابن سينا مع دقيانوس (قال الراوى) وأما ما كان من أبى الحارث وعلى الحلوجى فيروى ان أبا الحارث توجه بعد اجراء قصده باخيه للديوان للملك فوجده جالسا مع أكابر دولته يتشاورون فى قضية ابن سينا وعلى الحلوجى فقبل الارض وتقدم وقال ايها الملك انى انتقمت من عدوك ابن سينا فعند ذلك اعتدل الملك ولاحت بوجهه أعلام البشائر وكاد من فرحته أن يطير وقرب أبا الحارث منه وقال له كيف عملت فقال له ان المادة كيت وكيت وقص عليه الخبر كما جرى فقال له الملك مادام هذا الرفض غائب فنحن نفترس بالولد الذى هو سبب لهذه القبائح والشنائع كلها واستشار أبا الحارث فى أمره فقال أبو الحارث أنا فعلت ما فعلت وأبعدت عنكم ابن سينا بمكان بعيد جدا فافعلوا أنتم ما بدا لكم ( قال الراوى ) فيحكى أن عليا الحلوجى لما شاهد ما جرى لاستاذه علم أن الدهر خانه فيه وقد كان تعلم الاخفاء من ابن سينا فاخفى نفسه بجهة ولم يبرح بها حتى أراده الملك فأرسل اليه جنوده فلم يجدوه أبدا ففوض أمره الى أبى الحارث فاخذ يضرب الرمل وربع مصر مرات عديدة حتى دلهم عليه وأبطل الاخفاء عنهم وأمرهم أن يحضروا به فتوجهوا اليه وأحضروه الى الملك بالديوان فقال له الملك يا ابن الاوغاد قد ألحقت بى بلية عظيمة ثم أدهيتنى برزية لم يبده بها غيرى وفضحتنى ما بين العالم هل أفلتك من يدى بعد ظفرى بك واستحضر النطع وأمر الجلادين بقطع رأسه فوثبوا عليه كالذئاب بوجوه عابسة وقد سلوا عليه سيوفهم وهجموا عليه وصاروا ينادوا بأعلى أصواتهم ان هذا جزاء من يهجم على أعراض الملوك ولم يأب المعصية فصاح بهم الملك دونكم جزوا رأسه ولا تمهلوه واسكبوا دمه واقتلوه فعند ذلك قال ابو الحارث أيها الملك امهله ولا تعجل عليه فانه مادام أخى ابن سينا فى قيد الحياة فانه لابد من حضوره فاذا وجده مفقودا فلا شك فى اعدامك بل ويوشك أن لا أسلم من شره وانما قصدى بابعاده أن اريه درجة علمى وانى لست

بجاهل في عام السيمياء ليخفف عنك ما أنت فيه فانى أخبرته بمجى معنا الدفع تعديه
عليك ومع ذلك لم يرجع فقصدته بهذه النكبة لمقابلة ماعمل بى وبك واعلم أنه اذا
اجتمع أهل الدنيا جميعا على أن يضروه لم يقدروا عليه وهذه الفعلة ليست مضرة به فقال
له الملك أيها العليم بمهمات الامور انظر الى أخيك وأحواله وكيف ماحل به هل هو
حى أم ميت وترجاه غاية الترجى فأخذ أمامه رملا وابتدأ فى تشكيل الطوالع وصار
يتفرج فى مرآة الدنيا فوجد بها من العجائب والغرائب مالا يوصف بمجرد تخت الرمل
قال وقد كان ابن سينا لما أن حضر الى مصر توجه الى دكان على الحلوجى واذا بابه
مغلوق وقد خلا ولم يكن به أحد فمضى بسرعة يجرى الى منزله ودق الباب ففتحت
والدة على الباب واذا هى بابن سينا فتأوهت وبكت وشكت له أحوال على وصارت
تبكى حتى استبكت ابن سينا معها لرقة قلبه على تلميذه وقال فى نفسه انه كان قصدنا
نفعه فسعينا فى ضرره وكنا سببا لاعدامه وتأسف عليه وقال لها وأى وقت قبض
عليه فقالت له أيمكنك ادراكه واذا قتل تجد فيه أثر الروح فتفكر قليلا وبكى وهو
منزو عنها وحط رأيه على اعدام والى مصر فانه مادام فى قيد الحياة لم يمكن ابن سينا من
غرضه اذ رأى منه من الامور الباهرة للعقول مالو رآه غيره لاعتبر واخيرا ساق ادهم
فكره الى ميادين المعاندة ثم ابتدر وعزم وأظهر صحبة ورد عجيبة الشكل والمثال ومن
العجب أن ذلك الوقت كان خاليا من وجود أنواع الورد وحضر بها الى أمام حضرة
الملك فى صفة كريهة المنظر رثة حتى أن من راه يظنه أنه من قوم لوط وقد أبقاه الدهر
عبرة لمن يعتبر وتوجه الى الملك ووقف ممتثلا فى غاية الادب ودعا الله بلسان فصيح
قال وقد كان أبو الحارث مطرقا برأسه يبحث عن أبى على بن سينا وعلى الحلوجى واقف
فى ميدان السياسة ينتظر وروده حياض الموت وهو فى كل نفس يتجرع صرف
كاس المنايا وهو يقول فى نفسه اذا كان موتى يكون فداء لابن سينا فلا بأس وما
حياتى بعد فقده الا كالعدم هذا والملك يقول لابى الحارث اسرع لى الخبر وقد تناول
الورد من الدرويش الجانب الورد وأعطاه لابى الحارث تبركا ولم يلتفت أبو الحارث
الى مناول الورد فشمه فمات من حينه وسلم روحه الطاهرة المقدسة للبارى عز وجل وعلى وقد
كان ابن سينا سمم الورد قاصدا هلاك الملك فكان السبب سابقا فى الازل الى أبى

الحارث فطار عقل ابن سينا من رأسه جزعا على أخيه فانظر الى حكمة علام الغيوب وقد وجه الشيء الى مستحقه وبه سبقت الارادة الازلية فحير ابن سينا واحتار فى أمره اذ وجد أخاه هلك وتحير الملك أيضا وقال ويلكم انظروا ما هذا الخبر ففى أثناء اشتغالهم بحال أبى الحارث لم يشعروا الا وابن سينا أخفى نفسه وعليا من محل السياسة وقصد هلاك الملك فوجده بريئاً فى تلك القضية وكان السبب فى هذه المفسدة أخوه أبو الحارث فجوزى بحكمة القادر جل جلاله بما هو أهله وقال ابن سينا هذه النوبة للملك كافية وان عاند بعد الآن جازيته بما هو أهله ثم ان عليا فتح عينيه فوجد نفسه سالما مع ابن سينا بالدكان فبكى بكاء شديدا وقال له ان عدم وفائك ظهر لى كيف تركتنى أسيرا وحيدا مقصوص الجناح مسلوب الفؤاد وغبت عنى فهل هذا يليق بشأنك اذ ليس من المروءة والانصاف ترك مثلى وأنا مطلوب وقد عجزوا عنى بوجودك وقد جفونى بعدك وملنى أصدقائى ولم أجد لى معيناً على مصيبتى ولم يكن أملى منك هكذا فما هذه الصفوة التى هى غير حقيقية فلو كنت غبت عنى برهة أيضاً لما وجدت لى أثرا الا رمياً ملقى بالتراب وصار يتدلل هو عليه ورق حاله ودصخر قلبه اليه ولان حتى صار كالماء الاسن فأجابه بعد سماع درر منظوم كلامه الممتزج بسلافة رضابه العسال الذى جعله ثملا يا سلطان مسند الحسن والجمال ومتصرفا بقلوب امرائه بدون مثال ويا مالكا امر قيادى ومحبوبى ومرادى هل أنا توجهت بارادتى وكيف اطيل فراقك وقد امتزجت روحى بروحانيتك وانما أخى أبو الحارث وجدنى غافلا وفى ثياب عز صحبتك رافلا وقد كنت معتقدا انه لا يهون عليه ما فعل بى ولا يبيعنى بأبخس ثمن وقد أبعدنى بقوة علم السيمياء عنك بمسافة بعيدة وقد شاهدت بتلك الديار مهالك عظيمة مهولة ولولا الاجل لم يبق بينى وبين الموت الا دون طرفة عين ولم يمكن خلاص نفسى فى مدة أقل من هذه ولم يكن هذا باختيارى وللباغى مصرع وقد كنت قاصدا هلاك الملك فلم يصب السهم الا محله واعتبرت بموت أخى اذ كان سببا لهذا كله والا لاهلكت الملك بعده فى أقل من لمح البصر وبعد هذا فكن مطمئن البال ولا بد أن أقضى جميع مآربك وصار يلاطفه ويمازحه وجلا مرآة قلبه وأرسل الى والدته فطمنها بابنها ففرحت بورود ابن سينا أكثر من حياة ولدها اذ لو لم يكن حضر لعدم

ولدها فحضرت عندها وتملت برؤية ولدها وحمدت الله تعالى وأثنت عليه وبقيت معه حتى اطمأن قلبها وطاب خاطرها وتوجهت الى منزلها هذا ما كان من أمر ابن سينا وعلى الحلوجى ( قال الراوى ) وأما ما كان من الملك فانه لما رأى سقوط أبى الحارث ميتا احتار حيرة شديدة وضاق صدره وتفكر فى أمره وضاقت عليه الارض بما رحبت وعض على اصبعه واستقر فى لجة الافتكار وفهم ان هذه الحالة انما حصلت من الوردة التى ناولها اياه ذلك الدرويش الجرار ولم يشك فى ذلك فأرسل يكشف خبره وأراد أن ينظر الدرويش ويقبض عليه وتحيل وأرى الناس ان الملك يريد أن يقابله بالاحسان فى نظير الوردة التى أتى بها فبحثوا عليه فلم يجدوه وظلبوه ففقدوه وازداد تعجبه من فقده فى الحين وقال ان هذا من صناعة ابن سينا ووقع بالملك الخوف لما عاين فعله بأخيه وارتعدت فرائصه وقد صعب عليه أبو الحارث وقال انه قد فقد بدون فائدة وأمر بتجهيزه ودفن بالفيوم من قرى مصر على مسافة ثمان عشرة ساعة ببلدة يقال لها دمين وقد اشتهر الان باسم فى دمين ومن ذلك الوقت الى وقتنا هذا كل عام يصير على قبره موسم فيه نحو المائة ألف ( قال الراوى ) وأما ابن سينا فعند وروده الى الدكان بعد يوم أجرى ما تما لاخيه يومين وندم وتأسف على ما حصل منه من الخطأ العظيم وسلى نفسه وقال من مات فقد فات ثم كتب كتابا وأرسله الى الملك أبى البنت مضمونه أيها الغدار الظالم قد طلبت ابنتك لولدى على السنة الطاهرة المحمدية فجنحت نحو الغدر والمعاندة وتمنعت عن ذلك وكم عاينت منى من عبر ولم تعتبر ولم تعطف الى وادى الانصاف وأخيرا قصدت هلاكى فمن لم يهلكه الله تعالى فلا هالك له ومن أهلكه فما له من محى وقد خلصني ربى مما قصدتمونى به وبسبب معاندتك قد صار منى خطأ عظيم وأبعدت بينى وبين أخى الذى لا يسمح الزمان بأخ مثله وقد أصابنا خنجر ظلمك فى كبدنا ومن الان لا صبر لى أيضا فما اذا جوابك هل تعطينى ابنتك لولدى على سنة نبى آخر الزمان محمد بن عدنان عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ويمكنك اثارة مفسدة وهل بقى عندك طمع بعد أخى فى تسلط الساحرين علينا كما أثرت به فاذا كان ذلك فيها وتقدم أنت وهم فاذا أصغيت الى قولى فاترك هوى نفسك وتكبرك والا اهلكتك والسلام وأرسل اليه الكتاب ( ياسادة ) فلما قرأ الملك الكتاب عجز عن رد الجواب

وصار باهتا واوقعه من الخوف مالو وقع بقلب يهودى خلى من الايمان فى سن الثمانين لاتصل من حينه بمشاهدة أنوار رب العالمين فلم يجب بسوى العطا ولكن من غيرنية وأراد بذلك المماطلة حتى يخلص نفسه منه بسهولة وقد كان أرخى عيونا لطلب السحرة الماكرين فاطلع ابن سينا على أنه فضلا عن منعه ابنته لو وجد فرصة فى شرب دمه لما أمهله طرفة عين فقرأ عزيمة ونفخ بها الى جهة دار الملك فرؤا أنه ظهر فى الجو مزنة سوداء وكلما قربت ظهر منها أصوات غريبة لم يسمع بها من قبل مفزعة حتى اذا ما استوت على المدينة أمطرت ضفادع وكلما أبرقت وأمطرت ظهرت أصوات الضفادع حتى أصمت أسماع أهل المدينة وزادت الامطار حتى صارت من الكثرة تمطر كالثلج وانسد الافق عنهم وكان كل ضفدعة منها قدر الهرة وعند نزولها تزعق وتنزل الى الارض ثم أنها تصيح بشدة وتموت والحاصل أنه امتلأت المدينة بصياح تحيرت منه العقول والغرابة فى أن ماماتت من الضفادع انبعج فى الحال وبدت منها رائحة كريهة وأنجاس غريبة تكاد الارواح لانتشاقها تبلغ الحلقوم وكلما القيت تلك الجيفة بعيدا عن المساكن ابدلت بعشر أمثالها واذا أحرقوها لم تؤثر النار فيها وصار كلما تمطر فبمجرد نزولها تنتفخ وتنبعج ثم تموت ويبدو منها رائحة كريهة حتى أمسكت الناس عن تعاطى أمر مصالحها وتفكروا فى حكمة ماحل بهم من هذه المصيبة وسببها وكيف السبيل الى دفع مضرتها فتيقنوا جميعا أن الكيفية من أنواع العذاب من مبدعات عجائب ابن سينا فقالوا وقد أجمعوا أمرهم أن يتوجهوا الى دار الملك ويأمروه باعطاء ابنته فاذا لم يرض أهلكوه وهدموا عليه داره ويخلصوا ابنته منه عنفا ثم توجهوا اليه وقالوا له أن جميع ماحل بنا من العذاب والاهوال أولا وثانيا وثالثا انما أنت سببه فاما أن تعطى ابن سينا ابنتك وتخلص نفسك وأنفسنا من هذه المهلكة والا أهلكناك نحن بأيدينا وأعطيناه اياها فأمر الملك باحضار أرباب دولته وحواشيه وتشاور معهم فى أمره فقالوا جميعا أيها الملك هذا الحكيم قادر على كل مهلكة وهو ذو فنون وعلوم وقد طلب ابنتك على السنة والكتاب برضاك مع كونه قادرا على أن يهلكك فى الحال وايانا جميعا ولاطائل تحت بساط معاندتك وانا رأيناك قد آل أمرك الى الهلاك وانه ليس بعد المزاح الا الجد واياك ثم اياك ومنعها وانظر الى ماحل بنا جميعا من أنواع البلايا فلولا

خلوص صداقتنامنك والا كنا مع أهل البلدة عليك من عظم مانحن فيه من أليم العذاب وما تجلدنا معك الاحين بلوغ أرواحنا الى حلاقيمنا فعندها الاتصدق بالاخاء دون المبارزة عليك والاافترقنامنك ومامك الابالرعية بل هو حينئذ أحق بالملك منك حيث قاومك وحده بدون ما كلفة ولامشقة فانظر لنفسك مخلصا فعندذلك مال قلبه ضرورة الى اعطائها طوعا أو كرها اذلامجال الى المعاندة وقداستنجد أهل المدينة بابن سينا ووقعوا على مواطىء قدميه تقبيلا وهم يخوضون بالصديد والدم وقدتلوث لبسهم وأيديهم وأرجلهم بها واشمأزت أنفسهم واقشعرت جلودهم وترجوه فى ازالة مانزل بهم فأمسكت الامطار عنهم ثم أنهم تفرغوا الى حمل الضفادع أياما وكانت كثيرة جدا وقد عجزوا عن شم رائحتها القبيحة فترجوه أيضا فى دفع هذه الداهية عنهم فدفعها بأن صنع بعلم السيمياء شموعا وأعطى كل واحد شمعة فمن شم رائحتها زالت عنه الرائحة الخبيثة وضررها وقداشتغلوا فى تدبير أمور ومهمات الافراح وأرسلوا اخبرا الى ابن سينا قائلين أيها الفيلسوف الحكيم الذى تستسقى من ندى كفه افلاطون وجالينوس التعليم قد امتثلنا أمرك فى اعطاء البنت ولكن هل يليق بنا وبك أن يكون ذلك بدكان حلوانى فعندذلك قال ابن سينا على ما يحكى أنه حيث رضيتم بذلك فسمعا على العين تجدونى فى خدمتكم كالبرق الخاطف واطلبوا مهما شئتم فلكم الامر وعلى الطاعة فبنى دارا بعلم السيمياء خارجة عن دائرة العقول وأرسل الملك مائة بعير من أعز الموجود من حمر الابل الجعد الشعر والاوبار ومائتى فرس من الجياد العتاق التى اذا سابقت الريح لحقته وان سابقها البازى فى الجو سبقته ومائتى غلام رومى كأن جبهة أحدهم هلال رمضان أو عيد الفطر ووجهه كليلة القدر وقسى حواجبهم قومت أسهمها لقلوب ذوى الالباب ومائتى سريه كالحور العين وكانهن صبين فى قالب الحسن والجمال ذوات قوام ولين ومن أمثال ذلك مالا عين رأت ولااذن سمعت حتى تحيرت عقول الناظرين وذلك كله ملاك ابنة الملك وبنى سورا عظيما عالى البنيان واسعا مشيد الاركان وبه حديقة لم ير الراؤن مثلها واجرى بها ضيافة أربعين يوما وكل يوم يحضر من الالوان الاطعمة ماتحيرت منه عقول أهل المدينة وفى رأس الاربعين عقد النكاح وجمع بين العاشقين وبعد مضى أيام أخذوا عليا عند الملك وقبل يده وقد

كان حصل من العلوم والفنون أشياء كثيرة فاختبروه أرباب الدولة فوجدوه كامل العيار وصاحب معرفة وقامة وهيبة ووقار وباركوا للملك فى مصاهرته فتلقاه الملك بصدره رحب ووقعت محبته فى صميم فؤاده وصار لا يقدر على مفارقته طرفة عين وبقوا بقية أيامهم فى هناء وسرور (قال الراوي) وبعد سنين عديدة مال ابن سينا للسياحة ومال الى رؤية مسقط رأسه بخارى ونحا نحوها طالبا صلة الرحم اذ كان له مدة لم ير وطنه وقد فارقه مدة طويلة *فيحكي والله أعلم أن ابن سينا لما قصد جهة بخارى أتى بلدته التى هى مسقط رأسه فرأى أن أقاربه قد أفناهم الدهر من طول مدة غيابه فخرج منها طالبا سمت بخارى وأراد بها الاقامة ولحلو يده بنى بيتا بقوة علم السيمياء وأراد به ظهوره والملاطفة مع أهل بخارى والمزاح معهم وباع الدار لشخص بعشرة الاف درهم وقد كان بالدار قصر ومشربية وكان الملك محرجا عليهما فرذات يوم الصوباشى ورأى ذلك فهدمها وساوى بها الارض فصاح صاحب الدار انى اشتريت هذه الدار بعشرة الاف درهم وقد جعلتها لاتساوى درهما واحدا فلم يلتفت اليه وقال له اطلب دراهمك ممن اشتريت منه الدار فتحير المسكين وتوجه الى ابن سينا وقال له ان دارك معيوبة خذها واعطى دراهمى فقال له ابن سينا وما عيب دارى فقال له ان ما أخذت دارك إلا للمشربية التى بها وان الصوباشى هدمها من أجل أن الملك محرج على ذلك فقال له ابن سينا وما مرادك من المشربية فقال له كسب الهواء وحظى فى أيام الصيف برطب الريح فقال له حيث أن مرادك الهواء أبيع لك الهواء الذى بدار الملك فبكم تشتريه فقال له الرجل كيف هذا الكلام هل تمازح معى وليس هذا وقت المزاح ولكن تكرم على واعطى دراهمى وخذ دارك فقال له ياشيخ توجه الى دارك فاذا لم تجد ريح دار الملك صار عندك ارجع وخذ دراهمك فقال له مهلا حتى أصل دارى وأرى فقال صل وانظر ثم قام ابن سينا من وقته وتوجه الى قبالة دار الملك وغرس قطعة لوح من خشب وعزم واذا بالهواء قد انقطع من دار الملك وتحول جميعه الى دار الرجل فقالت امرأة الرجل حين وقع بصرها عليه أين أنت يارجل وقد قطع الهواء هدومنا وشكت اليه من شدة عسف الرياح فجاوبها الرجل ان اسكتى فان هذا الريح ريح بيت الملك فهو لنا بدون دراهم فاياك واباحة هذا السر لأحد لانى اشتريته بدون قيمة

فانسرت المرأة بذلك وصارا فى أهنى وقت وأرغد عيش قال وأما الملك فبينماهو ماكث
بداره واذا قد انقطع عنه الريح ولم يبق له أثر فنادى الغلمان وقال لهم دونكم
ومشربيات الدار هل هى مسدودة فقالوا له انها كلها مفتحة وانما الريح قد انقطع فعند
ذلك اضطرب حال الملك من شدة ماوجد من ألم الحرارة ولم يطق الصبر وضاق صدره
فنهض قائما وقصد جنانه فرأى الريح فيها كثيرا فقال أظن أن الريح هبت الآن
حتى اذا ماأمسى الوقت أراد التوجه الى داره فحضرت له الركوبة وركب وقصد الدار
ودخلها فلم يجد للهواء أثرا فدعا وزيره وقال له أيها الوزير المدبر أظن أن الريح تهب فى
غير منزلى وكانها تخاصمنى لانها تهب فى جميع الدنيا وقد أمسكت عن دارى ولم أرلها
أثرا فما الحكمة فى ذلك وصار يشكو ويتوجع من هذه الحادثة فقال له الوزير ياملك
الزمان اصبر قليلا لعلها تهب فارسلوا كشافين للريح واذا الدنيا ملانه ريحا غير قصر
الملك فتحير العقلاء فى حل هذا المشكل ولم يعلموا امره ثم ان الوزير دعا الملك الى داره لان
بها الهواء كثيرا وقال نصبر قليلا حتى نرى ماهذا الخبر فاجابه الملك الى ذلك وسار معه
فوجد بداره الريح كثيرجدا والملك يرسل الى داره كشافين فلم يجدوا أثر الهواء أبدا
فتعجب الملك لما انه لم يعرف السبب فبقى الملك يومين بدار الوزير وفى ثالث يوم انقطع
الريح من دار الوزير أيضاً فعند ذلك استغرقوا وقتئذ فى لجة الحيرة وضاق صدر الملك
حتى انه لم يدر ماذا يصنع من شدة ماحصل فخرج من دار الوزير أيضاً وقصد الجنان
ومكث بها مدة أيام (قال الراوى) روى متحوف المجالس بالسيران سبب قطع الهواء
عن دار الوزير أن ابن سينا قد كان تزوج ففى أثناء المحادثة مع زوجته ذات يوم صار
للكلام محل بأن قال ابن سينا لها ان الصوباشى أى كبير القواصة أراد غدرنا وقصد
القصر الذى بالدار التى بعتها لفلان بعشرة الاف درهم فهدمها وأرسل الى صاحب
الدار ليأخذ دراهمه منى فقالت له وكيف دفعته عنك فقص لها خبر الريح فقالت
زوجته ياشيخ كيف يمكنك أن تعطى ريح قصر الملك الى هذا الرجل وهل هذا فى حيز
الامكان فأخبرها ابن سينا ان هذا يمكن بعلم السيمياء وأطلعها على مكنون القضية من
أولها الى آخرها فقالت له زوجته تكرم علينا بريح دار الوزير فقال لها ابن سينا
اصبرى حتى تنهضم قصة الملك فألحت عليه زوجته وكان طبع الشيخ رقيقا فعزم ونفخ

تجاه قصر الوزير فتحولت ريحه الى دار ابن سبنا وتوجه الملك الى حديقته وفى بعض الايام ذهبت احدى المسامرات لزوجة الملك الى الحمام وصارت تحكى مادة نقصان الهواء من دار الملك والوزير وقد كانت زوجة ابن سينا بتقدير العزيز العليم جالسة بحذائها إذ هى من زمرة الناقصات عقل ودين فحدثتها بأن الريح التى كانت بدار الملك باعها زوجى الى جارنا وريح دار الوزير عندنا وان زوجى ابن سينا قادر على كثير من المعارف ذو فنون وعلوم وصارت تتباهى بين النسوة اللاتى معهن فلما استتمت كلامها نهضت المرأة وقصدت دار الملك وهم وقتئذ بالجنان فاخبرتهن بواقعة الأمر كله وهذا كان قصد ابن سينا والا لم يبدها أمره أبدا وماذا عليه فى جاره وريح دار السلطان ولم يكن محتاجا الى بيع الدار إذ هو قادر على ان يأمر خدامه ليحضروا له ما يريد من حطام الدنيا من أحد الكنوز أو من معادن الارض واحجارها المثمنة فوثبت امرأة الملك من حينها وقصدت نحو الملك وأخبرته بجميع القصة فردا فردا فدعا الملك الوزير وكافة الوزراء جميعا وأخبرهم بالقصة وقد كانوا سامعين بما جرى للملك مصر معه فقالوا نعم هذه المادة لا تكون الا منه فقالوا وماذا العمل فى هذا الامر فقال الوزير الأكبر حتى تدعوه الينا ونترجاه فى فك هذا المشكل عنا فارسلوا اليه من دعاه وحين طرق الباب خرج اليه ابن سينا فقال له الرسول أجب الملك ففهم ابن سينا القصة فلم يخالفه وأجابه بالسمع والطاعة ولم يزل سائرا حتى مثل بين يدى الملك وأجرى رسوم تعظيمه ثم وقف وعقد يديه فنظر اليه الملك واذا به بدرويش فقير فاحتقره وازدرى به ولم يلاطفه ولم يراع خاطره ولم يأمره بالجلوس وخاطبه بعنف قائلا له انت الملقب بأبى على بن سينا فقال نعم أنا ذلك الفقير فقال له الملك لمن بعت هواء دارى فقال ابن سينا أنا لست موكلا بالريح بل أنا عاجز عن نفع نفسى فقال له ان زوجتك حدثت به فى الحمام فعلم ابن سينا ان السبب من زوجته وتسببت لهذا القيل والقال فقال ابن سينا ان سماع كلام النساء والتحدث به فى حضرة الملوك لا يليق لأنهن ناقصات عقل ودين ولا يسمع كلام النساء بديوان الرجال لان فى مذهبنا كل ما أصاب فيه امرأة من القول لا يصغى اليه فالزم الملك الحجة وغضب منه الملك وقال اسحبوا هذا القليل الأدب ففر ابن سينا خارج الباب وقد حقدها فى نفسه وقال له سوف ترى ما يسرك من غريب صنعى حتى تكون

عبرة لمن اعتبر وكلما شاهدت فقيرا تعظمه ولم تزدر بمقامه وذهب الى داره فضرب زوجته ضربا عنيفا حيث باحت بأسراره وكان ضربه إياها تأديبا لها لا لمجرد الاباحة لما قد سبق من الاشارة وقال لها هل يجب عليك التكلم بما لا يليق بالحمام مع النساء الاجانب سيما مع جليسة زوجة الملك وتكونى سببا لذهابى وإيابى ومعاتبتى وقد اشهرتينى بعد مكثى فى زاوية من اركان الدنيا مخفيا فلم ترد له جوابا وانما حقدتها فى نفسها وصارت تتفكر فيما تمكره به وكان لها صاحبة عجوز اذا ضل ابليس عن طريق ترشده اليه ذات مكر وحيل وخداع وقوادة وكم من دار تسببت فى خرابها وكم أجرت من حيل تعجز سحرها روت وماروت عن اتيان مثلها وما هما لديها الا كاحد شبانها واذا محيت دفاتر الحيل ففيها كفاءة على احياء علومها وكم تبث من المكر دروسا وتملأ الدنيا من حيلها طروسا أنفها كالساطور وفوها كالماجور فهى كما قال فيها اللبيب ذو الحبور

شعر

لها وجه عبوس قمطريرا * اذا ضحكت كالزمهريرا
طلائعها الشياطين استقلت * وان منهم تراه لها وزيرا
اذا بسطت يديها نحو بحر * يجف لجيته وغدا سعيرا
ويملأ شرها برا وبحرا * وعند النار مقعدها قريرا

(قال الراوى) والحاصل انها أرسلت لها خبرا فحضرت عندها فى الحين بدون امهال ولا اهمال فوجدت زوجة ابن سينا متغيرة اللون فسألتها عن حالها فأنبأتها عن القصة فاطرقت برأسها برهة وقالت لها لا تتأسفى فانى سآخذ بثأرك وسأنتقم منه انتقاما يعجز عنه أمثالى وقامت وتوجهت الى دارها وصبرت بعض أيام حتى انقطع القيل والقال وأتت اليه وقالت له بعد السلام عليه والترجى ياحكيم الزمان يامقيلا لعثرات الخلان أنا فى مكان لم يكن به من أثر الهواء شيء أبدا فتكرم على بجلب شيء من الهواء وأخرجت له الفى درهم ووضعتها أمامه وترجته رجاء كاد يفرى من الشفقة قلبه وصارت تتباكى وتستجير فيه فظن هزلها جدا ولم يعلم ما أعدته له من المكر والخداع فرق لحالها وأخذ الريح من دار الرجل الذى كان اعطاه إياه من قصر الملك واعطاها إياه وقال لها قد تم أمرك فقامت من حينها وأتت منزلها واذا بالريح عاصف به ولم تطق التصبر من شدتها فصبرت يومها وليلتها فرأت انه ليس بمنقطع فقصدت دار الملك حالا

وقابلت الملك ودعت له كثيرا وعظمته وبجلته ثم قالت له أيها الملك انى وجدت لك سارق
الهواء ثم حكت له القصة فهم كذلك واذا بصاحب الهواء الاول جاء يشتكى من جور
ابن سينا وظلمه واقتحامه الامور الخطرة وقال ان ابن سينا سرق هواء قصر الملك وباعه
لى من ضمن دار اشتريتها منه وأخذ منى عشرة آلاف درهم فثبت لديهم خبره وتيقنوا
ذلك عيانا اذ تطابق كلام الاثنين معا عليه فأمر الملك أن يحضروا ابن سينا أينما كان
فلما عاين القواص حدة الملك هرول مسرعا الى دار ابن سينا وطرق الباب وصار
يصرخ فعلم ابن سينا كنه الحكاية ففتح الباب وخرج الى الزقاق واذا هو بأحد أرباب
الدولة فقال له أجب الملك فقال له ابن سينا تنح عنى فانى ليس بينى وبين الملك معاملة
فغضب القواص وقال له لابد من توجهك معى وقبض على يده فجذب يد ابن سينا فى
يده فتحير لانه لم ير ذلك قبلها أبدا فخاف من بأس الملك وتركه واذا فى أثناء الطريق
بقواص اخر وقد كان الملك قد استبطأ الاول وأرسل خلفه اخر فقال له أين ابن سينا
فقص الحكاية عليه كما هى باصولها وكان القواص الثانى جرىء اللسان ثابت الجنان
فقال للاول لماذا تركته ورجعت بدونه فاتيا على باب ابن سينا وطرقاه فخرج اليهما
فتعلقا به من الجهتين وقصدا أخذه فلما تعلقا به من يديه خرجتا بأيديهما فمسكاه من
رقبته فخرجت بأيديهما فمسكا رأسه فبقيت بأيديهما وصار كلما يتعلقان بقطعة من
بدنه تخرج بأيديهما حتى صار مقطوعا أربا أربا بالشارع فتحيرا ودهشا فتركاه وذهبا
وأخبرا الملك بما رأياه فاحتد الملك جدا وقال ضعوه فى فرد واحضروه عندى حتى
أحرقه فأخذا أفرادا وأتيا الى باب داره فوجداه كما تركاه كل عضو بمفرده ثم أنهما
عبياه بالفرد وأحضراه عند الملك فافرغ الفرد بأمر الملك فنزل منه كلب أسود وذهب
الى جهة فصرخوا جميعا وتصايحوا عليه ان امسكوه ولا تفلتوه فتواثبت البوابون عليه
وقتلوه واذا هو كلب لم يتغير وصارت رمته ملقاة فتحيروا جميعا فقال الوزير الملك يا ملك
العصر ان هذا الرجل لا يغصب وسعادة الملك سمع قصة ملك مصر معه فاذا اجتمعت
سلاطين الدنيا جميعا عليه لم يظفروا به فعامله بالرفق وارسل أحدنا يدعوه فأحضر
الوزراء وقال لهم اذا كان عندكم تدبير فى حضوره فابذلوا جهدكم ثم احضروه فسكت
الوزراء ثم فوضوا الامر اليه باطنا وقالوا ان كان هذا ابن سينا الذى نعهده فطالما نشاهد

منه عجائب وطالماتندم على تجبرك عليه وليجعلنك مثلة بين العالم فقام الملك من شدة
غضبه وتوجه الى حريمه وبقى الحال مدة أيام على هذه الحالة وقد كان ابن سينا عالما أنه
اذا وقع فى يد الملك لابد من اهلا كه ولذلك كان أحضر كلبا لمن جاء لأخذه وجعله خارجا
عن الباب وهذا الذى ما كان يتعلق به القواصة وتوجه معهم ابن سينا الى الديوان بحالة
الاختفاء وقرأ عزيمة وارجع الكلب على شكله وخلقته الاصلية وتنحى عنهم وهم
لايرونه وصار يسمع كلام أرباب الدولة جميعا ثم رجع الى داره وقعد متفرغ البال
ولكن لم ينس مافعلته هذه العجوز المكارة به من الشر والفتنة وكان يتفكر فى أخذ
ثاره وانتقامه منها فنظر يوما واذا بها داخلة داره عند زوجته على عادتها المعهودة
واشتغلت بالمحادثة فاطلع عليها ابن سينا ولم يلتفت لها وصبر الى حين خروجها فلما
همت للخروج وأتت بحذاء حجرة كانت عند الباب مخصوصة لابى على بن سينا وكان
يختلى بها دائما فكلفها أن تدخل عنده فلم تقدر الملعونة على مخالفته وعبرت عليه
المكان فسألها أولا عن حالها وراعى خاطرها وكأنه لم يدر بما صدر منها وهو يحكى لها
وصار يتنحى عنها وعاملها بلطف حتى اعتقدت ان ابن سينا لم يدر أنها صاحبة الفتنة
وقوى ذلك بذهنها الفاسد ورأيها الكاسد وابتدأ يقول لها أنك أخذت الهواء منى
وشكانى الرجل الذى كان عنده قبلك فأحضرنى الملك وأراد قتلى ولم أخلص منه الا
بمشقة كبيرة فتيقنت الملعونة ان ابن سينا لم يدر بخبرها فشرعت فى الجواب وقالت أطال
الله تعالى عمرك وأبقاك لأمثالى المساكين فقال لها ابن سينا مرادى منك حاجة اذا
هممت بها فتكونى قد أحسنت بى وتأخذى الفين أو ثلاثة الاف درهم عليها ويكون
ذلك احسانا منى عليك فانت أهل لذلك فقال تفضل احك لى فاذا كانت الحاجة
مما يهون على ابذل جل همتى حتى أقضى حاجتك ولكن أى شىء هذا الذى أعجزك
وكيف لمثلى أن أصل لما يعجزك وأنت باذن الله تعالى قادر على حل مقصود العالم
وأجابها أن بى داء قد أعجز الاطباء جميعا وحكى لى من أثق بقوله من ماهرى الاطباء
أن دواءك سهل اذا صادف محله وهو أن تولع قطعة خشب بلوط وتطفئها بحجر امرأة
فاذا أطفئت فاحضر لى فحمتها فهى دواؤك وأنت ماذا تقولين ويبقى لك الثواب
والاجر ولولا الالفة بيننا لما أخبرتك بهذه العقدة التى لم يمكن حلها الا على يدك

فتفكرت الملعونة قليلا وقالت ان حجرى هذا لم قابلت بحصنه المنيع أصلا وكم قصد منه الاحياء أفياء وظلالا ومالت الى الدراهم ورضيت وعمى بصر بصيرتها عما عهدته قريبا من قضيتها وقد كانت تبيع الشياطين مكرا وخداعا فوقعت فى محنة وكم ترى بها أبداعا فقال ابن سينا الفرصة غنيمة وابتدر الى عود سنديان من الموقد شاعلا وقبضه بيده وقصد نحوها وسلها منه نحو ثلاثة أشبار وهى مستلقية على قفاها فصرخت الملعونة آها آها يالهامن مصيبة وعاها وقالت المدد المدد لقد ضاع شملى وتبدد وضاع عقلها لديها لما وجدت بين رجليها ثم قامت بعد برهة توجهت قاصدة دارها وقد كان ابن سينا قرأ عزيمة وأطفأ نار المدينة بطلسم لم يبق نار ولا زناد يقدح ولا نار بالكلية بالمدينة من سراج وخلافه أبدا وحبس النار فى حجرها وهذا كان بسبب دفع الخشبة الشاعلة فى حجرها فعلمت الملعونة ان ابن سينا منغاظ بشكايتها وقد مكر بها وقالت انى نجوت منه بأمر سهل ولم تكن تعلم بوجه الانتقام من أين يأتى لها وكانت تمشى ضامة فخذيها من ألم النار وصارت تبرد حجرها بالماء البارد ظانة أنه يكفيها شر مؤنة الضرر ولم تزد الا التهابا وقد عدم وجود النار وانمحى أثرها من المدينة واشترى كل واحد قداحة وصار يقدح بها فلم تفده غير التعب واشتد المصاب بالمدينة وطلبت النار فهيهات هيهات واضطربت العالم اضطرابا مؤلما وقد منعوا لذة النار منعا كليا وانفردت العجوز بتلك الدولة ولذتها ولم يطلع عليها أحد وكانت مغبطة الحال بالاصطلاء دون غيرها وكان تنورها مفتقر الطوفان نوح أن يخمده وآل أمر الملك الا ان كان يستجير بمن لم يجد له مجيرا فاجتمع الناس الى قصر الملك وشكوا اليه أحوالهم فلم يقدر على رد الجواب ووقع به الذل حتى كأنه يتعلق بمارى الطريق ويسألهم عن النار ثم ان الملك شاور الوزراء فى ذلك وصار القيل والقال فنبذ من بينهم وزير عاقل وقال أيها الملك انا نرى العجب من انك تشاورنا ولم تلتفت الى أفواه الناوها أنا أقول لك ان جميع هذه المواد انما هى من صناعة ابن سينا فقال الملك وماذا رأى منى ابن سينا حتى قصدنى بهذه الامور فأجابه الوزير اعلم أيها الملك ان العالم والملك أخوان من أم وأب ولم يتشرف الملك والوزير دون العالم الا بالمال والحول فاذا استغنى أفقر الناس صار أولى بالتقديم لما يصدر منه من منافع الانام وما الشرف الا مجرد التأديب مع الله تعالى وأنت تعلم

احتياج الملوك الى الفقراء المرات العديدة فى فك مشكلاتهم وانهم المقربون الى الله
تعالى ومن كان قريبا من الله تعالى فهو أولى بالملك والوزارة وابن سينا حين ما أتى
عندك نظرت له بعين الحقارة وأجبته بالعنف ولم تجلسه مع كونه كان فى حضرتك
متأدبا وأراك حقوق التعظيم وأنواع رسوم التكريم وأظن أنه حقن فى نفسه من
هذه الفعال فاذا استصوب الملك أن اتوجه اليه وألاطفه وأدعوه إلى حضرتك ثم اذا
حضر أبذل له التحف واجر له اسم تعظيم العلماء واجلسه بالقرب منك واسأله
حاجتك فانه لا يتأخر عن قضائها ان من شأن الحكماء والعلماء الاجابة وكان هذا غاية
ما يتمنى الملك فقال له افعل ما بدالك ( قال الراوى ) فوثب ذلك الوزير قائما وقصد
منزل ابن سينا حتى دق الباب فقال من بالباب فقال ضيفكم وعلم ابن سينا القصة وفتح
الباب وقال بسم الله ادخل فدخل وأجلسه في مكان مخصوص به فى محل متحوف ثم
أحضر طعاما متنوعا غير الطعام المعتاد عندهم وبعد الفراغ صار الوزير يلاطفه وذكر
له القصة فاجابه بالتلبية وقام معه وأخذ عصاه وعزم عليه فصارت حصانا وعليه رحتا
ملوكيا فتعجب الوزير من سرعة الاجابة وركب عليه ابن سينا وسار الى نحو منزل الملك
حتى اذا أدركها استقبل أهل الدولة جميعا وقبلوا ركابه ودعوا له بدوام العز ثم تقدموا
أمامه عند الملك فنهض الملك وتقدم اليه وقبضه من يده وقربه اليه وعظمه وأجرى معه
رسوم التعظيم وخلع عليه خلعا ملوكية وأتحفه تحفا مثمنة ثم أحضر الطعام وأكل
ما تيسر فلما فرغوا منه ابتدأ الملك بالسكلام وسأله فى شأن الهواء والنار فانكر ابن
سينا وجحد ذلك كلية فضاق الملك لذلك وتذلل حتى مال الى لحيته ويده فقبلها وصار
يتملق اليه فعند ذلك قال ابن سينا انا أعلم بمن أخذ منكم النار والريح ولكن لست أنا
الفاعل فقال له الملك اجرلنا الراحة ولتكن من أى الوجوه فقال له ان الفاعلة لذلك
امرأة عجوز ساحرة جدا ودارها بالجهة الفلانية واسمها فلانة وهى ساحرة مكارة
وكم أبدت من فساد وهي ملعونة جدا ذات مكر وحيل وخداع وقد حبست عنكم النار فاذا
أردتم دفع الشبهة ادفعوا فى حجرها شمعة فتوقد حالا فاذالم توقد فكل ما خبرتكم به
مردود على لان هذه الملعونة حبست النار بين فخذيها فعلم شاه بخارى ان مراد ابن سينا
أخذه الثار من العجوز والانتقام ولكن لم يقتدر على رد الجواب فارسل اليها الملك أحد

عتاة قواصته فذهب الى دارها ودق الباب ففتحته فقبض عليها وقال لها أن نار المدينة مسجونة في حجرك فقالت ماهذا الكلام فقال لها استلقي على قفاك حتى أولع هذه الشمعة منك فقالت وما دونك اذا كان مرادك دسها واستلقت على قفاها فدس فيها الشمعة نحو ثلاثة أشبار وأخرجها واذا بها شاعلة فتعجب من ذلك وخرج مسرعا يريد قصر الملك فرآه الناس وقد شق عليهم ذلك الامر وقالوا له من أين لك هذه النار فقال لهم انها في فرج فلانه العجوز فقبضوها وألقوها على قفاها وصاروا يدسون الاخشاب المشعبة والعيدان اليابسة والشموع والخرق فكانت تخرج والعة وهي تزعق وتتوجع من ذلك ولم يلتفت اليها أحد ولم يرق لها كيف وهم في أمة غلق دونها باب الفرج فمن عظم ما حصل لها هربت واختفت في كنيف عتيق كان في دارها فبحثوا عليها وقد فقدوها فلم يجدوها ثم عثروا عليها في الكنيف العتيق فهجموا عليها دفعة وتكاثر الطلاب واذدحموا عليها وقد كانت الالواح الملصقة بأرضية الكنيف بالية فسقط بهم جميعا فغرقوا الى رقابهم فاخرج بعضهم بعضا وتسابقوا الى العجوز الملعونة وألقوها على ظهرها وقضوا وطرهم من دس الشموع والاخشاب في حجرها اذ كان هذا أشهى اليها فكانت حينئذ كما قال الشاعر في حقها

عجوز قد زنت ستين عاما ... وقادت بعد ذلك أربعينا
وتابت واشترت عنزا وجديا ... لتنظر لذة المتناكينا

(قال الراوي) واشتهر أمرها بالمدينة وأما القواص فانه توجه الى حضرة الملك والشمعة شاعلة بيده وكل من أراد ايقاد شمعة منه لم تقد وهذا من أعجب الامور ولم تزل العجوز على تلك الحالة مستلقية على قفاها الايقاد النار حتى قضى أرباب حارتها وطرهم منها ثم هربت الى حارة اخرى وكان أهلها أشد طلبا للنار فالقوها وأولجوا حالا الشموع فيها فولت ثم فرت الى حارة أخرى ففعلوا بها كما فعل الاولون فاخيرا عملت هذه اللعينة الرجيمة أن مكثها ببخار صار محالا فخرجت منها ولم يبق لها قوة على الفرار فخرجت حتى وصلت الى جدول فتأملت فيه ثم نامت قريبا منه ثم انتبهت فرأت ماء الجدول وقد لاح الصباح وجعلت تحتقن بالماء ظانة أنه يطفيء نارها وكلما احتقنت بالماء صعد منها دخان كالعمد ويرتفع الى الجو فانتبه أهل المدينة واذا بالنار مفقودة ولم يكن أحد

متفطنا لغيظ العجوز فاجتمعوا جميعا وصاروا يبحثون على العجوز فامعنوا النظر من
خارج البلد واذا بدخان يرتفع بقوة وكان ذلك الدخان من العجوز الملعونه الصاعد
من فرجها فتواثبوا اليها واذا بها تملا فرجها ماء صارخة من شدة ما تجد من الحرارة
فقبضوا عليها واستلقوها وفعلوا مافعلوا بها فى أمسهم ثم أوثقوها كتافا وسجنوها
ووكلوا بها موكلين وعينوا لها الطعام وصار الناس اذا احتاجوا الى النار يأتون اليها
ويولعون من جحيمها وسعيرها فلم يزل بها هذا الحال حتى استتم الحول فهلكت هذه
الملعونة بهذه الكيفية (قال الراوى) ومما يحكى أن ملك بخارى طلب من ابن سينا
من عجائب علم السيمياء شيئا ليعتبروا به فكان ابن سينا يمتنع من ذلك فذكروه بقضية
ملك مصر وترجوه وتضرعوا اليه كثيرا فلم يجد له بدا عنهم فوضع رأسه فى عباءته وعزم
ورفع رأسه واذا بثعبان عظيم قد اقتحم عليهم الباب ذا سبعة رؤس وهجم عليهم جميعا
وطلع ثعبان آخر من أسفل تخت الملك وحملا على بعضهما وبدت بينهما نار جسيمة وكلما
تجاولا تتزلزل الارض ففزع الخلق جميعا وأتوا الى خلف الملك فبهت الملك وكادت
أرواحهم أن تخرج من أبدانهم وتنشق مرارتهم من هول ماشاهد وافترجوا ابن سينا
ان يدفع هذه البلية عنهم فعزم أيضا عزيمة فرجع كل الى مكانه فتحيروا قليلا ولم
يصدقوا بالخلاص وقالوا له نحن لن نطلب اهوالا مثل هذه وانما ان انعمت علينا أرنا
ما يبهج انظارنا فعزم ابن سينا عزيمة أخرى وأشار الى الحائط فانشقت وخرج منها
غلمان من أجمل الصور وبيد كل منهم آلة من المطربات لا تشابه احداها الاخرى وتمنوا
وجلسوا مصطفين وابتدؤا فى المغانى والدفوف والاوتار ورقص الجناكى قابضين
أيدى بعضهم بعض بحركات تنعش الارواح وانقسموا قسمين وتلاغوا فيما بينهم
وتراموا بالاشعار من أرق الاقوال والحاصل انه صار مجلسا ملوكيا لا يوصف ولا يطمع
فى مثله فحارت عقول العقلاء من أرباب الديوان والجناكى يتراقصن ويتمايلن تيها
وعجبا وشعورهن على أكتافهن كاساود الحيات غدائر غدائر بقدود كالخيزران
واكفال كالكثبان ونهود كالرمان ولم يزل هذا المجلس منصوبا حتى تخايل كل من فى
المجلس أنه تمثال فعند ذلك أشار اليهم ابن سينا فغابوا جميعا فبينما هم فى أثناء الحادثة على
ماشاهدوا من الامور العجيبة واذا بابن سينا عزم فرأوا جماعة وجوههم تتلألأ نورا

يبهرون أعين الناظرين وبأيديهم بشاكير من الديباج ووضعوا مائدة لورآها
افلاطون لاندهش من ذلك المنظر البهيج وأحضروا أصحنا من الذهب والفضة
والبلور والمرمر مماهو خارج عن دائرة العقول ولو اجتمع أهل الارض على أن يقتنوا
أمثالهم لم يقدروا وانبكم المجلس ومن فيه بهتا فاسرع أهل المجلس الى الاكل كأنهم
لم يروا أكلا أبدا ولم يزالوا يلتقمون لقما كأمثال رؤس الجمال ولم يزل الصحن منها ملآن
فلاالآكل يشبع ولا الطعام يفرغ وأخيرا أشار اليهم ابن سينا فغابوا من حيث أتوا
فتعجبت أرباب الدولة واستحسن ملك بخارى ما رآه من البرهان القاطع الرافع لشرف
الاوهام فاكرمه وعظمه وكان الملك كل يوم يتشرف بحضور ابن سينا عنده وهو
يشاهد منه العجائب والغرائب حتى لم يكد الملك يفارقه وكان اذا فارقه تضيق حضيرته
وبقي معه على تلك الحالة مدة مديدة (قال الراوى) وما روى عن أرباب التواريخ
وأرباب المحدثين ومؤلفى السير أنه كان بأرض كرمان سلطان فخيم مهاب عظيم
ذو هيبة ووقار وشهامة واقتدار وكان مجلسه من اسمى وأبهر المجالس لا يحتوى
الا على أرباب الفنون والعلوم وكان اقتداؤه بالعلوم فسمع بابن سينا أنه حكيم بارع
فى كل فن كالسيمياء والكيمياء والاختفاء وطرق باسماعه ذلك ممن ينقلون الاخبار
الى الملوك الاخيار وقد اشتاق الى مشاهدته اذ عشق ولم يرومال بكليته الى نظره
فجهز هدية ثمينة تليق بالملوك وحرر كتابا الى ملك بخارى وأرسله صحبة أحد وزرائه
وترجاه فى أن يترجى ابن سينا أن يشرفه بالنظر الى نير وجهه الشريف قال وكان
عند شاه بخارى حكيم حسود اسمه منجال متكبر عنيد وكان دائما يتقصد ابن سينا
فى مقالاته وجميع حركاته حتى بلغت المشاحنة بينهم مبلغا وكان منجال يقول لابن
سينا ان كنت أنت حكيما فى الكيمياء والسيمياء والاختفاء فانا أيضا ماهر فى علم الطب
ولم يسلم لابن سينا علم الحكمة فطلبه أيضا شاه كرمان أن يحضر مع ابن سينا فدعاهما
شاه بخارى عند ورود الجواب اليه من شاه كرمان وأخبرهما بطلبه اياهما وقال لهما
تشرفا بجماله وكان اسم شاه كرمان محمود مدة أيام ثم أرجعا فامتنع فالح عليهم شاه
بخارى فالتزم أمره وامتثلاه فقال ابن سينا أيها الوزير الحكيم حيث انك دائما تبحث معى
فى فن الحكمه فها قد آن أوان مدافعة كل منا عن نفسه والزام صاحبه الحجة واعلم أن

ما بيننا وبين كرمان برية ذات لهب ووهيج ومسافتها أربعون يوما وأنا فقير ودرويش وليس لى أقبية ولا خيام وانى راحل لست براكب فتزود قليلا من المأكل وأحمله معى فاذا أكلت يوما لا يلزم لى طعام عشرة أيام وكذلك الشراب وحيث أنك حكيم فتدارك زاد مثلى وأحضر عندى فى الوقت الفلانى قال فعند ذلك حصلت للوزير أى ذلك الحكيم الغيرة وقال له نعم ما قلت وتداركا أمرهما فدبر ابن سينا بعض حبوب وكذلك صنع الوزير حبوبا مثله ولم يطلعا الى مأكل ولا مشرب بعضهما فاتفق أن الحكيم ذات يوم بعد أن مشوا مسافة عشرين يوما وكان معهما وزير آخر ثالث فلما بلغوا تلك المسافة فى الطريق فاتفق أن الحكيم منجال المعاند لابن سينا أوقع حبوبه ومن شدة غيرته من ابن سينا لم يطلعه على القضية وانما ظهر ذلك لابن سينا بالفراسة على الوزير أى الحكيم فعند ذلك استعلم منه عن حاله وكان الحكيم معاندا فلم يصدقه بمكنون أحواله ثم أنه بعد برهة سقط ولم يجد من القوة ما ينهضه فضلا عن دفعه ايلام اقدامه من السير فاعطاه ابن سينا من حبوبه والح عليه فلم يقبلها وبطلت حركاته ومات عاصيا فدفنه الوزير الآخر ثم بعد دفنه أتيا الى كرمان فى ساعتين وكان ممكنا أن يأتيا فى ساعة من أول خروجهما ولكنها الجأت الضرورة الى المباحثة وكانت سببا لتأخيره فلما لاحت له قلعة كرمان تفكر ابن سينا فى نفسه أنه اذا توجه الى الملك وأخبره أنه حضر فيكون ذلك عبثا وأراد أن يصنع بعض نكات من علم السيمياء لكى يكون سببا أن يبحثوا عليه (قال الراوى) فيحكى أن ابن سينا تفكر فيما يصنع ولم يزل يبحث فى دفتر تفكره فامعن النظر من قلعة كرمان فرآها مشيدة الاركان عالية البنيان تشير بعرنين أنفها الى الافلاك وتذهب من ضوء نورها الاحلاك فاعجبته كثيرا فقرأ عزيمة ونفخ تجاهها واذا بها منطوية تحت دفتر حيز العدم وكأنها لم تكن معالمها ظاهرة للعيان فاخبر الملك بذلك فلم يصدق وتواردت عليه الاخبار تترى فركب عند ذلك وتوجه معه وزراؤه الى جهة القلعة فوجدها الغيت من دفتر الوجود وألحقت بفناء العدم فتفكر طويلا وأطرق برأسه متعجبا وتحير فى أمره وسأل الوزراء عن كشف حقيقة تلك المادة قال وكان عنده وزير له أدنى المام بعلم السيمياء فقال له أيها الملك اعلم أن هذه المادة هى من ابن سينا وقد دعوته وأظنه حضر وهذه أول ترحيبة لكم فقال الملك أنا دعوته

فلم أدعه للضرر بل للمؤانسة والمحابية فقال الوزير أيها الملك هذه ملاطفة حبيب وأنها
بعلم السيمياء حتى اذا ماالتقيتها وترجيته ردها مكانها فلا تبتئس بما رأيت فارسل فى
المدينة حاشرين وأمرهم بالبحث عليه قال فهذا ما كان من أمر الملك وأماما كان
من أمر ابن سينا فانه من بعد اجراء ما أجراه قصد نحو المدينة ودخلها ولم يزل سائرا
يتفرج فى أزقتها واذا بدار كالقصر العظيم وداخلها أحد التجار مستغرقا فى
الفرش والمحمل أى والقطيفة قاعد كأنه ملك أو سلطان وأمامه غلمان كأنهم الاقمار
يتلألأ النور من وجوههم عاقدين أيديهم وهم فى غاية التأدب مطرقين رؤسهم
فعند ذلك وقف ابن سينا أمامه وقال شيالله وكان هذا التاجر فى مرتبة من الخسة والبخل
حتى أنه كان يضع الجبن داخل زجاجة ويأتدم من فيها ولم يجسر أن يمسها مخافة أن
تنقص فنظر الى ابن سينا بالحقارة وأمر غلمانه بضربه وطرده وكان لا يعطى الميدى كله
لفقير أبدا وسب ابن سينا وعزره تعزيرا فوق الحد فانكسر خاطر ابن سينا وتوجه الى
جهة وتفكر فى أمر هذا البخيل وبم يجازيه ثم أنه سأل عن أمر هذا التاجر وما يسر به وما
وله به فقيل له أن أكثر رغبته فى البغال وكان بيد ابن سينا ماعون من مدهون
الفخار فتنحى الى جهة منحرفة عن العالم وعزم عليه ان الماعون واذا به صار بغلا أسود
يساوى الف دينار وقلب هيئة نفسه فى شكل خواجه ضيف مسافر من ديار غريبة
وركب على ذلك البغل ومر على باب ذلك البخيل صاحب الدولة الوافرة فرأى الخواجه
البغل فأعجبه جدا وكاد يذهب عقله فنهض قائما على قدميه وقصد ابن سينا ونظر الى
البغل فوجد أذنه كالقصبة الفارسية وبطنه كخلية النحل وكفله كالبرميل ويسبق الطير
فى عدوها فناداه وسأله أتبيعه فقال نعم أبيعه والفته واذا به كالريح وكان عظامه
ألين من لحمه ودفعه فلم ير التاجر رجليه الا كالواقف من سرعة جريه فذهب عقله
وفصله بألف دينار فقبضها ابن سينا وتوجه لحاله وسار فى المدينة بالحظ والانبساط
(ياسادة) ويحكى أن الخواجة أسرج البغل وركب عليه وتوجه لبستان كان له ففى أثناء
سيره رأى على طريقه روضة ما كان يعهدها من قبل وكانت طريقه دائما منها وكان
ممتلكا حدائق شتى لكثرة ماله وانما لم ير أحسن من هذه أبدا فقال فى نفسه واعجبا لمن
هذه الحديقة وفى أى وقت أنشئت وصار يهرول من جهة الى أخرى تارة يمينا وأخرى

شمالا وقال ماهذه الخيالات وحانت منه التفاتة الى داخل الباب واذا بقرب بابها
حنفية فأراد أن يسقى البغل وخفف وثائق لجامه فمد البغل رأسه ليشرب فدخل ببزبوز
الحنفية واختفى عنه فتحير الخواجة من ذلك وصار يهرول من جهة الى أخرى وقال
ماهذه التخيلات وحانت منه التفاتة أيضا الى داخل الباب فوجدها حديقة لاتعبر
أبدا وصار يقول هل ترى البغل خرج من هنا أو هناك ودخل البستان فنسى البغل مما
عاين بها ووجد داخلها بسطة من النبات الاخضر فيها من كل أنواع الرياحين وعليها
جمعية فأراد أن يعرف تلك الجمعية وقصدها واذا بنحو خمسين من أجمل النساء كأنهن
الحور العين وهن مصطفات يتعاطين الخمرة ولم ير الخواجة مثلهن فى الحسن والجمال
فمال قلبه بكليته اليهن فقمن وعزمن عليه وكان ذلك جل مراده فهبط قاعدا وابتدأ
فى الشروع معهن فى الشراب وصار يتجرع منه كشربه الماء من دار غيره ومد حضرة
الخواجة يده على احداهن ليمسك ثديها فتقهرت حتى كاد من سرعة حركتها يسقط
طربا وصارت تترنم له بصوت ألذ من نغمات الاوتار فعند ذلك تعانق كل بالآخر
وبقيت احداهن فعانقت حضرة الخواجة فاستوثقها وجذبها اليه وصار يتلذذ برشف
زلال ريقها العسال وقام على ساقيه وقد غلب عليها وأخذها بين رجليه وباشرها
وكان يتضاحك معها فبعد ماجرى منه ماجرى فتح عينيه واذا هو بالتى كان معها فى
صفاء وسرور كلبة جرباء وكلما قبلها الخواجة هبرته فى وجهه وكان قد ظن أن هذا ملاعبة
وملاطفة فرفع رأسه والتفت يمينا وشمالا فوجد المحل الذى هو فيه تحت القلعة قد
تراكمت الخلق عليه وهم ينظرون فعله القبيح ويتضاحكون عليه فنهض واثبا على
قدميه وقد كان تعرى فى البستان فصار يمسح الأتربة عن سوأتيه وقصد جهة من خجله
وصار يعدو وكان من جملة من يتفرج عليه ضابط العساكر فقالوا له الى أين تذهب
يانا كح الكلبة أجب الحاكم وقبضوا عليه وذهبوا به الى المحاكمة وقرروه فقص عليهم
القصة وقال أن البغل دخل بزبوز الحنفية ودخلت قلعة الحديقة للبحث عليه وأبدى
للحاكم أنواع المحالات سيما وان مكانه هذا كان تحت الحكم ولم يكن به بستانا فأمر به
الحاكم الى البيمارستان وعينوا عليه كل يوم خمسين عصا وكان الخواجة كل يوم يذوق
حرارة الضرب فحضر اليه ابن سينا متفرجا وقال له أيها الخواجة أى ذنب كان لى حين

ماأمرت بضربى وطردى أفلاتكتفى بالطرد وكيف تؤذى من هو ليس بعبدك وقد
كنت تصرفت فيما هو لك وبأى جرأة على عبيدالله واعلمه ان محنته كلها انما هى بسبب
مابدامنه فرفق به وترجاه فرق لحاله وقال له اعلم انك مادمت على عهد قولك بدخول
البغل فى بزبوز الحنفية فهم يؤذونك فاذا سألوك ثانيا فتنكر الامر فيفلتوك ولم يعلمه
بهذه الحيلة الا بعد استيثاقه منه بالعهود والمواثيق على أن يعطيه ألف دينار أخرى
فلما ذهب عنه ابن سينا وأتى وقت ضرب الخواجه ابتدؤا به ضربا فصرخ وقال لم
تضربوننى فسألوه أين ذهب البغل فقال أى البغال فقيل له البغل الذى ضاع منك
ودخل بزبوز الحنفية فقال لهم وكيف يكون هذا وهل يمكن دخوله البزبوز وأنكر
الحال فأخبروا الحاكم بأن التاجر رجع اليه عقله ثانيا فأطلقوه فذهب الى منزله
وصار يتفكر فى أمره وعلم ان كم من سلطان مندرج تحت عباءته وكم من ملك ملوث
بدم ظلامته لكن لبخله لم ينس ألم الالفى دينار وأثر ذلك بباطنه وعادى ابن سينا حتى
لو وجده لقتله فأمهله ابن سينا مدة ثم أتى له ومعه درويش آخر وقد شكى حالة الفقر
اليه فقال له تعالى معى وأنا أعطيك ثلثمائة دينار وأزيد وأخذه وعقد يديه أمام
الخواجه ووقف متكتفا والحال أن الخواجة فى ذلك الوقت كان يتوضأ فنظر الى
الدرويش وبجانبه درويش آخر مثله فعلم أنه يريد الالف دينار ونوى أنه بمجرد اتمام
وضوئه يأمر بقبضه وضربه خمسمائة سوط وأما ابن سينا فكان قلبه مجليا من العبادة
كالمرآة وكان فضلا عن علم السيمياء صاحب كرامات فاطلع على سريرته وعلم ما بضميره
فقرأ عزيمة فى الحال فوجد الخواجة حين ذاك البغل برز من بزبوز الحنفية فانتبه
الرجل من سنة غفلته ونظر الى أبى على بن سينا وقد ضرب بأصبعه الى كفه مشيرا له
بذلك الى الضرب الذى كان أصله كل يوم مرتبا فقال الخواجة ان هذا الرجل ليس
خاليا من حال فلا قدرة لى على مقاومته وأعطاه ألف دينار وزاده خمسمائة أخرى
وقال له لاتنسانى من فكرتك فأخذها ابن سينا ضاحكا وأعطى الالف لذلك
الدرويش وودعه ومضى عنه ﴿قال الراوى﴾ ثم أنه بعد ذلك مضى الى زاوية منفردة
وتدارك له حجرة وقرأ عزيمة وجعل جرة مدهونة عبدا زنجيا وتوجه الى رواس ونبه
عليه ان عندى عبدا أخرس فاذا أتاك فخذا خشانة من الزنبيل الذى على ظهره وضع له

به رأسا فكان الامر كذلك وبقى الرواس مع العبد على تلك الحالة نحو أربعين يوما ولكون الدراهم التى كان يأخذها من العبد جديدة كان يضعها بكيس وحدها وبعد الأربعين يوما فتح الكيس وأراد أن يقضى مصالحه بالدراهم واذا بها جميعا ورقا فقال ان هذا الرجل ساحر لا محالة ولم يزل على هذه الفكرة حتى أقبل عليه العبد ومعه الزنبيل وكانت كبشة الطعام بيده فضربه بها على رأسه فصار جرة مدهونة فاستحس ابن سينا بالخبر فأقبل على الرواس وسأله عن الزنجى فقبض الرواس على يد ابن سينا وقال له أنت ساحر وهذه مدة أربعين يوما والزنجى يأخذ منى رؤسا وكلما أعطانيه من الدراهم أعزلها بجانب ثم فتحت الكيس لاقضى مصالحى بما فيه من دراهمك فاذا بها ورق وأقبل على العبد فضربته على رأسه بالكبشة فصار جرة مدهونة فقال ابن سينا اشهدوا يا مسلمون هل ينقلب الآدمى جرة وصاح قائلا أنه قتل عبدى واجتمع الخلق حولهم فمنهم من صار على طرف ابن سينا ومنهم من كان من جانب الرواس وارتفع الحديث بينهم وصارت معركة لا مثيل لها فترافعوا الى القاضى وادعى ابن سينا على الرواس أنه قتل عبده فأنكر الرواس ﴿ قال الراوى ﴾ ومن نكائت ابن سينا أنه حين أنكر الرواس قال انظر أيها القاضى الى الرؤس التى يبيعها للمسلمين على أنها رؤس ضأن والحال أنها رؤس آدميين فلتكشف خبره فأرسل القاضى الى دكان الرواس واذا بها رؤس آدميين فأخرجوا رأسا منها واذا بها رأس صبى وأخرى واذا بها رأس امرأة بشعرها وأخرى رأس رجل شائب فتحير الناس وحضروا وأخبروا القاضى بما رأوه ثم تجسسوا أمر ابن سينا فلم يجدوه وقد اختفى عنهم فصاح الرواس هذا رجل ساحر فلم يلتفتوا الى كلامه وأمروا بقتله فرأى الرواس أنه لابد من اجراء القصاص فصاح يا سادتى اصغوا لقولى وقص قصته عليهم كما هى وها هو قد اختفى عن أعين الناس والله أعلم بأنى لم أطبخ رؤس آدميين فتكرموا على وانظروا ثانيا فأرسلوا كشافين واذا بالرؤس ضأن فعلموا الحال وأعتقوا الرواس فأتى الى دكانه وصار يضرب كفيه على بعضهما اذ لم ينج الا بمشقة وقد اشتهر هذا الخبر بالمدينة حتى وصل الى ملك كرمان الشاه محمود فقال ماذا ومايكون من هذه القصة فأخبره الوزراء أن هذه كلها من أعمال ابن سينا وصاروا يبحثون عليه من صميم قلبهم فعجزوا عن وجدانه ﴿ قال

الراوى) ففى ذات يوم من الايام وابن سينا يتفرج بازقة كرمان فرأى صبيا فى دكان
أحد الفكهانية فوقف يشاهد جماله وكان لذلك الصبى والد خبيث النفس دنىء الطبع
فنظر الى درويش وقد بهت وهو ينظر الى جمال الولد وكانه لا يعى شيئا فقال يا حمار يا
رفضى لماذا تقف هنا فلم يرد جوابا له سوى أن قال انى أزور فتطاول ذلك الرذيل الطبع
على ابن سينا وعزره تعزيرا كليا فغاب عن الوجود ابن سينا وقتها وذهب الى جهة وتفكر
فى مجازاته فخرج من حينه خارج المدينة وكان بمدينه كرمان من أحد جوانبها صحراء
واسعة فاحضر نحو عشر قطع من خشب وعزم وغرسها مربعة الشكل فى الرمال فصارت
فى الحال بستانا عديم المثل داخله المياه الجارية والبلابل والهزار وأنواع الورد تتحير فيها
العقول وتشكل هو أيضا فى صفة تاجر وأتى الى دكان ذلك الرجل وقال له ان لى بستانا
مشحونا بالفواكه والزهور وبه من أنواع الفواكه شىء شتى ولم يكن وقتها أوان الفواكه
فطار فرحا وأجابه الى ذلك وتوجه معه هو وابنه راكبين خيلا وأمامهم ابن سينا فيحكى
ان ابن سينا لم يزل معهما حتى دخلوا جميعا الى البستان فوجد الفكهانى الجنة بالنسبة لها
كالخيال وحدائق ارم عندها من ضرب الامثال ذات جداول ومياه وقد اشتبكت
أشجارها بعضها ببعض ومالت أغصانها الى الارض من كثرة الحمل فاذا بيعت الفاكهة
فلا يحصى ثمنها فقال الرجل اذا تهاون معى فى الثمن فلا فقر بعدها أبدا وبادر الى الفصال
وبعد مجادلة بينهما استقر الحال على ثمن معلوم ثم توجه الرجل الى داره ليحضر الثمن
فجرت الملاطفة والمحادثة فيما بين ابن سينا وابن الرجل وأطفأ نار لوعة قلبه ولم يزل
فى حلاوة الوصال متنعما بذلك الجمال حتى حضر الرجل ومعه الثمن ودفعه الى ابن سينا
ووكل بالبستان حارسين وقال ان الوقت ضاق ولا قطف لشىء الآن فاذا كان وقت
الصباح أخذنا منه اللازم لبيع اليوم الواحد وهكذا حتى تخاص الفاكهة منه اذا باتت بارت
وكسد حالها فأخذ ابن سينا الثمن وسار به فى حالة رافلا فى ثياب العزة قال وأما
الحارسان فقد وقع لهما حال ظريف وهو انهما لما أدركهما المساء التجأ الى أشجار
بعض البستان ونام تحتها حتى أنهما استغرق فى النوم واذا بأحدهما انتبه من منامه
فرأى غصن أجاص مال الى فيه حتى أنه لو فتح فمه لسقطت الاجاصة فيه فمد يده اليها
فارتفعت فقام ومد يده فارتفعت فنهض قائما فارتفعت فمد يده اليها فارتفعت فوثب

بالهواء لهمادا يده فارتفعت عنه فاحتد الرجل وأخذ حجرا ورجمها به بحده فبمجرد سقوطها على الارض انحدرت منبعجة وخرج منها سوط مفزع فغاب وقتها الحارسان عن الوجود وأغمى عليهما ثم أفاقا واذا بهما فى أرض كشف سماوية ولا ماء ولا شجر وصارت الارض مهبا للريح وصارت صحراء كما كانت فتحيرا قائلين أين الحديقة وكان الصبح قريبا وقد سهر الفكهانى من شدة فرحه ولم يتم ليلته وهو يتدارك فى أسلال الجمل الثمر بها وركب وسار حتى اذا اتى فى مكان الحديقة وجد الحارسين فى الصحراء يتحادثان فقال لهما ويلكما اين البستان فقالا له نحن فى سيرته وقد وقع بنا ما يحير العقول وقص صاحب القصة عليه ما رأى من أوله الى آخره فتحير من قوله وعاد الى المدينة وحكى لاصحابه ذلك فاشتهر أمره بالمدينة حتى سمع بذلك الملك فاستدعى العقلاء وتشاور معهم فى شأن صاحب الفعال فأخبروه ان هذه لابن سينا فقال الملك ما أظرف هذا الرجل وما أنكته لو شرفنا برؤيته ووجهه وقد تعجب غاية العجب من هذه القصة واشتاق اليه وزاد اشتياقه أضعافا مضاعفة (قال الراوى) فيحكي أن ملك كرمان كان عنده حكيم يقال له يوحنا وكان ذا دراية بعلم السيميا وكان وزير الملك كرمان فقال له اذا وجدت لك ابن سينا وأتيت لك به ماذا تنعم على به فوعده تحفا كثيرة فنهض يوحنا من مكانه وصار يتجسس على ابن سينا فوجده على حين غفلة وهو يتعاطى من العزايم ما يدله عليه فوقع بصره عليه فانتهز الفرصة وعزم عليه بعزيمة فى حالة غفلة أى ابن سينا فأرخى مفاصله وقال الملعون ان الفرصة غنيمة وأراد كتاف ابن سينا (يا ساده) ومن الحكمة أن يوحنا لم يتدارك عقد لسان ابن سينا ولو فعله لكان أصوب وأليق بالصناعة فصبر ابن سينا ليرى ماذا يريد به وما درجة معارفه والتزم السكوت والا لعزم على اللعين يوحنا وأعدمه وفك ما حصل به من السيميا فذهب به الى حضرة الملك فسأل الملك من هذا وقد كان مختليا ووضع تاجه أمامه ورأسه حاسرة مكشوفة فعزم ابن سينا وجعل حاله تاجا وخط برأس الملك فعلم يوحنا اللعين واستحس بذلك وقال له أيها الملك ان ابن سينا صار تاجا برأسك وذلك أن تشكلات ابن سينا كانت تظهر ليوحنا فوضع الملك يده على رأسه واذا بتاج مرصع مسبع الشكل وفى زاوية من زواياه جوهرة تضىء قيمتها خراج بلاد الروم فبينما هو فى التفرج واذا بوحنا لهب نارا

واستعلى على التاج فصار ابن سينا بوقتها حبوبا وبزرا أمام الملك فصار يوحنا ديكا وجعل يلتقط الحبوب حتى بقى حبتان احداهما تحت ركبة الملك والاخرى بوسط المكان فانتقض لديها ابن سينا وصار فى صفة أبى الحصين وقصد قنص وافترس الديك فصار الديك طائرا فى الهواء فصار أبو الحصين بازا وقصد ذلك الطير وقد أرمى نفسه الى شجرة عرعر وفى أشد الضيق وقد أدركه الباز فعند ذلك رأى يوحنا ان لا منجا فرجع الى شكله الاصلى واستجار فى ابن سينا وأبدى له الاعذار والتزم الحجة بأن بسط ظهرى كفيه على الارض فرأى ابن سينا ان الحال تحول الى طور آخر فتمثل هو أيضا بشكله وأخذ بيد يوحنا ومشيا يتحادثان حتى وصلا الى حضرة الملك فسمع الملك بقية الخبر ويوحنا يقص عليه جميع ما تم فاستحسن منها ذلك وأكرم ابن سينا وعظمه وأجلسه بقربه وجعلا يتحادثان ففى أثناء ذلك قال الملك لابن سينا انه حصل بنا أمر عظيم وقص عليه أمر القلعة فقال ابن سينا وكيف ذلك فقال الملك بينما نحن على غفلة فى ذات الايام صباحا الا وقد جاءنى الخبر بأن القلعة قلعت أوتادها وأطنابها من جدرانها وأصولها وترجاه ان يعيدها كما كانت فقال ابن سينا أيها الملك هذه الواقعة لا أصل لها فأرسل واستكشف أخبارها فأرسل من يكشف الخبر واذا بالقلعة فى مكانها الاول كما كانت فتعجب الملك عند ذلك وقال أنا رأيت محوها بعينى ماذا أصابها الآن حتى عادت محلها ولم يسع عقله محوها ورجوعها ثانيا فعند ذلك حمد ابن سينا ربه وأثنى عليه بما أولاه من النعم الوافرة وقال هذا شىء من جزئيات علومى وهو كالذرة من أشعة الشمس أو كالقطرة فى المحيط فترجاه الشاه محمود وقال له هلا يجوز أن ترينا من عجائب ما أعطيت شيأ حتى نتفرج قليلا فلم يرد له قوله ابن سينا وأجابه بالتلبية وقاموا من الديوان واستخلوا وصارت الضيافات لابن سينا وأتحفه الملك بتحف جزيلة فيحكى ان ابن سينا أطرق برأسه قليلا وعزم فبينما هم فى استنظار ما يحدث من اطراق رأسه واذا بحيوانات عديدة مختلفة الانواع خرجت من خرقة ابن سينا من دب وذئب وثعلب وابن آوى بسرعة وهجموا على أرباب المجلس فتنحى عنهم أرباب المجلس وهم يتكاثرون وهم يفرون منهم فوصلوا الى حالة حتى ان المحل الذى هم فيه ضاق بهم وخرج أرباب المجلس فارين وكادوا من خوفهم أن يهلكوا فتعارك الحيوانات جميعا

مع بعضهم وتهاربوا وتصاولوا واتسع المجال بينهم وعلت همهمة النمور والسباع ونمت أصوات بقية الحيوانات حتى أصمت اسماع العالم فسمع أصوات المستجيرين فاندهش الملك وكاد أن يركن الى الفرار لولا ان ثبت جنانه وابتدأ الجميع بالصياح الامان الامان وقد ترجوا ابن سينا فى حل ماوقعوا فيه فتفرغ ابن سينا من العمل واذا بهم دخلوا فى خرقته وانمحوا ولم يبق لهم أثر وقال اعذرونى اليوم والخدامة أيضا من موجبات أمورى فتعجب الملك وقال سبحان الله العظيم وما وهبه لخلقه قوة خارجة عن دائرة الحد واشتغلوا بالضيافات لابن سينا فلما أمسى المساء وخلا المكان عن الاغيار كلفوه أيضا ان يريهم من عجائب علم السمياء ما يبهر عقولهم وترجوه كثيرا وكان رحمه الله تعالى بذلا فى صناعته وترجوه ان يظهر لهم ما ليس بمخيف فأجابهم الى ذلك ثم أمرهم ان يستروا الشموع ثم شرع فى قراءته فخرج من خلف الستر طرطور الى السقف وصار يرتفع حتى ان سقف البيت انشق وخرج منه الى أعلى نحو مائة هنداز ثم ظهر تحته جبهة سوداء وصارت ترتفع مدة وبعدها ظهر أنف أكبر من السيف بنحو ثلاثة أنواع وأقوى منه وأقنى ثم ارتفع وظهرت لحيته وجعلت ترتفع نحو ساعتين ثم ظهر بعدها امعاؤه وبدأ ينتشر فى الدار ولم تزل تكثر حتى ضيقت على القاعدين فتنحوا عن أماكنهم وهكذا حتى التزموا الكوات فضاق بهم الحال وزاحمهم حتى كاد أرباب الديوان ان يلقوا أنفسهم أسفل القصر فصاحوا عند ذلك واستجاروا فى ابن سينا فأبطل ذلك عنهم وترجوه ان يفرجهم ما يبهجهم لا ما يبهتهم ويوهمهم فيحكى ان القصر الذى كانوا مقيمين به كان له طاقات عدة وكن مقفولات فأمر ابن سينا أحد أرباب المجلس بفتح طاقة منهن فنهض وفتحها ولم يكن أوان الخريف فنظروا واذا ما يبهج المنظر من الخضرة وكأنه فصل الربيع والازهار فى كل جهة متنوعة وصارت الدنيا كالجنة والقمرى والبلابل والهزار بأنواع تغرد بنغمات ألذ من نغمات الاوتار وكان القمر ليلة البدر أو أشد نورا منه إذ رأوا جميع الزهورات بنوره وهذا مستحيل تحقيقه ولو لحديد النظر وصار أهل المجلس والشاه محمود يتفرجون وتحيروا فى هذا وصفاء الوقت فأمر ابن سينا أحدا آخر بفتح طاقة أخرى وغلق هذه ونظروا منها واذا بريح عاصف كأنه يعسف قوم عاد ريح صرصر لم يمكن تعريفه والتعبير عنه بل هو خارج عن

العقول والامطار تمطر والثلوج تترا كم فصاحوا عند ذلك يالطيفا لم تزل الطف بنا فيما نزل وقد هجم الثلج والمطر والريح عليهم بالديوان وصارت واقعة برد يستعيذ منها الزمهرير فقفلوا الطاقة ولبسوا فرآهم حتى زال عنهم ألم البرد وبعدها على ما حكى انه امر بفتح طاقة اخرى ففتحوها فوجدوا بحرا متلاطم أمواجه واذا به كالطوفان وعم الجهات جميعا وعلت الامواج ثم ارتفعت حتى كانوا يروا من شدة الاضطراب سمك البحر فى الامواج وكان الامواج تخبر عن طوفان نوح فبينما هم فى حالة التفرج واذا بموجة اقتحمت عليهم المكان والهوى كذلك وقد ابتل كل أحد منهم فقفلوا الطاقة وصاروا يجففون ثيابهم برهة وقد حكى الرواة أن ابن سينا أمر بفتح طاقة أخرى فرأوا نارا عظيمة قد احاطت بأكتاف الدنيا ولها لهب كالموادن ولم يروا بقعة خالية من النار فبينما هم فى التفرج واذا بلهبة خرجت عليهم من عظم هبوب الريح وكادت تحرق المتفرجين فتقهقروا جميعا وقد غلقوا الابواب ثم أمر بفتح طاقة أخرى فحين فتحوها نظروا خارجها واذا ببارقة أنوار السماء وسط السماء والناس يمرون بكل جهة وكانه على حكم العادة فامر بغلقها أيضا وأمر بفتح أخرى فيروى انهم رأوا ان الوقت ليل لم ير أحدا أحدا وانقضت ليلتهم على هذه الكيفية وقد تحير الشاه محمود وأرباب مجلسه حيرة ولم يكن أعظم منها ابدا واستحسنوا صنائع ابن سينا وقد استنسبوها وتفرغوا بعدها الى المحادثة الى الصباح فبوقتها استأذن ابن سينا من الشاه محمود وذهب لمكانه ليرتاح ثم أتى ليلة غد فترا كمت الخلائق من ارباب الديوان وصار مجلسا لا يوصف فترجوا ابن سينا أن يريهم من العجائب وقد كانوا بوقتها على الموائد فى حالة الاكل فحكى ان ابن سينا عزم بعزيمة ونفخ بها على الطعام فصار الارز ديدانا صغيرة واليخنى صار ارانب ومحشى الكرنب صار ضفادع وتبدل الطعام كله مثل العقارب والحيات وانواع الحشرات التى بالارض فعند ذلك امسكوا عن الطعام وقاموا عن الموائد فضحك ابن سينا وقال لهم تعالوا لا بأس عليكم انما هذه تخيلات قال فارتدوا على أعقابهم وجلسوا على الموائد واذا بها من اشهى الطعام كما كانت والحاصل انه أراهم ليلتهم تلك من أنواع العجائب ماحير البابهم وشتت عقولهم هذا وقد مضى ابن سينا مدة وهو يصحبه الشاه محمود وكل يوم يريه مما يعتبر به اولو الالباب (قال الراوى)

فيحكى انه كان للشاه محمود غلام من أقاربه ذوفم كباسم الورد وشعر كحالك الليالى الطوال ومنطق فصيح ووجه مليح وقد يزدرى بغصون البان اذا مال وماس ويفصح بثناياه عن معرب الالماس وثغر باسم اذا رآه ملك ذهب غضبه وكان رضوان لذلك أنتدبه وأياما يؤل ناظره لايرى الا اياه وكم من شربك لرؤيته أسلم الامر لله وعاهد أن لا يعبد الا اياه فهو كما قال الشاعر عن حال ابن سينا

يا رب ظبى لا نظير لحسنه ... فيما أرى من عربها والاعجم
وافى الى مواصلا متعطفا ... من بعد بعد كاد يوهى أعظمى
فوضعت خدى فوق صفحة عنقه ... فجرى دمى من مقلتى كالعندم
فعجبت كيف جرى دمى مع انه ... من عادة الكافور امساك الدم

(قال الراوى) وكان هذا الصبى من أرباب الدولة من اخصاء الشاه محمود وقد كان ابن سينا هام به وجدومال اليه بكليته وكان يختلى معه سرا وكان ابن سينا يميل الى الصور المليحة ويهيم لمشاهدتها وكان يهواهم ولم يكن ذا مذهب يميل للتوحيد بل لكل صبح بقلبه وجد جديد وكان هذا الغلام تمكن من قلبه حتى انه كان يظهر له من العجائب والغرائب ماقيده به تحت خدامته وكان الوزير يوحنا عاشقا لهذا الصبى ايضا ومائلا اليه ظاهرا وباطنا فلما ان اختص به ابن سينا حسده على ذلك حسدا عظيما ولم يفده حسده الا نفارا وعارا وشنارا وكانت عاقبة أمره أن لحق بنا العار ولم يستقر به بدر الهناء له قرارا وفى بعض الايام قيل أن يوحنا الملعون أتى الى الشاه محمود وقذف فى حق ابن سينا وقريبه وصار يهيج شرا بينا غضبه حتى أصدعه وكان زوره وبهتانه ما أشنعه فلم يصدق الملك بمقالته حتى انه أرسل عيونه وجواسيسه فوجدوا ماقاله قد صار فى محله فى البعض ووجدوه يحادثه فعند ذلك صار الشك عنده يقينا وتنغص الملك من ابن سينا باطنا وصار كلما يأتى الى مجلس الشاه محمود لم يعتبر به وطرحه من نظره وعزم بل وجزم على انه اذا اقتدر على قتله لم يمهله فيحكى أن ابن سينا استحس بالخبر ورأى انه اذا قام فى المدينة ليلته يوشك انه يهلك أو يقع فى مهلكة فخرج من المدينة وقصد خارجها فوجد واديا ذا أحجار هائلة وعرة فقرأ عزيمة وجعل به مدينة مدينة ارم من بعض دورها ويعجز عن وصف قصورها ولم يكن انظم منها

مدينة على وجه الارض وصارت مدينة كرمان بالنسبة لها قرية حقيرة وكانت اسوارها وحيطانها وقصورها من المرمر الأبيض البراق الصافى لاشوب به ذات بروج مرتفعة شاهقة صرح فرعون لم يبلغ لعشر معشار ارتفاعها وكان يتقطع السحاب بها وهى معمورة من أجناس الخلائق والمياه بها جداول وأنهار ودورها شاهقة مرتفعة وبها فباب وجوامع ورباطات وهى منقسمة أرباعا والأسواق محيطة بها من كل جانب وبكل دكان ولد صبيح الوجه يتعاطى بيع أنواع البضائع وبها من الصباغ والجواهرجية والحدادين والسباكين وكل الحرف والمدارس بها كل العلوم والفنون وحيطان دورها توهج بالذهب مبلطة باللازورد والحاصل أن وصفها خارج عن دائرة العقول والفهوم وجعل له بها قصرا شاهقا بالغا الى أعلى الابراج والاسوار وديوان جسيما رحبا أرضه من أنواع الاحجار وطاقاته مطلة على البر الذى يبهج النظار وعليها من الستائر الديباج المزركش باللؤلؤ والمرجان وأيضا بساتين من جنات رضوان قال فلما أن أصبح الله بالصباح ونادى المنادى حى على الفلاح ودبت الأشباح وتعاقب الغدو والرواح اشتهر أمر تلك المدينة واخبروا بحالها الشاه محمود فعلا لسور قصره وأهل مجلسه معه ونظروا اليها واذا بأبصارهم خاشعة من الانوار والاشعة فاندهشوا وعضوا عليها الانامل وقد ارتفع صوت أهلها حتى أدهش الخلائق وصار كالزلزلة والرعود وتفكروا فى كونها أخرجت من حيز العدم الى قوة الامكان فى ليلة واحدة لخط أرباب العقول رأيهم على أن هذا أيضا من صناعة ابن سينا بقوة علم السيمياء فبينما الناس فى التفرج والتعجب من أحوال بنيان تلك المدينة العالية البنيان الشاهقة الجدران الاوقد حدث بالمدينة ولولة عظيمة فامعنوا النظر من جهة الأبواب واذا بسفير ملك المدينة قد أقبل عليهم فاستقبلوه وأنزلوه منزلا جيدا عظيما ثم أمر الشاه باحضار أرباب ديوانه وخواص دولته ونصب مجلسا عاما ودعوا الرسول لحضر الى حضرة الملك وأجرى رسوم التعظيم الملوك على حسب العادة ثم قبل الأرض ووقف ثم وضع له كرسى من الكراسى المصفحة بصفائح الذهب وأمره شاه محمود بالجلوس عليه وأعطوه الشربات فشرب ثم دعى وأبرز الجواب الذى هو من عند ملك المدينة وناوله للشاه محمود ففض ختامه وأعطاه للوزرا وقرىء بأعلى صوت (قال

الراوى ) وقد كان فيه خطاب للشاه محمود يقول له أن لك مدة وأنت مقيم فى تخت
السلطنة ومترفه فى أرغد عيش المملكة وقد كفاك ما فات وانقضت أيام دولتك وبقى
الدور لنا ومع كونه أمرا صعبا عليك حالا سلم لنا ديار كرمان وأرحل منها ولا يتفق
لمملكة حاكمان ولا أمر الرعيه بحكم ملكين فالرحيل الرحيل واذا بسطت قدم العناد
فتكون عبرة بين العباد وباكر تاريخه بينى وبينك الملتقى فى حومة الميدان ويظهر حال
الشجاع من الجبان والا فتحضروا أنتم اذا لم تبرزوا لملاقاتنا وختم الكلام فتحير الشاه
محمود من ذلك المكتوب واستغرق فى تيار بحر الفكر فرأى من أصوب الأمور أن
يرسل اليه أحدا ليدعوه برفق والصلح سيد الأحكام يكون واسطة الخير بينهم وأمر
أحد وزرائه العقلاء أن يتوجه الى ابن سينا وليتلطف به ويحضره معه فتوجه الوزير الى
داره يدارك لوازمه وأصطحب معه السفير وقصد مدينة العبر العجيبة وقد كان ابن سينا
وضع موكلين فأخبروه بمجيئهما فأرسل وزراءه فاستقبلوه فسمع وزير الشاه محمود
دويا وغلغلة وأصواتا عجيبة ارتفعت من نحو الباب واذا بهم الوزراء يقدمهم ذو الرتب
من القواصين على نحو عجيب ونمط غريب لابسين الاقمشة المذهبة والأغوات
المنظومين كنظام الثريا طوائف طوائف وأدوا له تعظيم الاستقبال ثم كروا راجعين
أمامه الى عبر الباب فصار الوزير يمعن نظره فى حسن بنيان المدينة ونظم أحوالها
وظراوة أهلها والبضائع المجلوبة من الديار البعيدة من غرائب الصنائع من هندية
وصينية وأفرنجية ولم يزل فى التفرج حتى وصل الى قصر الملك فدخله واذا بأرضه وسقفه
وحيطانه به جميع النقوش بالاحجار المنحوتة والاخشاب المشقة المفرغة والاعمدة
الملوكية من كبيرة وصغيرة براقة كأنها البلور والمرآة المموهة بالذهب وصفائح الفضة
من أرض المكان الى وسطه وعليها ستائر اللؤلؤة مسبولة عليها فاندهش اندهاشا
كليا حتى صار لايدرى أين السبيل وكان للقصر باب لو اصطف مائة راكب ومروا
عرضا لما احتك كتف أحدهم بحافة الباب وقد كان للدار رحب فسيح فاستقبله
البوابون المزينون بأنواع الملابس ومضوا به الى الديوان المرتفع ثم استقبلوه جماعة
أيضا وقد استلموه ممن قبلهم من أرباب النوبة وساروا به حتى أحضروه الى الديوان
فتأمل أرباب الديوان فرآهم مرتبين كل منهم على حسبه والعساكر اللابسين الزرخ

يمينا ويسارا ومنهم المقلدون بالسيوف الهندية والمعتقلون بالرماح الخطية ومنهم من هو
مجرد سيفه شاهره ورأى على التخت ملكا مهابا ذا لحية بيضاء على صدره وعلى رأسه تاج
ملوكى وبوسطه منطقة مجوهرة واضعا يديه على فخذيه جاثيا على ركبتيه بالتعظيم
والوقار وحوله اثنا عشر غلام طلعة وجه كل منهم كالبدر التمام شاهرين سيوفهم
وبأوساطهم الخناجر المجوهرة المحلاة بالذهب والفضة وبقربه أرباب الحكمة من
وزرائه من ذوات العزة والاجلال والبهاء والكمال والحاصل أنه نظر مجلسا لايليق
أن يكون هو به غلاما من جملة الاتباع فضلا عن المتبوع وملكه فتحير الوزير العاجز
وفاضت عليه لجة الافتكار وطغت عليه أمواج الاكدار فأدى آداب السفارة بأى حالة
كانت ووضعوا له كرسيا وقعد عليه وأبرز ما أحضره من أنواع التحف والذخائر
لحضرة الملك فأعطوه شربات فشرب وبعد ذلك رفع ابن سينا الذى هو ملك المدينة
رأسه وخاطب الوزير بعتاب ذا نكت وقال له قم الى ملك كرمان وحذره من نفسه ولابد
له من المبارزة فلا يمكن شاهين بمملكة وقرين بسماء مملكة فاما أن يصفو لى الوقت
أم له لانه يكفيه ما تمتع به من السلطنة واذا كان معتزا بعسكره فان ما رأيته قطرة من بحر
ومن كذب فسيرى وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وغداة غد ترون جردة
عسكرى الجرار وعامله بعنف واحتقره ووضع قدره وطرد الوزير فلم يهتد الى الباب
الا بشق الانفس وهرب مسرعا وأخبر شاه كرمان بالقصة وعظم ما رأى فتحير
وضاقت عليه الارض بما رحبت ولم يدر ماذا يفعل وجعل يتفكر فى زوال دولته
وانقراض حكومته فأرسل الى جميع حكام دولته بكل الجهات أن يتداركوا العساكر
وأنفذ اليهم لامات حربهم فجمعوا نحو مائتى ألف مقاتل فلما أن رفعت أعلام الصباح
وخفقت ستور ظلام الليل وراح أبرز شاه كرمان عساكره وصفهم صفوفا ورتبهم ميمنة
وميسرة وقلبا وجناحين وأشهروا سيوفهم أمام باب المدينة فأمر ابن سينا الذى هو ملك
العجائب والغرائب عسكره فركبوا ووثب قائما على قدميه وأبرز لهم ثلثمائة ألف
معارك ليوث عوابس وكل منهم فى الحديد غاطس لاترى منه غير حواليق الحدق
وتطاير الشرر من أعينهم من استيلاء الحمق وابتدروا عساكر الشاه محمود قتلا وأسرا
وسلبا فانهزم عساكره فى الحين ولجؤا الى الاسوار والابواب والبرارى والقفار طالبين

النجاة فرأى ملك كرمان أن ملكه آل الى الخراب فصاح بعسكره وجمعهم وباشر الحرب ثانيا فنظر ابن سينا الى مافعله الملك فنزل عن تخته وتزر بازارفي وسطه وأخذ باحدى يديه عودا وبيده الاخرى مقرعة وأتى الى المعركة وجعل كلما يقرع بالعود على القرعة يخرج منها كل عشرة أنفار أو عشرين من أبشع الغيلان وبيد كل منهم دبوس يذهب عقل من شاهده وقصد واجهة القلعة دفعة واحدة فلم يثبت أمامهم أحد وابتدؤا في الاستيلاء على القلعة فذهل ملك كرمان واندهش لذلك وقال للوزراء كيف العمل فقالوا نطلب الأمان ولم يكن مرام ابن سينا الاستيلاء على القلعة وانما قصده طلبهم الأمان منه وذل أنفسهم الشامخة فصاحوا الامان فرمى ابن سينا المقرعة من يده فرجع الغيلان الى جوفها ورجع بقية عساكره الى قلعته ( قال الراوى ) فيحكى أن ابن سينا كتب كتابا الى الملك ودعاه اليه فلما أن طالعه ووجد به أمر الضيافة جمع وزرائه وجما غفيرا من أرباب مجلسه وقصدوا المدينة العجيبة فنظروا اليها واذا هي ثلاث أدوار يعلوا بعضها بعض بالمرمر الابيض وحواليها خنادق جسيمة ملآنة بالماء دائر المدينة وباب المدينة من الفولاذ الصينى وقد بلغت أصوات أهلها أبعد من عدة فراسخ وباب المدينة نحو من ثلثمائة قواص لابسين من أحسن الملابس وهم ينتظرون قدومهم فقالوا لهم تفضلوا فقال الملك باسم الله ودخل فرأى من كل جانب أسواقا وكل صنعة لها سوقا خاصا بها لم تر عينه مدينة مثلها فلما أن مشوا مسافة ثلاثة فراسخ أشرفوا على قصر بسراية وقد اصطفت بميدانها مائة ألف راكب وهم يلعبون ويترمحون الى كل جانب حتى اذا أقبلوا الى باب القصر وجدوه مرتفعا نحو خمسمائة وعشرين ذراعا واتساعه نحو ثلثمائة وعشرين ذراعا بالاحجار المنقوشة المموهة بالذهب وأنواع الاحجار وارتفاع الباب لايرى من علوه الا بالتأمل الصادق والبوابين نحو ألف نفر ثم أتوا الى باب آخر ( وروى ) أنهم عبروا سبعة أبواب الى أن وصلوا الى باب الديوان فلما أن قربوا نزل خواص الملك وجلساؤه من الوزراء واستقبلوا الملك ولم يزل الملك كذلك من باب الى باب حتى وصل الى قصر أعلى من الجميع فاستقبله الوزراء وأرباب الدولة جميعا وفى أثناء الطريق كلما مر من باب يلقاه السوقة وما كأنها الا قرية قرية وتأمل حيوانا تهافاذا هى كالقردة والغزلان

والكركندات والمهى والديكة والفيلة والثعالب وأنواع الحيوانات وهم يلقون على
الملك أنواع التحف والذخائر والجواهر المثمنة ففرح بذلك عسكره وشحنوا جيوبهم
وبنودهم ومنهم من عباها بحجره وكل من بسوق المدينة تركوا أشغالهم وتلقوا الملك
بالتأهيل والترحيب فمشوا على هذه الحالة قدر فرسخ واذا هم أتوا الى باب قصر
جسيم شاهق واذا بأبوابه كل باب عليه الف بواب خيالة وقرابة بأيديهم المرازب
المموهة بالفضة والذهب وقد نهضوا للتسلم على الشاه محمود ونحو الف خيال وقراب
من القواصة وبأيديهم العصي والسيوف المحلاة بالذهب ومشوا أمام الملك ودخلوا
على باب مثله أيضا فجعل أهل كرمان يتفرجون على هذه المدينة العديمة المثال
وتأخروا عن ملكهم فسار هو وأهل ديوانه فوجد أهل كرمان هذه المدينة قد
قسمت اثنين وثلاثين قسما بكل قسم حرفة خاصة لا تشابه حرفة أخرى ووجدوا أهلها
بسرعة حركة مما لا يحيط به عقل أحد فكان سير أحدهم كالبرق وبها جوامع وبيع
ورباطات وزوايا ومارستانات وأماكن للمرضى وكم من جنازة مرت بهم وكم من فرح
أقيمت راياته وكم شبكة صالحوا ما بينها الاخوان ﴿ قال الراوى ﴾ والحاصل أن ملك
كرمان لما ان قرب من باب الحكومة استقبله أرباب الملك الخواص بمسامرته
ووزرائه على عادته ما سبق من السبعة أبواب وساروا به مع أهل دولته الى عند قصر
ابن سينا ووصلوا الى الباب العالى الهمايونى فوجدوا أعاظم الدولة والأكابر
والعلماء والوزراء والحكماء قد استقبلوا الملك ورجلوا الشاه محمود عن جواده ورفعوه
من تحت ابطه وأدخلوه الى ابن سينا داخل ديوانه الخاص به فوجده الشاه محمود ديوانا
عاليا وبصدره تخت مرصع وعليه شيخ نورانى الوجه روحانى المنظر جالس عليه وعلى
يمينه ما ينوف عن ألفين من أهل الحكمة من وزرائه وأرباب التدابير والكتبة
والعلماء جالسون وخلفه اثنا عشر الف نفر لابسين القفاطين ممنطقين بالمناطق المرصعة
وبها الخناجر المجوهرة ووجوههم تزرى بالبدر حسنا مكتفين الايادى كالحارم للصلاة
وبيساره من كل جهة سبعة آلاف من الليوث العوابس الذين هم فى الحديد غواطس
عليهم الدروع الداودية شاكين الاسلحة منهم من لاق به النهوض ومنهم القاعد
والحاصل أنه كان مجلسا يليق ببهرام وكيوان أن يكونا من جملة الخدام والغلمان

والشمس والقمر ان يكونا من أوانى الطعام للندمان ولم تتخيل مرآة عقل خمشيد
والاسكندر مجلسا مثل هذا فضلا عن رؤيته لا وقد تحير فى حسن نظامه الشاه محمود
فريد عصره شاه كرمان فنزل ابن سينا عن تخت السلطنة وتقابل مع الشاه محمود مقابلة
الملوك والسلاطين وجلسا معا على هذا التخت الرفيع القدر ملاصقين ركبتيهما معا
وبعد ذلك عين لكل من أرباب دولة الملك محلا خاصا به كل بحسب رتبته ثم بعد ذلك
أشار ابن سينا واذا بغلمان كأنهم الكافور بياضا وبوجوههم الشامات افرادا وأزواجا
وخدودهم كالورد الجهورى وقسى حواجبهم كالنون واهدابهم كاهداب الغزلان
بخصر نحيل وردف ثقيل وشعورهم سابلة على اكتافهم وأفواههم كباسم الورد
وشفاههم كحافة الاقداح ورضابهم المسك منه فاح مشمرين عن سواعدهم البلورية
وبأوساطهم الفوط الزردخانية المزركشة باللآلىء والمرجان واللازورد وأنواع
الاحجار وبأيديهم مباخر الذهب والفضة يوقدون بها المسك والعود والعنبر وقد عبقت
من أرجه الارجاء فيالها ساعة لم يسمح الزمان بعدها بمثلها فأحضرت الاكواب
من أنواع الاشربة فمن تمنى شرابا كان أخذه بعده كانها أشار اليه بالاقداح البلورية
والكاسات الفرفورية فشرب كل من بالمجلس ثم أشار أيضا فذهب هؤلاء واحضروا
البشاكير البيض وفرشوها والملاعق الذهب والموائد المرتفعة والصوانى الذهب وعليها
خبز كأن بياضه اللبن استعارة وأنواع الاطعمة من ألذ ما يكون والاشربة النفيسة
واحضروا من المأكولات ما حال بين الجالسين فلم ير الصف الآخر ﴿ قال الراوى ﴾
قيل ان الذين حضروا الى مجلس ابن سينا من توابع ملك كرمان ولواحقهم ما ينوف عن
العشرة آلاف نفر فقعد الكل على الموائد وصاروا يأكلون نحو خمسين ساعة فلم
يأكلوا ما ألقى من الاصحن الى الارض واذا سالوا عن وصفها لم يقتدر أحد على وصفها
وارتفعت الموائد ودعوا للنعمة بالزيادة وعدم الزوال ثم أمر بالفاكهة فأحضرت من
كل نوع وجنس من رطبها ويابسها فابتدؤا أيضا بالاكل وتحادث كل محادث مع
رفيقه ومكثوا مدة ثم ان ابن سينا دعاهم الى التفرج فى البستان ومشى هو أمامهم
بهيبته ووقاره على عادة الملوك وأتى بهم الى بستان لم ير مثله أبدا واسع الرحاب لم ير
آخره واذا داخله عدة آلاف نفر لم ير أحد رفيقه والبلابل تغرد به متنوعة النغمات

من كل جانب و بهذه الحديقة جداول المياه تجرى من تحتها كانهار الجنة وبها أثمار
فى غير أوقاتها والزهور فاحت روائحها والرياحين نمت بما يحويه الثمار من طيبها
والاشجار مالت على بعضها تعانقا كانما هو عيد اللقا وقد امتلات الارض من نورها
كالنجوم فى السماء طفا على رياضها كالدهر فى المجرة وبوسط البستان قصور تجرى
من تحتها الانهار وخيام باواسطها الشاذروانات شاهقة على اقبيتها الجواهر واطنابها
من أنواع الحرير وأوتادها من الفولاذ والآبنوس وحلقاتها من الذهب والفضة
واشراج عراها من القصب الهندى المذهب فدخل الملك واتباعه بها وحضر لهم أنواع
الفاكهة مما يشتهون واشتغلوا بالمآكل والمشارب (قال الراوى) حكى أن ابن سينا
افتكر سيئة لوزير يوحنا الكلب وما أبداه من الفتن وقصد اخذ الثأر منه فابتدأ
بقراءة عزيمة فقام يوحنا ولم يستطع القعود وقصد جهة من البستان ففى أثناء سيره رأى
حجرة مقابلة له فدخلها واذا بها واسعة وداخلها نحو المائتين من همج الناس الجرارين
المعتربين مصطفين يتضاحكون فعظموا يوحنا الوزير واجلسوه فى الصدر واحضروا
جانبا من المآكل والمشرب وبعد أن أكلوا وشربوا احضروا فى وسط المكان لوحا من
الخشب عريضا وقالوا ليوحنا الوزير نحن لنا عادة ان كل من حضر عندنا ضيفا نلقيه
امامنا وكل منا يفعل به مرتين فاذا خالف نربطه فى هذا اللوح رباطا وثيقا و يمسك
طرفاه اثنان منا و نمتلكه بالدور وهكذا حتى نقضى منه أوطارنا على قدر الامكان
والطاقة فماذا ترى هل ترضى بالشرط الاول أو الثانى فرأى أنه لابد من ذلك ووجد
ان النجدة حيل بينها وبينه ولا فرار ولا قرار فتحير حيرة عظيمة واخيرا صبر لحكم
القضاء وتعرى لهم وركع للشيطان منيبا اليد فاتى اليه هؤلاء الجبابرة وصاروا يكيلون له
كيلا وافيا ومالم يعجبه يعيدوه له فآل امره الى التلف ولم يبق له طاقة على مكثه على
مقعدته فلم يصدق بالنجاه وهو زاحف طالب الباب فرأى الشاه محمود والمجالس قاعدا
وكل منهم ينظر اليه ويتضاحكون عليه فسألهم عن سبب ضحكهم فقال له الشاه محمود
غير انك قمت من المجلس وشلحت أذيالك وقصدت حنفية من هذه التى على
الاحواض وصرت تقعد عليها وتنهض وتقعد حتى غاب عقلك من شدة الممارسة والمعالجة
والآن فقت لنفسك وقت فصار يوحنا الكئيب يتباكى وينتحب وقص عليهم

القصة وكان كل من بالمجلس يتضاحكون عليه الى المساء فقال ابن سينا انك ضيفي ايها الملك ثلاثة أيام فلما أظلم الظلام أوقدت الشموع والنجفات حتى صار كالنهار رجوت محادثة ومنادمة وصفاوة وازالة هم وكدر مما لم يوصف ولم يسمح الدهر بمثله فيحكى ان ابن سينا أشار الى جهة فحضر منها وجوه كالاقمار على قضب الخيزران يحملها ساقان قربان لم ترمثلها العينان وبيد كل منهم آلات انواع الطرب فمنهم من بيده العود وآخر القانون وآخر الدف وآخر الناى وآخر الكمنجة و بمقابلتهم الفتيات كالحور العين طوال القامات سابل شعرهن على متنهن متبرجات تبرج الجاهلية وبأواسطهن الكشامير وقد اقعدهن من ردف ثقيل مهيل فلم يستطعن القيام ولا المضى ذوات تيه ودلال وقد واعتدال وبيض سوالفهن وردة العشاق وبريق ثناياهن كبريق اللؤلؤ البراق ورضاب كوثرهن يبرى العليل من العلل وهو أطيب من المسك وأزكى من العسل يزدرين بقالب الحسن والجمال اذا مسن ذات اليمين وذات الشمال وجلسن مقابلة الغلمان فنهض غلام على قدميه وأخرى منهن وقد أومأت اليه فتراميا بالاشعار بنغمات ألذ من نغمات الاوتار وقد اشارت اليها أخرى من الفتيات بالجلوس وقامت وانشدت مايزيل الهم عن الوجه العبوس بلسان حالها تقول هذه الابيات

ايروم قلبي من هواه تخلصا ان زاد لومى لا تمى أوانقصا

اجد الملام على الغرام محرضا واليأس منه على هوائى محرضا

كيف البعاد ولا مساعد لى سوى دمع يطاوعنى اذا جلدى عصى

يامن تقمص بالجمال اجر فتى يمسى ويصبح بالضنا متنغصا

واعد بوصلك طيب عيش طالما قضيت ايام الصدود منغصا

لولاك لم أك بالزلال على الظما شرقا وبالاكل الشهى مغصصا

ولقد جهدت فلم أجد لحشاشتى غير الوصال من الصدود مخلصا

(قال الراوى) ولم يزالوا فى غناء وآلات الطرب شدت أوتارها وبلغت الى التراقى فسكر الحاضرون من هذا الطرب وانشد غلام أيضا هذه الابيات

لم ينقلوا عنى الغرام مزورا ما كان حبكمو احديثا يفترى

طلعت بدور التم من أزوارکم فغدى اصطبار الصب منفصم العرى
یامن هجرت على هواهم عاذلى أيحل فى شرع الهوى أن أهجرا
أعصى الملام ولا ملام يطيعنى فكان اذن العين والنوم الكرى
فى كل هيفاء الغرام كأنها غصن يحركه النسيم اذا سرى
قالت وقد سمعت بجرى مدامعى صدق المحدث والحديث كما جرى
ذكرت فصغرها العذول جهالة حتى بدت للناظرين فكبرا
وجهلت معنى الحسن حتى أقبلت فرأيته فيها يلوح مصورا
لاتذكروا الغزلان عند لحاظها أبدا فكل الصيد فى جوف القرا

(قال الراوى) ولما استتم كلام الغلام هام المجلس من حسن مقاله وطربوا طربا حتى شخصت الابصار ودار الكاس والطاس وملا الغلام الاقداح من شراب التفاح وأمثاله وناول الجالسين فخيل لهم أن المجلس كاد أن يطير من شدة الافراح ثم جلسا ونهض غيرها وجددا مما نسياه الاولان مالو تلى على الرفات لانتعشت أرواحها وأحسنت القينة اذ غنت وقد ألقت وشاحها وقد ملأ الغلام الاكواب ماء زلالا وسقى بها المجلس يمينا وشمالا وشرب كاسا فتدبلت عيناه وماس وانثنى ثملا كانه عود القنا فانشدت القينة من حينها وبالغت فى المعنى تقول

طاب الصبوح لنا فهاك وهات واشرب هنيئا يا أخا اللذات
كم ذا التوانى والزمان مساعد والدهر يسمع والزمان مواتى
قم واعتبق من شمس كاسك واصطبح بكواكب طلعت من الكاسات
حمراء صافية توقد نورها فعجبت للنيران فى الجنات
يسيل فى قار الظروف حبابها والدر مجتلب من الظلمات
عزراء وافقها المزاج أما ترى منديل عذرتها بيد سقات
يسقى بها عبل الروادف اهيف خنث الشمائل شاطر الحركات
يهوى فتسبقه ذوائب شعره فى خـده كاساود الحيات
لو قسـمت أرزاقـنا بيمينه عدل الزمان على ذوى الحاجات

(قال الراوى) فوقع الخجل بالغلام واحمرت واجتنا خديه حتى كادتا تنصدعتان

ودبلتا عيناه فأوما اليها فدنت منه ولم تدر بما أظهره لها من حسن الملاطفة فمال اليها ليقبلها فنفرت منه كالغزالة الشرود وردعته بظهر يدها فصاح لديها المجلس وهاموا ومالوا وطربوا وثملوا واندهشوا من تلك الملاطفة والممازحة والالحان المنعشة للقلوب وذكر كل حبيب ماله من محبوب وكأن لسان حال الشاه محمود يقول

ولرب يوم ظلت أرقب وعده ... فى مجلس حل السرور بسعده
والماء شبه سلاسل من فضة ... ما بين زرنته وخضرة زنده
بمدامة حمراء كمل لونها ... مزج الحباب كلؤلؤ فى عقده
ومليحة تنفى الهموم بشذوها ... ومهفهف يحكى القضيب بقده
هذاك منتقل العذار كأنما ... غرس البنفسج فى منابت ورده
ويد الفتاة خضيبة فكأنما ... غمست أديم بنانها فى خده
غنت فاطربت الغلام بشذوها ... ولشذوها غنا الغلام بنده
فدنا يقبلها فمن رقبائها ... حنقت عليه وأبدعت فى رده
لطمت عوارضه بغير جناية ... منه فأثر نقشها فى ورده
فاخضر آس عذاره من نقشها ... غرس البنفسج فى منابت ورده

(قال الراوى) فحصل لهم من السرور وازالة الهم والحزن مالم تسعه صفحات الدفاتر فقعدوا فى الشوق والزوق الى الثلث الاخير ثم عزموا على المنام فاشار ابن سينا فهرولت الخدام من كل جهة وأتوا بوسائد المخمل والحرير واللحف وفراش ريش النعام وملابس النوم الملوكية ولبس الشاه محمود ونام هو وكل من معه على الفراش المقصب كل بمفرده قال ويحكى أن الشاه محمود واتباعه ناموا الى الضحى العالى وأفاقوا اذ هم لم يروا أثر للمدينة ولا البستان ولا السراية ولا الاسواق ولا القلعة ولا شيأ مما رأوه وكانه لم يكن وقد انقسم العساكر نصفين وتقاتلا مقاتلة عظيمة وصارت ملحمة لم ير مثلها أبدا ففى الحين تحزم ابن سينا بتنورة ومسك عودا ومقرعة وصاح ما بين العسكرين وقرع على المقرعة فلم يروا الا وابتدأ يخرج من المقرعة المائتين والاكثر من ذلك الاشخاص الموهمة وبيد كل واحد منهم سيوف مشهورة وقد ابتدروا الى مباشرة الحرب عراة الرؤس ورأس كل واحد منهم مثل القبة أقرع أو أصلع لابسين من نسج

داود سرابيل ومنهم من على رأسه الخود والبيضة وبأيديهم الدرق وكأنهم بمقابلة ضوء الشمس قطع نار يخطف الابصار نورهم وحملوا حملة واحدة وكم قتلوا رجالا وجندلوا ابطالا فكثر الصياح وتكافحوا بالصفاح واعتقلت الرماح وقومت الاسنة واطلقت الاعنة وقلبوا الميمنة على الميسرة والجناحين قلبا وركن القلب الى الفرار فلا تسمع الا قائلا وعيناه وايداه وترى بصرا حائرا وكفا فى الهواء طائرا وقد سالت الدما حتى صارت بأيدى هؤلاء الجبابرة كاكباد الابل وبانت الشجعان وركن الى الفرار الجبان والتجأ عساكر الشاه محمود الى أبواب مدينتهم فسدت دونهم الابواب فنظر الشاه محمود عند ذلك وقد قضى الامر ففر هو كذلك ودخل القلعة وعلا على الاسوار وصار ينظر الى العساكر واذا بأكثر عساكره هلكوا وقد تراكموا على بعضهم بعضا فتحير حيرة عظيمة وحيث أن سبب هذه الحركة يوحنا الملعون فسبه وغدره ووقف ساعة باهتا واذا بالعساكر قد تراكموا وتزاحموا حتى ضاقت بهم الارض فقصدوا قلعة كرمان وحاصروها وصاروا من شدة ميلهم وولهم على الحرب يقتل بعضهم بعضا اذا لم يجدوا من يقتلوه وصار بينهم حرب عظيم وقتال جسيم قال ومن العجب أن من قتل من عسكر ابن سينا كان يقع على الارض ثم ينهض قائما على قدميه ويقاتل ثانيا فتفرج الشاه محمود وجماعته على شيء لم يتخيله عقل عاقل فضلا عن وقوعه وقد هجموا على ابراج القلعة وحاصروا أهل المدينة وامتدت هذه المعركة برهة ثم ان ابن سينا رمى العود والمقرعة الى الارض فعاد كل الى ما كان عليه ورجع هو ودخل مدينته (قال الراوى) ثم ان الشاه محمود طلع على تخت مملكته وجلس عليه وجمع وزراءه وشاورهم فى أمره فعجزوا جميعا على رد جوابه فذم هنالك من طلبه لابن سينا من ملك بخارى وعزم على أن يحرر كتابا اليه يترجاه فى دفع ضرر ما هو فيه فقام عند ذلك أحد وزراء الملك محمود شاه وكان اسمه ميلادا وقد كان موصوفا بالعقل والحكمة والمعرفة ومارس الايام والليالى وتقدم الى الملك وقبل الارض وأدى لوازم التعظيم ورسوم التبجيل والتكريم وقال له أيها الملك اعلم أن ابن سينا ليس أمرا هينا ولا يجيء بالمعاندة وان سبب هذا المشكل منك واليك وقد احتقرته وطرحته من عينك وكان سبب الفتنة يوحنا فاين هو فأمر الملك باحضاره فحضر فقال

له ان هذه الفتنة كنت أنت سببها فاما ان تطفىء وجهها والا أعدمتك الحياة فقال له
أيها الملك أنا مقصدى اطلاعك على فساده لا اثارة الفتن ثم طرده الملك وأبدع فى
طرده ثم قال لميلاد أيها الوزير فماذا ترى فى هذا الامر فقال له ارى أن ترسل اليه الغلام
قريبك شفيعا وليدعوه اليك فانه لا يرده خائبا قال فأحضر الغلام حالا وأمره بالتوجه
اليه فأجاب بالسمع والطاعة وسار حتى قرب باب المدينة العجيبة استقبله أهلها
وخدامها وأكابرها على العادة حتى أحضروه الى دار ابن سينا فأجلسه معه على التخت
وصار يتحدث معه فى عجائب هذه المدينة ويطلعه على أسرارها وأمسكه عنده ليلته
وصار يفرجه على غرائب البستان وأشياء مما لا تسعها العقول ثم فى ثانى يوم دعاه
الغلام الى حضوره عند الملك فاجاب السمع والطاعة وترك المدينة كما هي وتوجه معه
الى الملك فاستقبله الاكابر وصار يتفرج عليه الاصاغر وأمامه الوزراء الى أن دخل
عند الملك فنهض الملك واستقبله من مسافة وأخذ بيده وأجلسه على التخت معه وقال له
كلاما مضمنا معناه يا أيها الحكيم البارع فى كل فن عليم هل يليق بشأنك أن تفعل
بنا ما حل بالخلائق من قتال وضراب ونزال وتهزل مقامى فيما بين الناس فاجابه ابن
سينا أيها الملك أنت الذى أولا قصدت قتلى وحطيت قدرى بسبب الحساد على غير
وجه حق فلما أن عاينت منك ذلك قصدت نجاتى والبادى أظلم ثم أنهما تسامحا فيما جرى
بينهما وقد اخبر ابن سينا الشاه محمود بانك اذا أردت احياء موتاك فامرنى فامره قال
فقرأ عزيمة واذا بكل من مات عاد داخل المدينة فى أكل وشرب وبيع وشراء وأخذ
وعطاء وما كان ذلك إلا مجرد خيال مخيف مهول فتعجب الملك وجميع الناس من
ذلك ( قال الراوى ) فأقام ابن سينا مدة أيام مع الشاه محمود ثم دعا الملك الى المدينة
ثانيا فاجابه الشاه محمود واراد التوجه اليها فابرزيوحنا العناد وقال كيف تتوجهون
الى تلك المدينة وهى مشحونة بالسحر وأنواع المكايد والتوجه اليها خطر عظيم
وانما قصد ابن سينا يا ملك قتلك هناك ويمكن ارض كرمان وصار يهول الامر حتى داخله
الروع وشك فى امر ابن سينا وصار مترددا فى التوجه وعدمه ثم تشاوروا أيضا فى ذلك
مع الوزير فقال له الوزير العاقل ميلاد ايها الملك لا يليق بشأنك الاصغا الى القيل والقال
الذى هو فى منزل الشك والمحال واعلم ان ابن سينا لو أراد الاستيلاء على بلادك فهو قادر

على ذلك بدون كلفة حيلة ولامشقة وقد وقفت على جل مضمون سره وان لم يكن ولها الى الأمر والنهى وحظ النفس فهو زاهد النفس كريم الطبع سليم العاقبة فلاتلتفت الى هذا الكلام ومقال هذا الحاسد الحقود الجاحد الكنود ولا يهولنك مارأيت من ابن سينا فهو من قبيل الملاطفة فاذ عزمت فتوكل على الله قال فعقد الملك النية وعزم على التوجه واطمأن قلبه وتحضر الى الصباح هو ووزراؤه وحواشيه واشراف المدينة والصالحون والاعيان وقد عزموا على التوجه قال فلما أن عزم الشاه محمود ومن معه على التوجه وخرجوا من باب مدينة كرمان واستخبر ابن سينا بخروجهم ووجدهم قربوا من مدينة العجائب أمر وزراءه واكابر دولته أن يستقبلوهم فتلقوهم من بعد واصطفت العساكر قسمين يسلمون عليهم حتى وصلوا الى باب مدينة العجائب فنظروا واذا بالدار قفراء والمزار بعيد ولم يجدوا القواصة الذين كانوا بها أولا وبأيديهم العصى والدبابيس المفضضة ولا المدينة ولا البستان ولا من يخبر عنها وجدوا انهم قد أشرفوا على وادمهول به حجر وجبال وقارات ورأى الملك شاه كرمان انه نائم هو وجماعته وان فى مكانه حجرا عاليا عن بقية الحجارة فتحيروا ووقفوا محلهم باهتين ونظر بعضهم الى بعض وتضاحكوا ورجعوا على أعقابهم وهم فى سيرة مارأوه من العبر والعساكر وانها محيت فى لمحة البصر فتارة يضحكون وتارة يتعجبون وقد وجدوا ان مارأوه خيالا أو أضغاث أحلام حتى اذا أشرفوا على واد السراب لم يجدوا به الشراب والحاصل ان الشاه محمود دخل منزله وهو لا يطيق التصبر وتحير عقله وتجسسوا امر ابن سينا حتى لم يتركوا مكانا بالمدينة والاسواق والصحراء ولم يدعوا مكانا بدون بحث فلم يعثرا عليه وعجزوا عن ادراكه واذا فرض انهم وجدوه فلا طائل فشكروا الله تعالى على خلاصهم ونجاتهم من شدة ماأصابهم من الاهوال هذا ما كان من أمر الشاه محمود مع ملك كرمان وجماعته (قال الراوى) وأما ما كان من أمر ابن سينا فانه حين مافعل بسلطان كرمان مافعله ذهب وتركه ووصل الى مدينة همدان فى برهة قليلة ففى اثناء مسيره وتفرجه بداخل المدينة وجد تكية الشيخ عبد الله الهمدانى قد انهدم منها جانب وكان الشيخ قدس الله سره العظيم واقفا بنفسه على العملة وفى أثناء ذلك قال له الشيخ يا أباعلى بن سينا هل يليق منك أن لا تجالسنا فرجع ابن سينا

لينظر من هذا واذا بشيخ عظيم نورانى يتلا لأوجهه نورا قيل أن الشيخ عبد الله
الهمدانى قدس الله سره العظيم لما أن نظر الى ابن سينا وقد قرب منه أشار بأصابعه
العشرة الى عشرة أحجار فارتفعت واذابها على أعلى الحائط منظومة فى غاية الانتظام
قد يعجز المهندسون أن يضعوها محلها فعلم ابن سينا أن هذا من محض الكرامات
فتقدم اليه ابن سينا وقبل يده وكرلا نماقدميه فدعاله الشيخ وأعزه وا كرمه ورفع
رأسه من أديم الارض وأخذ بيده وتوجه به الى خلوته ورحب به فتحدث يومهما فى
لوازم الروح ثم ان ابن سينا اعتذر للشيخ وترجاه فى أن يكون ملازما لخدمته العلية
وأن لا يبعده عنه مدة حياته ويلازم باب رحابه الفسيح فقبله الشيخ وعين له حجرة
وأعد له من الاحسان مالا مزيد عليه وتعهد له بالارشاد فاقام معه مدة وافرة فى أداء
خدمته واشتغل بالعبادات آناء الليل وأطراف النهار ولم ير غير طاعة أمر الله تعالى
وأفنى نفسه بالرياضات وبلغ فيها الى مرتبة لم يصل اليها فى التشكيل الجن والشياطين
وخبره ولم يقع له أحد على أثر وصار ما بين الخلائق نسيا منسيا وانقطع عنه القيل
والقال واندثر اسمه وفقد رسمه واشتغل بعبادة رب العالمين وفنى فنا تاما وصار
من أصحاب الكشف والكرامات وخوارق العادات وتمم مراتب الرجال وصار عاملا
ومرشدا كاملا وألف كتبا عظيمة وكان أولا قد اشتغل بعلم الطب وألف كتابه
المشهور بالقانون أى قانون الشفاء وهو كتاب مقسوم على خمسة أقسام لم يأت
الحكماء بمثله ومثله انشاء الطب الجديد ( فيحكى والله أعلم ) أنه سابقا كان ملك
هاتيك الديار افلاطون الالهى وكانوا يتشافهون علم الطب فى زمانه ولم يبدوا
وكانت دفاتره صفحات الصدور وكيفية تلقيه هو أن تلامذته صفوا قلوبهم بالرياضات
وكانوا يأتون الى الحضور على افلاطون ويجثوا على ركبهم ويطرقون رؤسهم
وينظرون لقلبه المصقول كالمرآة بحال المراقبة وكان الاستاذ ينظر الى قلوبهم ويعلمهم
الطب وغيره وكان ذلك حرصا على هذا العلم الشريف حتى لا يقع فى أيدى السفلة من
رعاع الناس ولم يقبلوا للخدامة غير المحسوب المنسوب لحكماء اليونان فاتفق أن
ارسطاطاليس كان جميلا فى غاية الحسن والجمال ذا قد واعتدال وبهاء وكمال وقد
أحضروه الى مجالس افلاطون والحقوه بخدمته وترجوه فى الحاقه من جملة تلامذته

فسأل عن نسبه هل هو منسوب الى احدالحكماء ام لا قيل له ليس منسوبا لاحدهم
وانما هو ذوقابلية وفهم وذكاء فلم يقبله وكم من دفعة يحضروه اليه ويردوه وكل دفعة
يلحون عليه إلحاحا كليا ففى بعض الايام وضع الشيخ رأسه فى ضمير المراقبة وأطرق مليا
ثم قال ان الله سبحانه وتعالى فى هذا حكمة وقبله وقال حتى نرى ماذا يذيع مستتر الغيب
واشتغل بتعليمه فى مدة قليلة حصل فضائل كثيرة وصفا قلبه وصار مستعدا للتعليم
وحضر الى عند الشيخ وقد حصل مالامزيد عليه من العلوم وقال عند قطب العارفين
أفلاطون ان هذا الفن أمر عسير تحصيله ومع ذلك هو سهل فى وقت سلطنتكم وفيما
بعد يضيع واطلب هذه المرتبة من الكمال يكل كثير من الطالبين ولم يقتحموا
التعلم فيفقد فاذا استصوب أن يدون ويكون لنا الاجر لبقاء المنفعة للعالم فقال
أفلاطون لمن حضر مجلسه هل رأيتم كيف بدأ تأثير الحسب والنسب وان عدم
قبولنا لهذا الصبى ليس بخلا وانما استاذى هكذا أوصانى أن لا أقبل من ليس له حسب
ونسب الى اليونان وانتم كنتم سببا لقبوله وها قد ظهرت آثاره هل تصغوا الى
مايقول وقد صار مقدما وأراد أن يعزم الناس لضيافته فخجل أهل المجلس وسكتوا ثم
رفع الشيخ رأسه وقد خاطب ارسطاطاليس وقال له ان الله فى هذا أيضا حكمة واذا
لم آذنك فلا فائدة فى ذلك وحيث انك التمست منا الرضا فافعل ما بدا لك وانما
اكتبه بقلم غريب وألغزه حتى لا يطلع عليه أحد ولا يقدر على استخراجه ويكون لائقا
لذوى الالباب وكان هذا جل مايتمناه ارسطاطاليس لانه كان مولها بابراز هذا العلم
من ضمير الغيب الى عالم الشهادة ففى هذا الوقت نهض وابتدأ باختراع لغة غريبة وقلم
كذلك وقد حرر علم الطب فى برهة يسيرة وأحضره عند الشيخ فأعجبه غاية العجب
وقسمه على ستة أقسام وقد تركوه بين العالم والحقوا بمن مات قبلهم قال وكان علم الطب من
زمن افلاطون الى زمن ابن سينا على ذلك الترتيب وقد ترجاه الشيخ عبدالله الهمدانى
قدس الله سره العظيم فى ترجمة تلك الكتب الستة فاجابه ابن سينا الى ذلك ففعل
وجعل ثلاث مجلدات ترجمة وابتدأ بالرابع فهزمت دولة أيامه وأنشبت المنية أظفارها
بلطيف روحانيته فعزلتها من كثيف جسمانيته قيل ان ابن سينا لم يكن مسمى
بحكيم الا لمجرد تلك الترجمة فبقيت الثلاث مجلدات لم يترجموا والحاصل ان ابن سينا

قدس الله سره العظيم مكث بمدينة همدان مدة وافرة وكم بث بها من معارف وكان
عدد كتبه أكثر من أن تحصى وقد اختلف الرواة في موت أبي علي بن سينا على أقوال
فقد قال الدرويش حسن المدحي ان ابن سينا مدفون في همدان فى محله دورباد
وكثيرا ما اختلف فى دفنه وروى الدرويش البلخي سلطان السواح فى زمانه
من طوى بساط البسيطة مرتفلا ثياب امانه ان ابن سينا رجع الى سمرقند
وبنى بمدينة يقر بها يقال لها طاقين محلا شاهقا فى غاية الانتظام وبداخله ميدانا
واسعا وبنى به مدرسة ذات سبع طبقات على عدد السموات وبنى فى كل طبقة
حجرات عديدة وعدد جملتها ثلثمائه وستون حجرة وقدموها داخلا وخارجا
باللازوردوا فى كل حجرة نحو الاربعين والخمسين طالبا مشتغلين آناء الليل
واطراف النهار في طاعة العزيز الجبار ومكث بها ابن سينا وكم فتح باب افادة
قد اغلقتها ايدى الزمان وكان يدرس فى كل علم وفن دروسا عامة واشتهر فى العالم
اسمه ولم يندرس بينهم رسمه وبعد بلوغ عمره العزيز الى ماينوف على السبعين
صعب عليه تجرعه كأس المنون وجعل يتلو ياليت قومى يعلمون وتفكر فى عاقبة
امره وابرز فيه مكنون سره وكان فى مرتبة من العلم والعمل لم يبلغها غيره
فتصفح دفاتر عقله المستترة وفوائد علومه المسطرة وقد لاحت له لائحة قدسية
وأخذ يدبر فى دفع تلك المنية وقد كان بملاصقة هذه المدرسة حمام عالى البنيان
منظوم الجدران يسمى حمام ميزار وكان من أمره أن آل الى الاندثار فبناه
ونظمه وجعل به قبة وفيها سبع طاقات وكل منهن محكمة الوضع لكوكب من السبعة
السيارة ووضع بكل طاقة زجاجة تجاه ذلك الكوكب وقد استحكم مركزهم بحيث
أن تأثيرات الكواكب السبعة تؤثر فيها وتنحصر فى الزجاجات وقد أصطنع
بها ادهانا عجيبة تنعش الارواح ( روى ) انه كان لابن سينا ببغداد تلميذ يقال له
جاماس الحكيم وقد كان استصحبه فى بعض أسفاره الكثيرة فاحضره ووصاه
بوصية وهي أن أبا على بن سينا كان استنحت فى قالب من المرمر على شكل
صورته واعلم جاماس الحكيم بأنه إذا مات يخفى أمره ولم يبده ابدا وليفعل به

ما يأمره به ثم اذا مات فعل جاماس بالوصية وأخذ جثة ابن سينا ووضعها فى جرن من الرخام داخل الحمام وهرسه حتى لم يبق أثر لعظامه ثم غلاه قليلا وأضاف له جانبا من الماء واحضر زجاجة من الزجاج المدبر وصبها عليه فصار غليظا ما كاليخنى فصبه بالقالب الذى على صورته حتى اذا ملئت حافتاه وضعه تحت طاقة من الطاقات المحكمة وصب عليه بقية من الزجاجة المصبوبة عليه آنفا وتركه تحت الطاقة أربعين يوما فوجده متجمدا وتشكلت صورته فنقله تحت طاقة ثانية وصب عليه زجاجة وتركه اربعين يوما أخرى فصار لحما طريا فنقله تحت طاقة أخرى وصب عليه زجاجة وتركه أربعين يوما فصار عظما وجلدا وشعرا وسائرلوازم بدنه ولم يبق غير الحياة فنقله تحت طاقة وصب عليه زجاجة أخرى وتركه اربعين يوما فتحرك بدنه فى القالب وبدت فيه علامات الحياة ثم نقله تحت طاقة وصب عليه زجاجة وتركه اربعين يوما فصار ابن سينا يتكلم قليلا قليلا وبقى الحال موقوفا على صب زجاجة فينهض ويقوم ويبقى الى يوم القيامة لأن الكواكب كانت تديره من الطاقات كما أنها تديره فى بطن أمه ولما أن كان تدابير ابن سينا هذا مخالفا لامر الخالق جل جلاله وعظم شأنه وقدرته فلم يتم امره فروى أن جاماس الحكيم رأى أن ابن سينا آن له أن يقوم وكان فى شك من ذلك ولم يباشر العمل الا لمجرد نظره هل يمكن ماأبداه له استاذه من اعادته أم لا فلما عاين ذلك تفكر أن ابن سينا اذا عاد الى الحياة دام الى القيامة وهو شهير فى العلوم فاذا تم امره لم يبق لى اسم ولا رسم وقد انقضت ايام مدته وصارالدور لى فاذا لم أعطل عليه لم يلتفت لى أحد بعدها أبدا عند وجوده فالاولى تركه على هذه الحالة وقد كسر جاماس الزجاجة السابعة واخفى الحمام وترك به ابن سينا على هذه الحالة وانطلق الى حال سبيله وأما صوت ابن سينا فكان يسمع وكانت الناس يتعجبون من ذلك ومن ذلك الوقت الى تاريخنا هذا تروى عنه أخبار متنوعة شتى وحكى البلخى الراوى المرقوم ان

الحمام المسمى ميزار معمور الى وقتنا هذا وقد كنت توجهت حين سياحتى الى سمرقند وأتيت الى الحمام فى وقت التجميد وصغيت فسمعت صوته من داخل خلوة قليلا قليلا فاستمعت له زمنا طويلا فاذا تزاحمت الناس فى الحمام كان يقل الصوت وسمعت أن جاماس الحكيم حينما اتى الى الزجاجة السابعة وأخذها وأراد أن يصبها الى مكانها حكم العادة عثرت رجله فى الارض فانكب على وجهه وانكسرت الزجاجة من يده فلما رأى أن الامر ليس بميسر اخفى الحمام ولعله اخفى الخلوة التى فيها جثة ابن سينا وتوجه الى حال سبيله وعلى كلتا الروايتين فلم يكن له نصيب فى الحياة ثانيا وبقى على حاله فيما بين الحياة والممات وصار باقيا يتكلم قليلا قليلا كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون وهذا اخر ما انتهى الينا من ترجمة قصة نوادر ابن سينا وأخيه أبى الحارث والله اعلم بغيبه واحكم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ تم هذا الكتاب بالتمام والحمد لله على كل حال ﴾



مليم

١٠ شرح الصدر بغزوة بدر
٥ هداية السالك فى مناسك الحج مالكى
٥ هداية المعين فى علم الروحانى
٢٥٠ وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى جزئين
٥ تحفة الاخوان فى أدب الطريق للشيخ الدردير
٥ السر الجليل فى خواص حسبنا الله ونعم الوكيل
١٥ عنوان الظرف فى فن الصرف
٥ متن الكافى علم العروض والقوافى
١٠ الفوائد الجليلة فى القواعد النحوية الجميلة سؤال وجواب
٢٠٠ أساس البلاغة للزمخشرى
٥ فتح مدينة خيبر غزوه
٢٥ متن الالفية طبعه ميرى بدار الكتب الملكية المصرية
٢٠ متن الكنز فقه حنفى
١٥ الخيرات الحسان فى تاريخ أبو حنيفة النعمان
٥ السبع كواكب السيارة
١٠ السر المبين فى خواص سورة يس
٥ متن الخريدة فى التوحيد
٥ دعاء عكاشه — دعاء الجواستسنى وأسماء أهل بدر والسبع عهود